

بَرْجَةُ الْمَجَالِسِ، وَأَنْسُ الْمَجَالِسِ وَشِحْذُ الذَّاهِنِ وَالْهَاجِسِ

تأليفُ

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني
من القسم الأول

تصنيفه

محمد مرسي البخولي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

باب الظنِّ والزَّكَاةِ (١)

قد تقدم في الباب الذي قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرئٍ مسلمٍ سَمِعَ (٣) من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا ينتفعُ بنفسه من لا ينتفعُ بظنه .

قال علي بن أبي طالب : حُسْنُ الظنِّ بالله أَلَّا تَرْجُو إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا تَخَافُ إِلَّا ذَنْبَكَ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله » .

قال الحسنُ البصريُّ : إنَّ المؤمنَ إذا أحسنَ الظنَّ أحسنَ العمل .

قال أبو مسلم الخولاني : اتَّقُوا ظَنَّ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَلَ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ .

(١) الزَّكَاةُ : الفهم والتفريغ والظن ، أو هي ظن بمنزلة البغي .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلاماً^(١) ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثمًا
ألا تزال ممارياً .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أمارى أخى أبداً ، لأنى
أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين^(٢) بن علي رضي الله عنهم : المرء رائد الغضب ،
فأخزى^(٣) الله عقلاً يأتيك به الغضب .

قال محمد بن علي بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنبتُ الشَّحْناء في
صدر الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين^(٤) : ماتقول في المرء؟ قال : يفسد الصداقة
القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دَرِيثَةً^(٥) للمغالبة ، والمغالبة
أمتن^(٦) أسباب القطيعة .

قال عبد الله بن عباس لماوية : هل لك في المناظرة فيما زعمت^(٧) أنك خاصمت^(٨)

(١) ب : ظالماً . (٢) ساقط من أ .
(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من أ .
(٥) ب : درية ، والدريثة : ما يستتر به من الصيد ليختل . (٦) أ : أمس .
(٧) أ : رغبت . (٨) أ : خصمت .

فيه أصحابي؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشنب بك وتشنب بي ، فيبقى في قلبك^(١) ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبي ما يضرك^(٢) .

قال إبراهيم التيمي : إياكم والمخاصمات في الدين ، فإنها تحبب الأعمال .

قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل

قال الأوزاعي : إذا أراد الله بقوم شرّاً أزمهم الجدال ، ومنعهم العمل .

قال ابن أبي الزناد : ما أقام الجدالُ شيئاً إلا كسره جدلٌ مثله .

وقد أوردنا في كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت^(٣) كرامته ، ومن أكثر من شيء عرف به .

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصي ابنه كداما :

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَتِي	فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَالِيكَ شَفِيقِي
أَمَّا الْمَرَاخَةُ وَالْمِرَاةُ فَدَعِيهِمَا	خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِي
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا	لِمُجَاوِرِ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِي

(١) : ذلك

(٢) ب : ما لا يضرك .

(٣) : كثرت .

وَالْجَهْلُ يُزْرِي بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ عُرُوقٍ^(١)

وقال مصعب الزبيري :

أَقْعُدْ بَعْدَمَا وَجَفَتْ^(٢) عِظَامِي وَكَانَ الْمَوْتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِي
أَجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيمٍ وَأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِي
فَأَتْرِكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِي وَلَا يَسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالْحُصُومَةُ وَهِيَ لِبَسِّ تَصْرَفُ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ^(٣)

في أبيات قد ذكرناها بتمامها في كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العباس النأشي :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَّحَمِلٍ يَجِدُ الْمُحَالَ مِنْ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوْلَيْتُهُ مِنِّي السَّكُوتَ وَرَبِّمَا كَانَ السَّكُوتُ عَلَى الْجَوَابِ جَوَابًا^(٤)

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، جامع بيان العلم ٢/٩٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٨ . حماسة البعري ٣٩٩
ونها : أ كدام لأن قد محضت نصحتي .

(٢) ١ : رجعت .

(٣) اطر الأبيات في معجم الشعراء ٤٠٢ ، البيان ٣/٣١٩ ، جامع بيان العلم ٢/١٠٠ .

(٤) البيتان في وفيات الأعيان ٣/٥٣ .

باب المراء والخصومة والملاحاة^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيمُ بيت في أعلى الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في ربض^(٢) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً ، ولن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولن حسنت مخالفته للناس » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لما أُسْرِى بى كان^(٣) أول ما أمرنى به ربه أن قال : إياك وعبادة الأوثان ، وشربَ الخمر ، وملاحاة الرجال » .

قال قيسُ بنُ السائب : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذُ بنُ جبل : إذا كان لك أخ فى الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .
قال لقمانُ لابنه : يا بنى لا تُمارين حكيماً ، ولا تجادلن لجوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبن متهماً .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى مَنْ قَصَرَ فى الخصة خُصِمَ ، وَمَنْ بالغَ فيها أُثِمَ ، فقلِ الحق ولو على نفسك ، ولا تُبال من غضب .

وفى الحديث المرفوع : « اخذروا جدالَ كلِّ مفتون ، فإنه يُلقنُ حجته إلى انقطاع مُدته » .

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللؤم .
(٢) رب : ربط ، والربض من الجبل : ما يلى الأرض منه .
(٣) ساقطة من ا .

سب أعرابي أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سَكَتَ عَنْهُ ؟ فقال : ما لي علم بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .
ولمحمد بن زياد الحارثي :

وَأَرْفَعُ نَفْسِي عَنْ نَفُوسٍ وَرُبَّمَا تَذَلَّلْتُ فِي إِكْرَامِهَا لِنفُوسٍ
وَإِنْ رَامَنِي يَوْمًا خَسِيسٌ بِجَهْلِهِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَرْضَى بِعِرْضِ خَسِيسٍ^(١)
وقال حسان بن ثابت :

مَا أَبَالِي أَنْتَ بِالْحَزَنِ تَبَسُّ أُمُّ لَحَانِي بظَهْرِ غَيْبِ لَيْثِمٍ^(٢)
وقال آخر :

وَقُلْ لِيَزِيدَ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِنَ لِلْمُتَشَمِّمِ
وَلَكِنَّا نَأْبَى الْجَوَابِ وَنَقْتَضِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ غَشْمَشَمٍ^(٣)
قال الخليل : الغشمشم : الجريء الماضي ، قال الشاعر :

عَبِلُ الشَّوَى غَشْمَشَمًا غَاشِمًا ؛

(١) ساقط في ب ، ومما في المقدم الفرید ٢/٢٨٥ .
(٢) البيت في ديوانه ١٠٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، ونب التيس : صاح عند الهياج .
(٣) البيتان والبيت الذي سيأتي في الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لعبد بن علقمة ، انظر حماسة أبي تمام ١/١٥٧ ، الأمل للقال ١/١١٥ عيون الأخبار ١/١٩٨ . ورواية الحماسة : قل لزهير ، ونعتى مكان تقتضى ، ومنها . نأخذ للسيف ونضرب به مثل العصا ، وروى : مصمم ، بدل غشمشم ، وتجهل بدل تبطش .
(٤) عبيل الشوى : ضخم اليدين والرجلين ، والغشمشم : الجريء الماضي - كما ذكر الخليل ، والغاشم : الظالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وَتَبَطُّشُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ-

وقال الأخطل :

أَبَيْتُ كَلْبًا تَمَنَّى أَنْ نُسَافِرَهَا وَطَالَمَا سَافَرُونَا ثُمَّ مَا ظَفِرُوا
قَدْ أَنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذَّكْرَ (١)

وقال آخر :

فَإِن تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ فَقَدْ تَقْرَضُ الْعُثُ مَلْسَ الْأَدَمِ

العُثُ : دَوِيَّةٌ صَغِيرَةٌ لَيْسَ بِهَا قُوَّةٌ إِلَّا أَنَّهَا تَقْرَضُ كُلَّ شَيْءٍ .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمُنِي لَا أَبَا لَكُمْ دَنِسُ الثِّيَابِ كَطَائِحِ الْقَدْرِ
جُمَلٌ تَمَعَّى فِي غَنَائَتِهِ زَمِنُ الْمُرُوءَةِ نَاقِصُ الشَّبْرِ (٢)

أعطى الحسن بن علي شاعراً ، فقبل له : تعلى من يقول البهتان ، ويمصي

(١) ديوانه ٢/٢٠٨ ، ٢٦٩ ، والبيت الثاني هذا ملق من بيتين ، والرواية في الديوان :

قد أندروا حية في رأس هضبته وقد أتهم به الأخبار والنذر

هنالك قالوا أنام الاء حيته وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) الجمل : دومة مائة ، والغثائة : الإفرارات أو الفيج ، وزمن المروءة : مريضها ، وناقص الشبر :

القصير القم .

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابنتي
الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك في شاعر مدحه فأعطاه . وقد
كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين .

قال جرير :

وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ امْرِئٍ فِي ضُلُوعِهَا أَعَقَّ مِنَ الْجَائِي عَلَيْهَا هِجَابِيَا^(١)

وقال آخر :

اصْحَبِ الْأَخْيَارَ وَأَرْغَبْ فِيهِمْ رَبِّ مَنْ صَاحِبَتُهُ مِثْلُ الْجَرَبِ
وَدَعْ النَّاسَ وَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا شَاتَمْتَ فَأَشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَيْمًا كَالَّذِي يَبْدُلُ الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ^(٢)

وقال آخر :

مَالِي أَكْفِكِ مِنْ سَعْدٍ [وَتَشْتَمِنِي] وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكْتُوا^(٣)

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ^(٤)

(١) البيت للفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : العانس ، وانظر الأبيات في الأمالي ٢/٢٠٤ ، لباب الآداب ٢٤ ، وفيه : إن من شاتم
وغدا .. الخ .

(٣) وتشتني ساقط من ا ، ب ، وفيه : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) في العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوك ، وقد نسب البيت في حماسة البجتي ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب
العتفاني ، ونسب في العقد ١/١٧٨ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلان ينتقصك ويشتمك . فتمثل بقول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ لعزّةٍ من أعراضنا ما استحلّت
أسيدبي بنأ أو أحسنبي لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إن تقلت^(١)

وقال قيس الجنون :

حلالٌ لليلي شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفوراً لليلى ذنوبها

وقال آخر :

إذا ما شئت سبك غير قوم^(٢) وإن كنت المهذب واللّبأبأ
يهابك كلّ ذي حسبٍ ودينٍ وأما في اللثام قانت تهابأ

وقال آخر :

من شاتم الناس رموه بما لم يك يمتدّه في الحساب^(٣)

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحقّ والباطل^(٤)

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٣ ، التهليل والمهاضرة ٧٢ ، السكامل ٢٣٥/١ ، هذا وينسب

البيتان أيضا لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .

(٢) ب : هند .

(٣) نهاية الأرب ٦٨/٣ .

(٤) البيان ٣٢٩/٢ ، معاضرات الأديب ١٨٩/١ ، نهاية الأرب ٦٨/٣ ، لباب الآداب ٣٦٠ ،

ولد سبق مع أبيات أخرى ص ٤٥١ .

وقال آخر:

وَلَسْتُ مُشَاتِمًا أَحَدًا لِأَنِّي رَأَيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرَّجَالِ
إِذَا جَعَلَ اللَّئِيمُ أَبَاهُ نُصْبًا لَشَاتِمِهِ فَدَيْتُ أَبِي بِمَالِي

وقال آخر:

وَتَجَزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ شَّتْمِ مَرَّةٍ وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَصْبِرُ^(١)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ^(٢)

وقال آخر:

مَنْ يُخَبِّرُكَ بِشَّتْمٍ عَنْ أَخٍ فَهُوَ الشَّاتِمُ لَا مَنْ شَتَمَكَ
ذَلِكَ شَّتْمٌ لَمْ يُوَاكِهَكَ بِهِ إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ^(٣)

وقال آخر:

أَبَا حَسَنِ يَكْفِيكَ مَا فِيكَ شَاتِمًا لِعِرْضِكَ مِنْ شَّتْمِ الرَّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وقال آخر:

وَمَا يَبْقَى عِنْدَكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَثَلِ دَفْعِكَ جِهَالًا بِجِهَالِ

(١) ١: ويشتم عشراً بعدها ثم يصبر .

(٢) البيت لعبد الصمد بن المغزل ، انظر عيون الأخبار ٢/٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل

المقال ٩٤ .

(٣) المستطرف ١/٦١ ، فصل المقال ٩٤ .

فَأَقْمَسُوا إِذَا أَحْدَبُوا وَأَحْدَبٌ إِذَا قَعَسُوا وَوَازِنِ الشَّرَّ مُثْقَلًا بِمِثْقَالٍ^(١)

وقال آخر:

تَأَلَّبِي عَمْرُو وَتَأَلَّبْتُهُ فَقَدَّ أَيْمَ التَّمْلُوبِ وَالتَّالِبُ
قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الْخَنَا كُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبٌ^(٢)

(١) القمس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والمحب ضدّه ، والمتصود المزوجة بين اللين والشدة في معانيهم .
(٢) تالبه : لومه وعابه ، والخنا : الفحش ، والبيبان لعل بن معاذ كما في البيان ١/٣٨٠ ، واطرهما في معانرات الأدباء ١/١٨٧ ، وفيات الأعيان ٦/٦٧ .

تَابُ الْكِبْرِ وَالْمُجَبِّ وَالتَّيِّبِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَاكِيًا عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، ^(١) وَالْمَعْظَمَةُ إِزَارِي ^(٢) ، فَمَنْ نَازَنَنِي ^(٣) ^(١) وَاحِدًا مِنْهُمَا ^(١) أَدْخَلْتَهُ النَّارَ .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ » ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ بَطْرًا » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا الْكِبْرُ أَنْ يُسَافَقَ الْحَقُّ ، وَيُغَمَّضَ النَّاسُ » .

قال محمد بن علي بن حسين : يا عجباً من المختال الفخور الذي خلق من نطفة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بمد ذلك ما يفعل به .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : سمعتُ أحمد بن يوسف يوماً ، وذكر رجلاً كان يذهب بنفسه في التَّيِّبِ ، فقال : يتَّيِّبُهُ ^(٣) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

(١) ساقط من أ .

(٢) نازعني .

(٣) ب : تبي .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْكِبْرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ أَبْصِرْ خَلَائِكَ إِنَّ الْمَيِّنَ تَثْرِبُ^(١)
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبْرُ^(٢) شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ^(٣)

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ،
ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الرجل يذهب بنفسه في التَّيِّبِ
حتى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ ، فيصيده ما أصابهم . »

قال مالك بن دينار : كيف يتيه من أوله نطفة مَذْرَةَ ، وآخره جيفة قَدْرَةَ ،
وهو فيما بين ذلك حاملٌ عَذْرَةَ .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوْلَهُ نَظْفَةً وَجِيفَةً آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ^(٤)

(١) أ : العر تثرِب .

(٢) ب : الناس .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ وفيه : إن التَّن . . الخ .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الكامل ٢٣٦/١ .

وقال منصور الفقيه :

تَنِيهُ وَجِسْمِكَ مِنْ نَظْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَالَمٌ لِمَا تَعَلَّمَ^(١)
وله أيضاً :

قُولُوا لَزُورِ الْكُفِّ وَالْمُنْشَيْنِ مِنْ نُظْفٍ
يَا حَيْفًا مِنْ الْجَيْفِ مَا لَكُمْ وَلِلصَّفِّ

كان يقال : لولا ثلاث سلم الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

قال جعفر بن محمد : علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من^(٢) العُجْب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنوب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً فقد تمت خسارته .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤجر عليها المبتلى بها : العُجْب ، والنعمة التي لا يُحسد عليها : التواضع .

كان يقال : لا شيء أكلم للمحاسن من العُجْب والتهيه .

قال نصر بن أحمد :

وَمَنْ أَمِنَ الْآفَاتِ مُعْجِبًا بِرَأْيِهِ أَحَاطَتْ بِهِ الْآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ .

(٢) سائطة من ١ .

وقال منصور الفقيه :

لَا تَحْلِقَنَّ بِبَيْتِيهِ فَتَحْمِلَهُ عَلَى التَّزْيِيدِ . مِمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ
وَاهْتَجِرُهُ اللَّهُ لَا لِلنَّاسِ مَبْتَغِيًا ثَوَابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانٍ مِنْ تَاهَا

وقال آخر :

إِنْ عَيْسَى أَنْفٌ أَنْفُهُ ضِعْفٌ لِيَضِعِفَهُ
لَوْ تَرَاهُ رَاكِبًا وَالتِّيَهُ قَدْ مَالَ بِمِطْفِئِهِ
لَرَأَيْتَ الْأَنْفَ فِي السَّرِّ ج وَعَيْسَى مِثْلُ رُدْفِهِ

وقال ابن السَّلْمَانِي :

أَتِيَهُ عَلَى جَنِّ الْبِلَادِ وَإِنْسِيهَا
أَتِيَهُ فَلَا أَدْرِي مِنَ التِّيهِ مِنْ أَنَا
فَإِنْ زَعَمُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ (٢)
وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهْتُ عَلَى نَفْسِي
سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي فِي جِنْسِي (١)
فَمَا لِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ (٣)

وقال خلف الأحمر :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلِّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابِ
أَلْبَجُّ لَجَاجًا مِنَ الْخُنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابِ (٤)

(١) : ومن حسي .

(٢) : خالس .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ١/٢٧١ .

(٤) انظر البيت في معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠ ، فصل المقال ٢٨٧ .

ولأبي العتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حَدَّرْتُكَ الْكَبِيرَ لَا يَمْلِكُ^(١) مِيسَمُهُ فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ نَازَعْتُهُ اللَّهُ
يَا بُوسَ حَامِلِ رِجْسٍ لَبَسَ يَغْسِلُهُ بِالْمَاءِ عَنْهُ إِذَا كَلَّمْتُهُ تَاهَا
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا وَمَنْزِلَةً إِنَّ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
مَنْ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بِسِيرَتِهِ كَذَبْتَ يَا صَاحِبَ الدُّنْيَا وَمَوْلَاهَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلْمُعْجِبِ لَمَّا قَالَ مِثْلِي لَا يُرَاجِعَ
يَا قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْمَخِ رَجِّ لِمَ لَا تَتَوَاضَعُ^(٤)

قال علي بن محمد : إنما أهلك الناس العجلة والمُعجب ، ولو ثبتوا ولم يعجلوا
لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبي ليلى : ما رأيتُ ذا عُجْبٍ قطَّ إلا اعتراني بعضُ دائه . يريد أنه
يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعضُ الحكماء : من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديراً ألا ينزل به
مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والتواني ، والمُعجب .

(١) ب : لا يطفك .

(٢) ب : مبق .

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوان أبي العتاهية ، وإنما هي في ديوان أبي نواس ١٩٧ ، وفيه البيت الثاني :

يا بؤس جلد على عظم مخرقة فيه الخروق إذا كلمته تاهها .

(٤) ب : مما تواضع ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١/١٣١ .

ولإبراهيم بن العباس الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَبَا جَعْفَرٍ عَرَّجٍ عَلَى خَطَايَاكَ وَأَقْصِرْ قَلِيلًا عَن مَدَى غُلُوثِكَ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ بِالْأَمْسِ رِقْمَةً فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ^(١)

ولنصور الفقيه :

قَدْ كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ مِثْلَكُمْ أَرَى الْهَلَالَ الْخَفِيَّ بِالْمَجَلَّةِ
لَوْ مَرَّ بِي تَائِهٌ عَلَى جَمَلٍ لَمْ أَرَهُ الْآنَ قَلَّةً^(٢) وَلَا أُجَلَّةً

(١) معجم الأدباء ١٧٢/١ .

(٢) ب : قياه ، عيون الأخبار ٢٧٣/١ وفيها فإن كنت قد أعطيت فى اليوم .

بابُ التَّواضِعِ وَالْإِنْصَافِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم « ما تواضع عبدٌ لله ^(١) إلا رَفَعَهُ اللهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تواضعوا يرفعكم الله ، واعفوا يعزكم الله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير مَنَقَصَةٍ ، وذل نفسه من غير مسكنة ، وأتفق مالا جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وكرمت علانيته » .

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « لا حَسَبَ إلا في التواضع ، ولا نسبَ إلا بالتقوى ، ولا عمل إلا بالنية ، ولا عبادة إلا باليقين » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « مَنْ دَخَلَتْ نِعْمَةُ اللهِ عليه فليطلب ^(٢) بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً » .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ الحكمة طاعة الله ، وتقديمُ حُسْنِ النية ، وعُراها التواضعُ في الحقِّ ، والإنصافُ في المناظرة ، والإقرارُ بما يلزم من الحجّة ، وثمرتها حفظُ الثواب ، في العاجلة ، والنجاةُ في العاقبة ، وحقُّها العملُ بها ، والألّا تُمنع من من مُسْتَحَقِّها ، وأن تُوقَّرَ أو عيَّتْها لوقارها .

(١) ساقطة من ا .

(٢) ا : فليطلب .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلا وفى عنقه حكمةٌ موكل بها مَلَكٌ ، يقول الله به : إن تَوَاضَعَ عَبْدِي فَارْفَعَهُ ، وإن ارتفع فضَعَهُ .

قال بكرُ بن عبد الله المزني : ما أرى امرءًا إلا رأيت له الفضلَ على ، لأنى ملن نفسه على يقين ، وأنا من الناس على شك .

قال عبد الله بن مسعود : إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس ، وأن تُسَلِّمَ على مَنْ لَقِيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَعَزُّزُ على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمُّ النعمة ، وبالتكبر تحقُّ النعمة^(١) .

كان سليمان عليه السلام يجيء إلى أوضاع مجالس بني إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهْرَانِي مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرِّاحة ، وثمرَةُ التواضع المحبة .

قال لقمانُ لابنه : يا بنيّ تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس .

قال أبو الدرداء : ليس الذى يقولُ الحق ويَفْعَلُهُ بأفضل من الذى يسمعه^(٢) فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إذا نَسَكَ الشريفُ تَوَاضَعَ ، وإذا نَسَكَ الوضيعُ تكبَّرَ .

(١) ب : تحقّق النعمة .

(٢) ١ : يرضه •

ولذى الرمة الأسدي :

إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَذْلَهُمْ لِأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَبْرَ وَأَفْضَلًا
وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤْتَرَ^(١) الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَا^(٢)

قال سالم بن قتيبة : ما تكبر في ولايته^(٣) إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها
إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورجب
فيمن يبعده .

قال بُرَيْرُ جَهْرٍ : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الأدب
والسقاء فأعظم بحسنة سترت من صاحبها سيئتين ، وأقبح بسبئة غطت من
صاحبها حسنتين .

قال عبد الملك بن مروان : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ،
وأنصف عن قوة .

كان يقال : من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك ، وتنصف من هو
مثلك ، وتنبل على من هو فوقك .

قال ابن السماك للرشيد : تواضعك في شرفك أشرف من شرفك .

(١) : ينسم .

(٢) ورد البيتان في ديوان أبي العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما في ديوان ذى الرمة .

(٣) ب : ما تكبر في ولاية .

قال جعفر بن محمد: من أنصف الناس من نفسه قضى به حكماً لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمِيقِلُ^(١)

قال مالك بن الربيب :

فَإِنْ تُنْصِفُونَا يَا لَ مَرْوَانَ تَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِيَعَادِ فِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنْتَ كِبِلَادِي^(٢)

قال العباس بن عبد المطلب :

أَبِي قَوْمَنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَقَتْ قَوَاعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقَطُرُ الدَّمَا تَرْكَنَاهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ بَمَدَاهَا لَدَى رَحِمٍ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَحْرَمًا^(٣)

قال الحكم بن المنذر الجارود في الإنصاف :

بَنِي عَمَّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنَّا طَعْمَانًا^(٤) فَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَبْكِي وَمَجْزَعًا وَذُقُوا كَمَا ذُقْنَا مِنَ الْحَرْبِ إِنَّا نَرَى شَرَّ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ قَدْ تَضَعَضَعَا وَنَادَى مَنَادِ يَالَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَنَادَى بَعِيدِ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا فَمَا خَذَلْتَنَا الْأَزْدُ إِذْ دَارَتِ الرَّحَى وَلَكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِزًّا مَمْنَعًا

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ١٨/٣ ، حاسة أبي تمام ٤/٢ ، حاسة البحري ٢٨ .

(٢) سبق البيتان في ص ٢٣٨

(٣) انظر البيتين في مجموعة العاني ٥٢ ، عيون الأخبار ٧٨/١ ، حاسة البحري ٦٠ .

(٤) ب : من طعمانا .

خَلَطْنَا الْبَيْوتَ بِالْبَيْوتِ فَأَصْبَحُوا
بَنِي عَمَّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعًا^(١)
وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا قُلْتُ أَنْصِفْنِي وَلَا تَظْلِمْنِي رَمَى كَلًّا حَقَّ أَدْعِيهِ بِيَاوِلِ
فَمَا طَلْتُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَهُوَ كَارِهٌ وَقَدْ يَرْعَوِي ذُو الشُّعْبِ عِنْدَ التَّجَادُلِ
وَإِنَّكَ لَمْ تَعْطِفْ إِلَى الْحَقِّ ظَالِمًا^(٢) بِمَثَلِ خَصِيمٍ عَاقِلٍ مُتَّجَاهِلِ

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد في الإتفاق ، [والابتداء]^(٣) بالسلام
والإنصاف من نفسك .

أُوفِي سَمَاعٌ أَشْهَبُ ، قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ فِي الْإِنْسَانِ شَيْءٌ أَقْلُ
مِنَ الْإِنْصَافِ .

قال جعفر بن محمد : ما أقلَّ الإنصاف ، وما أكثرَ الخلاف ، الخلاف^(٤)
موكلٌ بكلِّ شيءٍ حتى القذاة في رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت
إلى فيك ، وإذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت .

قال الشاعر :

آخِ^(٥) الْكِرَامِ الْمُتَنَصِّفِينَ وَصِدْلَهُمْ وَأَقْطَعِ مَوَدَّةَ كُلِّ مَنْ لَا يُنْصِفُ

(١) ب : في حربهم يذهبوا معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط في حماسة أبي تمام ١٥١/١ ، منسوباً إلى
الثلثم بن رباح بن طالم المري .

(٢) ب : طالباً ، وانظر الأبيات في ديوانه ١٩٠ .

(٣) زيادة من ب .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : ارجع ، وانظر البيت في البيان ٢١٩/٣ .

وقال أبو المتاهية :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ
أَسْأَلُ إِجَابَةً وَأَسْأَلُ سَمْعًا (١)

وقال أبو عثمان الشريشى :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدًا مُنْصِفٍ
لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أُبْرَأَ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ١٩/٣ .

بابُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما تشاورَ قومٌ إلا هداهم الله لأرشدِ أمورهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلِكَ امرؤٌ عن مَشُورَةٍ » .

قال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ » .

قال الحسنُ : إن الله لم يأمر نبيّه بمشاورَةِ أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَ بِهِ أمرٌ فشاور فيه من هو دونه تَوَاضَعًا منه عَزِمَ له على الرِّشْدِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضی الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل .

قيل لرجل من بني عبس . ما أكثر صوابكم ؟ قال : نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألفَ حازم .

قال عامرُ بنُ الظَّربِ^(١) : الرَّأْيُ نَأْمٌ وَالهُوْىُ يَقْظَانُ ، فَلِذَلِكَ يَنْلُبُ الْهُوْىُ الرَّأْيَ .

(١) العدواني : كان من حكام العرب في الجاهلية ، وعمر طويلًا ، وهو الذي قيل فيه : إن العصا قرعت لدى الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زينه عن الصواب لسكبر سنه ، فكلّموه في ذلك فقال : اجعلوا لي أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجاس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتهبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : يا جالة الفكرة يُسْتَدَرُّ الرَّأْيُ المصيب .

كان علي بن أبي طالب يقول : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُرْجَهْر : حسبُ ذا الرَّأْيِ ومن لا رأى له أن يستشير عالماً ويطيعه .

مرَّ حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والمعطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يُطلق ، والمُضِلّ حتى يجهد ، والراغب حتى يمنع^(١) .

كان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقى على رأيه الزَّال ، كما يتقى الورع على دينه الجرح .

قال ابن المقفع : ثلاثة لا آراء لهم : صاحبُ الخفِّ الضيق ، وحافنُ البول^(٢) ، وصاحبُ المرأة السليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجة لرأى إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة .

وقال بعضهم : لا تترك الأمر مُتَبِلاً ، وتطلبه مُدْبِراً ، فإن ذلك من ضعف العقل^(٣) وقلة الرأى .

(١) ساقط من أ .

(٢) حافن البول : محتبسه .

(٣) أ : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخِلْ فِي رَأْيِكَ بِخِيَلًا فَيَقْصُرَ فِعْلُكَ ، وَلَا جَبَانًا فَيُخَوِّفَكَ
مَالًا تَخَافُ ، وَلَا حَرِيصًا فَيُعِدُّكَ مَالًا يُرْجَى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَكْرَمُونِي وَأَتَّقُوا سِجَالًا بِهَا أَسْتَقِي الَّذِينَ أَسَاجِلُ
كَفَفْتُ الْأَذَى مَا عَشْتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ وَنَاصَتْ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ مِنْ يُنَاضِلُ
وَلَكِنَّ قَوْمِي عَزَّهُمْ سُقْفَاهُ وَهُمْ عَلَى الرَّأْيِ حَتَّى لَيْسَ لِلرَّأْيِ حَامِلٌ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحزمُ : في مُشَاوَرَةِ ذَوِي الرَّأْيِ وَطَاعَتِهِمْ » .

قال المهلب : إذا كان الرأي عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخَّ ذَا الرَّأْيِ وَالنَّصِيحَةَ ، فَإِنَّهُ لَا يَكْتَفِي
بِرَأْيِ مَنْ لَا يَنْصَحُ ، وَلَا نَصِيحَةَ مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنرة^(٢) ، وقيل : إنها للعجاج الأسدی :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْبَشُورَةَ فَاسْتَمِعْ بَرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَخْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ
وَأَذَنْ مِنَ الْفَرْبَى الْمُقَدَّمِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأَةً غَيْرَ كَاتِمٍ
وَمَا خَيْرٌ كَفَّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرٌ سَيْفٍ لَمْ يُوْتَدَ بِقَائِمٍ

(١) أتأقوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجال وهي الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأباري ، ومزم : غابهم : وانظر الأبيات في أمالي القالي ١/٨٣ .
(٢) ب : لغيره .

فإنك لا تستطرد الهَمَّ بالمعنى ولا تبُلغِ العُلْيَا بغيرِ المَكَارِمِ^(١)

أنشدني الأعرابي :

وَأَنْفَعُ مَنْ شَاوَرْتَ مَنْ كَانَ نَاصِحًا شَفِيقًا فَأَبْصِرْ بَعْدَهَا مَنْ تُشَاوِرُ
وليس بشافيك الصِّدِيقُ^(٢) ورأيه غريبٌ ولا ذو الرأى والصِّدْرُ واغِرُ

وقال بكر بن أذينة ،

ولا أشير على من لا يُشاورني إذا طوى ذات يومٍ أمره دُونِي

قال أكرم بن صيفي : المشورة مادة الرأى .

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبد ، ولا على عدو ، ولا على متلون ، ولا على لجوج ، ولا تكوننَّ أول مستشار ، ولا أول مشير ، وإياك والرأى الفطير^(٣) ، وخف الله في المستشير ، فإن التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بني لا تقطع أمرًا حتى تشاور مرشدًا

فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم .

(١) بروى : ولا تجمل الصورى ، و... فريش الخواقي تابع ، ويروى : وأدن من الشوري الكتوم لسره ، ولم يؤيد مكان يوند ، ويروى : فإنك لا تستدرك الرأى بالمى .
وانظر الأبيات منسوبة لإشار في : المختار من شعر بشار ٢٠١ ، البيان والتبيين ٣/٢٧٠ ، التمثيل والمخاضة ٧٤ ، -مجموعه المعاني ١٧ ، زهر الآداب ٣/٢٣٦ ، الكامل ٢/٢٨٧ .
(٢) ١ : التميمي ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١/٣٢ ، المختار من شعر بشار ٢٠٧ .
(٣) ١ : الخطير . والفطير : المعجول ، وهو المعنى المناسب للسياق .

كان يقال : مَنْ اجْتَهَدَ رَأْيَهُ وَشَاوَرَ صَدِيقَهُ ، قَضَى مَا عَلَيْهِ .

قال عمرو بن العاص : ما نزلتُ بي قطَّ عَظِيمَةٌ فَأَبْرَمْتُهَا حَتَّى أَشَاوَرَ عَشْرَةَ
من قريش مرتين ^(١) فَإِنِ أَصَبْتُ كَانَ الْحِفْظُ لِي دُونَهُمْ ، وَإِنِ أَخْطَأْتُ لَمْ أَرْجِعْ
عَلَى نَفْسِي بِالْأُمَّةِ .

قال بعضُ الأعراب :

خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي صَدْرِي وَاحِدٍ أَشِيرًا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرِيَانِ
أَأْرَكِبُ صَعْبَ الْأَمْرِ إِنَّ ذُلُولَهُ بَنَجْرَانَ لَا يُقْضَى بِحِينَ أَوَانٍ ^(٢)

وأظن هذين البيتين من الأعرابي القائل :

لَقَدْ هَزَيْتَ مِنِّي بَنَجْرَانَ إِذْ رَأَيْتَ مَقَامِي فِي الْكَبْلَيْنِ أَمْ أَبَانَ
كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أُسَيْرًا مَكْبَلًا وَلَا رَجُلًا يَرْمِي بِهِ الرَّجْوَانَ ^(٣)

وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض
أمرائه وقضاته .

كان يقال : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لَا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالتَّفَرُّدِ ، وَلَا يَصْلُحُ الْآخَرُ
إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ ، الْمَلِكُ وَالرَّأْيُ ، فَإِنِ اسْتَقَامَ الْمَلِكُ بِالشَّرْكَاءِ اسْتَقَامَ الرَّأْيُ بِالاسْتِبْدَادِ ،
وهذا لا يكون أبداً .

(١) ساقطة من ب .

(٢) الأبيات الأربعة لعطارذ بن قران أحد بني صعصعة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمل
٤٤/١ ، شرح حماسة أبي تمام ٧٥/١ ، ويرمى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرجا الناحية ومثناها
الرجوان ، والشىء الذى يلقي في هذه الناحية ثم يلقي في الناحية الأخرى شىء لا يعبأ به .

قال صالح بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرُ لِيَبِيَّا وَلَا تَعْصِيهِ
وإن ناصحٌ منك يوماً دَنَا فَلَا تَنَأُ عَنْهُ وَلَا تُقْصِهٖ (١)

قال الأحنف : اضربوا الرأى بمضنه يبعض يتولد منه الصواب ، وتجنبوا منه
شدة الحزم ، واتهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذم العاقبة .

كان يقال : خذ الأمر مقبلاً ، فشرُّ الرأى : الدبرى (٢) .

قال الشاعر ، وهو القطامي :

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا (٣)

قال بعض العرب :

قَبْلَ الرَّمِيِّ يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقَبْلَ أَوْانِ الرَّمِيِّ تُمَلَّا الْكَنَانِ (٤)

وقال الفارسي : بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ، وأنشد :

تَدَارِكُ الْأَمْرَ قَبْلَ نُهْبَتِهِ أَبْلَغُ فِيمَا تُحِبُّ مِنْ دَرَكِهِ

(١) سبق البيتان في ص ٢٧٨

(٢) الرأى الدبرى : الذى يسنج بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى .

(٣) ديوانه ٤٠ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعضُ الحكماء : حقيق أن يُوكَّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبد الملك : اللحن هُجْنَةٌ (١) الشريف ، والمعجب آفة الرأي .

قال قتيبة بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفيًا ، ولم يوات نصيحًا .

قال بُزرجهر : أفرهُ الدَّواب لا غنى به عن السَّوط ، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبدُ الملك بن مروان : لِأَن أُخْطِئَ وقد استشرتُ أحب إلىَّ من أن أصيب من غير مشورة .

قال قتيبة بن مسلم : الخطأُ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تصيب .

قال المأهونُ : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشدهُ فيهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداراةُ حاسد ، والتحبُّبُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يستشيرُ في الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر في رأيها فضلًا .

كان يقال : ما من قومٍ تمالثوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا آتَبَّ الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قومٌ وُلُّوا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

(١) الهجنة : العيب والنقصية .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأ الرأي ، وحمل الوزر ، وازداد مرضاً .

قال الشاعر ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إذا الأمر أشكل إنفاذه ولم تر منه سبيلاً فسيحاً
فشاور بأمرك في ستره أخالك اللبيب المحب النصيحاً
فربتما فرجاً^(١) الناصحون وأبدوا من الرأي رأياً صحيحاً
ولا يلبث المستشير الرجال إذا هو شاور أن يستريحاً^(٢)

وقال آخر :

إن اللبيب إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاوراً^(٣)
وأخو الجهالة يستبد برأيه قتره يعتسف الأمور مخاطرأ^(٤)

وقال آخر :

وعجز الرأي مضياً لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرأ^(٥)

وقال آخر :

أنتم أناس عظام لا حلوم لكم لا تعلمون أجاب الرشد أم غاباً

(١) : كفف .

(٢) الأبيات في لباب الآداب ٧٥ ، ولم تنسب لنازل .

(٣) زيادة من ب .

(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ١/٩١ .

(٥) مجموعة العائر ٢٥ ، العقد ١/٧٥ ، البيان ٢/٢٩١ ، من غير نسبة ، واسب إلى يحيى بن زياد في معجم

لا تبصرون وجوه الرأى مُقبلةً وتبصرون إذاً وليناً أذناً^(١)

قال أبو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلم أحداً رضى الاستبداد وحده ، إلا رجل واحد مفتون ، يخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرجلين فاسق مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة .
يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ^(٢)

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العبدي الأعرابي^(٣) .

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا^(٤)

سئل الحسن البصرى ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستضيئوا بنار المشركين » . فقال : أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

(١) البیتان فی عیون الأخبار ١/٣٥ .

(٢) دیوانه ١/١١٥ .

(٣) ساقطة من بی .

(٤) مجموعة المعاني ٢٣ ، عیون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبي تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالي

القالي ٢/١٧٥ ، ونسبت فی الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بني مازن بن مالك بن عمر وبن تميم .

بابُ كتمانِ السُّرِّ وإفشاءه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَسْرَّ إِلَى أَخِيهِ سِرًّا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْشِيَهُ عَلَيْهِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرض نفسه للأثمه فلا يلومن من أساء الظنَّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما : يا بُنَيَّ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْنِيكَ — يَعْنِي عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ — فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا : لَا تَفْشِينَهُ لَه سِرًّا ، وَلَا تَفْتَابِنْ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا يَطَّلِعَنَّ مِنْكَ عَلَى كِذْبَةٍ .

قال أكرمُ بن صيفي : إِنْ سِرَّكَ مِنْ دَمِكَ ، فَانظُرْ أَيْنَ تُرِيْقُهُ .

كان يقال : احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم .

وكان يقال : أكرم ما ينم به النديرُ الكتمانُ .

قال فبسُ بن الخطيم :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ الزَّلَّادِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ تَعَمَّنُ سَأَلِي لَأَضْنِي
وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنِّي كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْخَلِيلِ أَمِينُ
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا اسْتَمْتَهُ مَكَانٌ بِسَوْدَاءِ الْفَوَادِ مَكِينُ

إِذَا جَاوَزَ الْإِنْسَانُ سِرَّهُ فَإِنَّهُ بِنَشْرِهِ وَإِفْشَاءِ الْحَدِيثِ قَبِيحٌ^(١)
 وفي مثل هذا : إن السر لا يسمى سرًّا حتى يُسرّه رجلٌ [واحد]^(٢) إلى
 رجلٍ آخر .

قال الصَّمَلْتَانِ الْعَبْدِيُّ :

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ^(٣)

وقال سابق :

فَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كُلُّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِنْسَانُ فَاشِيٌّ^(٤)

وقال آخر :

لِكُلِّ امْرِئٍ يَا أُمَّ تَمْرٍ وَطَبِيعَةٌ وَتَفْضِيلٌ مَا بَيْنَ الرَّجَالِ الطَّبَائِعُ
 فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرِّكَ ثَالِثٌ أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ ضَائِعٌ^(٥)
 وَكَيْفَ يُشِيعُ الْقَلْبُ سِرًّا وَفَوْقَهُ حِجَابٌ وَمَا فَوْقَ الْحِجَابِ الْأَضَالِعُ^(٦)

(١) يروى : بمضون ، ويمكنون ، والعشير بدل الحليل ، وما صنعتته مكان ائتمته ، ومقر بدل مكان ،
 وكنين بدل مكين ، وتكثير بدل إفشاء ، ونث مكان نشر .

التلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقين : حري خليق .
 والأبيات في الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو في ذيل الديوان ص ٨٢ ، وانظرها في الأمانى للقالى ١٧٧/٢ ،
 ٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، المستطرف ٢٤٥/١ ، والبيت الأخير في حماسة البحترى
 ٢٢٦ ، والكامل ١٧/٢ ، وقد نسبة فيه إلى جميل العنرى .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت في عيون الأخبار ٣٩/١ ، حماسة أبي تمام ٥٢/٢ ، لباب الآداب
 ٢٤٠ ، حماسة البحترى ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأشعر الجعفى .

(٤) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ١ : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد سبت الأبيات في الكامل ١٦/٢ إلى جميل العنرى ، ونسبت في معجم الشعراء
 ٣٢٥ إلى قيس بن حدادبة الحزاعي ، وفي حماسة أبي تمام ٢٢٦/١ سماه قيس بن منقلة الحزاعي .

وذهبت طائفة إلى أن السرّ ما أسررتّه في نفسك ، ولم تبده إلى أحد .

قال عمرو بن العاص : ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنني كنت به
أضيق صدرأ حين استودعته إياه .

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْعَمْرِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَعَبْدُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضِيقُ^(١)

وأنشد الأصمعي قال : أنشدني أعرابي :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنِ أَمْبُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَقْتُلُنِي نَمًّا
وَإِنَّ سَخِيفَ الرَّأْيِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ حَرِيْبًا بِكُتْمَانٍ كَأَنَّ بِهِ حَمِي
وَفِي بَيْتِكَ الْأَسْرَارَ لِلْقَلْبِ رَاحَةٌ وَتَكْشِفُ بِالْإِفْشَاءِ عَنِ قَلْبِكَ الْهَمًّا^(٢)
وَقَالَ سَجِيْمُ الْفَقْهَسِيِّ :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنِ أَذِيْعُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَيَّ قَلْبِي
وَإِنَّ ضَعِيفَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ^(٣)

ومثله قول الآخر :

لَا تُفْشِيْنَ سِرِّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيْحٍ نَصِيْحًا

(١) الكامل ١٦/٢ ، العقد الفريد ٧٧/١ ، لباب الآداب ٧٤٠ ، المستطرف ١/٢٤٥ .

(٢) محاضرات الأدباء ٦٠/١ ، مجموعة المعاني ٧٦ ، عيون الأخبار ١/٤٩ .

(٣) يروى : لكن أنعمها ، ولا أترك الأسرار ، ويروى : وإن أحق الناس بالسخر لا مرؤ . انظر

الكامل ١٨/٢ ، حياصة أبي تمام ٣٧١/٢ ، المستطرف ١/٢٤٦ .

فَأِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَالِ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا سَهِيحًا^(١)

وقال رجل من بني سعد :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثِ
إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي
وَأِنِّي حِينَ أَسَامُ حَمَلَ سِرِّي
وَلَسْتُ مَحْدَثًا سِـرِّي خَلِيلًا
وَأَطْوَى السِّرِّ دُونَ النَّاسِ إِنِّي
لَمَّا اسْتَوْدِعْتُ مِنْ سِرِّكَ تَوْمًا^(٢)
فَأَفْشَيْتَهُ الرَّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظُّلُومُ
وَقَدْ ضَمَمْتُهُ صَدْرِي^(٣) سُوُومُ
وَلَا عِرْسِي إِذَا خَطَرْتُ هُمُومُ
لَمَّا اسْتَوْدِعْتُ مِنْ سِرِّكَ تَوْمًا^(٤)

وقال المتنبي :

رِضَاكَ رِضَايَ^(١) الَّذِي أُورِ
كَفَّتِكَ الْمُرُوءَةَ مَا تَتَّقِي
وَسِرِّكُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ^(٢)
وَسِرِّكَ سِرِّي فَمَا أُظْهِرُ
وَأَمْنِكَ الْوُدَّ مَا تَعْهَدُرُ
إِذَا انْتَشَرَ السِّرُّ لَا يُنْشَرُ^(٣)

وقال حارثة بن بدر الغداني :

خَلِيلِيَّ لَوْلَا حُبُّ زَيْنَبٍ لَمْ أَسَلْ
أَفِي الْيَوْمِ لَقِيتُ الْمَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

(١) انظر البيهقي في مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، العقد الفريد ٧٦/١ ، الكامل ١٥/٢ ، حماسة البحري ١٠٦ .

(٢) ١ : سري .

(٣) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، والسبب فيه لي رجل من عبد شمس بن سعد .

(٤) ١ : رضائي .

(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أشر السر ، وقد نسبت أيضا إلى أبي العتاهية . ووردت في

ديوانه ٩١ .

خَلِيلِيَّ إِنِ افْشَيْتُ سِرِّي إِلَيْكُمَا فَلَا تَجْمَلَا سِرِّي حَدِيثًا مُبَدَّلًا
فَإِنَّ أُنْتَمَا أَفْشَيْتُمَاهُ فَلَا رَأَتْ عَيُونُكُمَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَمَّدًا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَمِيرُوكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ^(١)

وقال ابن ميادة واسمه الرماح :

يَا خَلِيلِيَّ هَجْرًا كَيْ تَرُوحَا^(٢) هِجْتُمَا لِلرَّوَّاحِ قَلْبًا قَرِيحًا
إِنَّ تَرُوحَا^(٣) لَتَعْلَمَا سِرَّ سَعْدِي تَجِدَانِي بِسِرِّ سَعْدِي شَحِيحًا
إِنَّ سَعْدِي كَمُنِيَّةِ الْمُتَمَنِّي جَمَعْتُ عِفَّةً وَوَجْهًا صَدِيحًا
كَلْتَنِي وَذَاكَ مَا نَلْتُ مِنْهَا إِنَّ سَعْدِي تَرَى الْكَلَامَ رَيْحًا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر^(٤) ؟ قال : أجحد المخبير . وأحلف

للمستخبير .

أسر رجل إلى رجلٍ سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : (٤) لا . بل (٤) نسيت .

قال أبو محجن الثقفي :

قَدْ أَرَكَبُ الْمَهْوَلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ^(٥)

(١) عيون الأخبار ١/٤٠ ، لباب الاداب ٢٤٢ . حساسة البحتري ٢٢٤ .

(٢) ١ : هجراني خروجاً .

(٣) ب : روحا .

(٤) ساقطة من ا .

(٥) ساقط من م ، وهو في ديوانه ٢٦ ، وصدر البيت به : وقد أجود وما مالي بنى فنع ، والفنم :

الفنم ، وفي النقد ١/٢٨ : قد أظعن الطمعة النجلاء عن عرس ، وانظره في عيون الأخبار ١/٣٨ .

وقال مسكين الدرامي :

وَإِنِّي أَمْرٌ مِّنِي الْحَيَاءُ الَّذِي تَرَى أَعِيشُ بِأَخْلَاقٍ قَلِيلٍ خِدَاعُهَا
أَوْ أَخِي رِجَالًا لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أَنِّي جَمَاعُهَا
يَظْلُونَ شَقِيًّا فِي الْبِلَادِ وَسِرَّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرَّجَالَ انْصِدَاعُهَا^(١)

وقال آخر :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلْتُ مَنِّي الضُّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَايِرَهُ^(٢) إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ^(٣)

قال أبو الشَّيْص :

صَنَعَ السِّرَّ فِي صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلُودٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
وَلَكِنَّهَا قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِظَةٍ يَرَى ضَيْعَةَ^(٤) الْأَسْرَارِ شَرًّا مِنَ الشَّرِّ
يَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ كَرَامَتُهُ فِعْلُهُ قَيْبَلِي وَمَا يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النساء على سركم ، يصلح لكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَخَتَمِ الضَّعِيفَةِ بِالْخَاتَمِ

(١) الأبيات في مجموعة المعاني ٧١ ، الأمالي ١٧٦/٢ ، الحماسة ٤٧٣/١ ، وفيها البيت الثاني :
وفتيان صدق .

(٢) ب : ضائره .

(٣) لباب الآداب ٢٤١

(٤) ١ : شيعه .

هَوَتْ بِي فِي حُبِّهَا نَظْرَةً هَوِيَ الْفَرَّاشَةَ فِي الْجَاحِمِ^(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَكُ نَيْلِي حَمَلْتَنِي أَمَانَةً فَلَا وَأَبِي لَيْلِي إِذَا لَا أُخُونُهَا

حَفِظْتُ لَهَا السِّرَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا يَحْفَظُ الْأَسْرَارَ إِلَّا الْأَمِينُهَا^(٢)

كان يقال : كل شيء تكتمه عن عدوك ، فلا تُظهِر عليه صديقك .

وقال آخر :

إِذَا كَتَمَ الصَّدِيقُ أَخَاهُ سِرًّا فَمَا فَضَّلَ الصَّدِيقِ عَلَى الْعَدُوِّ^(٣)

وقال آخر :

وَأَبْثَثْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مَرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ

وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِيفَةٍ إِذَا جَعَلْتُ أَسْرَارُ نَفْسِي تَطَّلَعُ^(٤)

وقال أبو الشيبان :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَى الْقَرَّاطِيسِ^(٥)

وقال ابن وكيع :

إِذَا كُنْتَ ذَا سِرٍّ تَخَافُ مِنَ الْعَدَا عَلَيْهِ ظُهُورًا فَاطْوِهِ دُونَ ذِي الْوَدِّ

(١) : للجاحم .

(٢) : عيون الأخبار ٤٢/١ ، الأمل للقالى ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .

(٣) : البيان ٣٨٠/٣ .

(٤) : انظر البيهقي في معاضرات الأدياء ٢/٥٥ ، البيان والتبيين ٣/٣٨٠ ، من غير نسبة ، وهما لبشار بن

برد ، كما في المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .

(٥) : عيون الأخبار ٤٢/١ ، شرح المختار من شعر لبشار ١٥٧ .

فِيأْرُبُّ خِلِّ حَالٍ عَمَّا عَهْدَتُهُ فِظَلٍ لِمَا قَدْ كُنْتُ أَوْدَعْتُهُ يُبْدِي
 وَقَالَ شَيْبِ بْنِ الْبَرْصَاءِ :

وَإِنِّي لَا كُفْمُنُ السَّرِّ عِنْدِي وَإِنِ اتَى لَذَلِكَ مِنْ عَهْدِ الْأَمَانَةِ حِينَ (١)
 كُفْمُونَ النَّوَى لَا يَشْعُرُ النَّاسُ أَنَّهُ تَوَى فِي رُفَاتِ الْأَرْضِ وَهُوَ دَفِينُ
 وَقَالَ آخَرُ :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ
 وَكُتْمَانِكَ السَّرِّ مِمَّنْ تَخَافُ وَمَنْ لَا تَخَوَّفُهُ أَحْزَمُ (٢)

وَقَالَ آخَرُ :

أُدَارِي خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بُوْدُهُ وَأَمْنَحُهُ وَوَدَى إِذَا يَتَحَبَّبُ
 وَلَسْتُ بِيَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ وَلَا أَنَا مُبْدِي سِرِّهِ حِينَ أَغْضَبُ

وَمَا أَنشده الرِّيَاشِي رَحِمَهُ اللهُ :

بِدَيْتِهِ قَبْلَ تَدْبِيرِهِ مَتَى رُمْتَهُ فَهَوَّ مُسْتَجْمِعُ
 وَفِي كَفِّهِ لِلْفَنَى مَطْلَبُ وَلِلسَّرِّ فِي صَدْرِهِ مَوْضِعُ (٣)

(١) : ١ بين .

(٢) البيتان للحسين بن علي بن أحمد النقيبي ، انظر معجم الأدياء ١٠/١٣٠ ، وانظرهما في لباب الأدياء ٢٤٢ ، محاضرات الأدياء ١/٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمي ، انظر الشعر والشعراء ٨٥٩ ، وفيه : بديته مثل تدبيره .

بَابُ الْحَرْبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَانْبِئْتُوا » .

قال أبو بكر الصّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ : احْرَصْ عَلَى الْمَوْتِ تَوْهَبُ لَكَ الْحَيَاةُ . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِيحُ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُتَقَدِّمًا^(١)
ومن هذا قول الخنساء :

نَهَيْتُ النُّفُوسَ وَهَوْنَ النُّفُوسِ سِ عِنْدَ الْكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا^(٢)

قال عمرُ بن الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ : كَمْ كُنْتُمْ فِي يَوْمِ كَذَا ؟
قال : كُنَّا مِائَةً ، لَمْ نَكْثُرْ فَتَتُوا كُلَّ وَنَفْشَلٍ ، وَلَمْ تَقُلْ فَنَذَلْ . قال : فِيمَ كُنْتُمْ تظهرونَّ عَلَى أَعْدَائِكُمْ ، وَلَسْتُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ ؟ قال : كُنَّا نَصْبِرُ بَعْدَ النَّاسِ هَنِيئَةً .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بني ! لا تدعون أحداً إلى البراز ، فإنه بغي^(٣) ، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبتة .

قدم وفد على صهر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

(١) نسب البيت في حساسة أبي تمام ٦٨/١ إلى الحسين بن حمام المري ، ونسبه في الأغانى مرة إلى الحسين ٢٦٧/١٢ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ٢٨١/١٢ ، ونسب في عيون الأخبار ١٢٥/١ إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٥/١ ، ماضرات الأدباء ١٤٥/١ ، عيون الأخبار ١٢٥/١ .

(٣) ب : نبي ، وما أثبتناه موافقاً لرواية العبد ، وببديها ليه : والباغي منصورع .

النهار . قال : فثي انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أو قام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره ۱۱ والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحد ثمومه بعدى^(١) ، أو أحدثته بعدكم ، ولقد استعملت يعلى بن أمية على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق^(٢) ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فتتوا كل^(٣) فنفسل ، ولم تقل فنذل .
لم يكن قبيل في العرب^(٤) ألف فارس^(٥) إلا ثلاث قبائل : مرة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

^(٦) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لعمر بن معدى كرب^(٧) : أخبرني عن السلاح . قال : سل عما شئت . قال : الرمح ، قال : أخوك وربما خانك^(٨) .
قال : التبل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب . قال : الترس ، قال : ذلك المجن و عليه تدور الدوائر . قال : الدرع ، قال : مشغلة^(٩) للرجال متعبة للفارس ، وإنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أمك على الثكل . قال : عمر : بل أمك .
قال : أخبرني عن الحرب ، قال : مرة المذاق ، إذا قلصت عن ساق ، من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهي كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتيية^(١٠) تسمى بزيتها لكل جهول

(١) ب : أجمتموه .

(٢) الفروق : موضع بديار بنى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان . وفي العقد ١/١١٨ ، كنا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) في العقد : وربما خانك فاقصف .

(٥) في العقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاورة في عيون الأخبار ١/١٢٩ وفي العقد ١/١١٨ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصريح الأول في النهاية ٣/٤١٢ . وضبط فتيية بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خُلَيْلٍ
شِمطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ^(١) مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ^(٢)

قال حذيفة بن اليمان: الفتنة تُلَقَّح بالعجوى، وتُنتَج بالشكوى. أخذ نصر بن
سيار^(٣) قول حذيفة هذا، والله أعلم، حين قال:

وإن الحرب أولها الكلام

وهي أبيات كتبها إلى مروان بن محمد:

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ
فإن النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَاهَا الْكَلَامُ
فقلتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَيْقَظُ أُمِّيَّةً أُمَّ نِيَّامٍ^(٤)

بلغ أبا الأغر^(٥) أن أصحابه، وقع بينهم شر، فوجه ابنه الأغر^(٦)، وقال له:
يا بني كن يدا لأصحابك على من قاتلهم، وإياك والسيف، فإنه ظل الموت، واتق
الرمح، فإنه رمالة المنية، ولا تقرب السهام، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها،
قال: فبم أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر:

(١) : تكهرت .

(٢) : العقد ١٠٩/١، وفي هامشه أنها نسبت لامريء القيس في العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة
الجاهليين، وانظرها في الشعر والشعراء، ٣٢٣، عيون الأخبار ١/١٢٨، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ . .
(٣) : سنن .

(٤) : العقد الفريد ١/١١٠، وفيات الأعيان ٢/٢٢٧، عيون الأخبار ١/١٢٨، ونسبها لأعرابي يدعى أبا مهيم
في محاضرات الأدباء ٢/٧٥ .

(٥) : ب : الفر، والمعجيج ما أثبتناه كما في العقد وغيره .

(٦) : ب : الآخر .

جَلَامِيدُ أَمَلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رءوس رجالٍ حُلِّقَتْ بِالْمَوَاسِمِ
وهذا الشعر هو :

تُغَطِّي نَمِيرٌ بِالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا وَكَيْفَ يُغَطِّي اللُّؤْمَ طَيُّ الْعَمَائِمِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسَّيَاطِ فَإِنَّا ضَرَبْنَاكُمْ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَإِنْ تَحْلِقُوا مِنَّا الرَّءُوسَ فَإِنَّا حَلَقْنَا رءوساً بِاللَّحَى وَالْمَلَاصِمِ
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا^(١) لَا يُشْتَرَى بِالذَّرَاهِمِ
جَلَامِيدُ أَمَلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رءوسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ بِالْمَوَاسِمِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في الصبر على الحرب قول نهشل بن حرّى بن ضمرّة :

ويومٍ كأنَّ الْمُصْطَلِدِينَ بِحَرْهٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قِيَامٌ عَلَى الْجَمْرِ
صبرنا له حَقٌّ تَقْضَى وَإِنَّمَا تَفْرَجُ أَيَّامُ الْكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ^(٣)

ومثله قول الآخر :

بكى صاحبي لما رأى الموتَ مُوقِنًا مُطِلاً كَأَطْلَالِ السَّحَابِ إِذَا اكْتَفَهَرَ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَدًا حَسَنُ الشَّاءِ^(٤) لِمَنْ صَبَرَ
فَا أُخِّرَ الإِحْجَامُ يَوْمًا مُقَدِّمًا وَلَا عَجَّلَ الإِفْدَامُ مَا أُخِّرَ الْقَدَرُ

(١) ساقطة من أ .

(٢) الأبيات لجريز ، ديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ١٢/٣ ، العقد الفريد ٢١٣/١ ، محاضرات الأدباء ٧١/٢ ، الكامل ٣٤٤/١ ، ونسبت في ذيل الأمل ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوي وانظر البيت الأخير في عيون الأخبار ١٣١/١ وفيها : يعلان بد أملاء .

(٣) يروى : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويبوخ مكان تقضى . انظر البيتين في شرح الحماسة للمرزوقي

٣٦٣/١ ، عيون الأخبار ١٢٨/١ ، العقد ١٢٥/١ ، الشعر والشعراء ٦١٩ .

(٤) ب : إلينا ، والأبيات في عيون الأخبار ١٢٥/١ .

ومن أحسن ما قيل في النظم في الصبر على الحرب^(١) ، قول قطري بن الفجاءة
التميمي الخارجي :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تُراعى
فإنيك لو سألت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تُطاعى
فصبراً في مجال الموتِ صبراً فإنيك لو سألت بقاء يومٍ
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عزٍّ فإنيك لو سألت بقاء يومٍ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حىٍّ فإنيك لو سألت بقاء يومٍ
ومن لم يُمتبِطْ يهرمَ ويسقمُ فإنيك لو سألت بقاء يومٍ
وقال أصرم بن حميد :

حَرَامٌ عَلَيَّ أَرْمَاحِنَا طَمَعُنْ مُدِيرٍ وَيَنْدَقُ قَدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورَهَا
مَسْلَمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى وَدَامِيَةٌ لِبَاتِهَا وَنُحُورَهَا^(٣)
وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعانِ والموتُ فيهما فَيُقْتَلُ مِنْ وَلِيٍّ وَيَسْلَمُ مَنْ ثَبَّتْ
وقد ذكرتُ في «باب الاعتذار» أحسنَ ما قيل في النظم ، في الاعتذار
من الفرار .

(١) ب : في التحريض على القتال .
(٢) المنع : اللذ والخضوع ، واليزاج : القصبة الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجبان ، ويمتبط : يمت شاباً
من غير علة ، والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ٩٦/١ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر
وثائق الأعتيان ٢٥٢/٣ ، لباب الآداب ٢٢٤ ، عيون الأخبار ١٢٦/١ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .
(٣) يروي : وتفرق منها بدل يندق قدنا ، ويروي صدر البيت الثاني : محرمة أكفاله خيلي على القنا ،
والبيتان في العقد الفريد ١١٧/١ ، وقد نسبا في مجموع المعاني ٣٧ إلى أبي تمام .

ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ، واللقاء والصدق في ذلك ،
قول عبد الشارق بن عبد العزى الجهني :

تنادوا يالَ بهثةَ يومَ صبرٍ^(١) فقلنا : أحسني ضرباً جهيناً
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ فجئنا جولةً ثم ارعويناً
فلما أن تواقفنا قليلاً أنحننا للكلاكلِ فارتميناً^(٢)
ولما لم ندع قوساً وسهماً مشيناً نحوهم ومشوا إلينا
تلاؤم مزنّة برقت لأخرى إذا جاؤوا بأسيافٍ رديناً^(٣)
شدنا شدةً فقتلت منهم مائة فتيةٍ وقتت قينا
وشدوا شدةً أخرى فجزوا بأرجلٍ مثلهم ورموا جويناً
وكان أخي جوينٌ ذا حفاظٍ وكان القتلُ للفتيان زيناً
فأبوا بالرماح مَكسراتٍ وأبنا بالسيفِ قد انحنينا
فباتوا بالصعيد لهم أحاحٌ ولو خفت لنا انكلمى سريناً^(٤)

(١) في ا ، م : يالهيبة قوم صبر ، وفي حماسة أبي تمام : يالبيهة لذرأونا ، ورواية حماسة البحري :
يالبيهة لذرأونا ، فقالوا أحسنى .

(٢) ب : فارقينا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعوينا : تراجعنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان ، ورواية حماسة
أبي تمام لهذه الشطرة : إذا جئنا بأسياف ردينا ، فالججلان : تقارب الخطو كشي القيد ، والرديان : مشية
فوق الحجلان ، وقتت قينا : أي فارسهم المدعو قين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الفئيط وخرابة لهم .
والسكلى : الجرحى . وانظر الأبيات في حماسة أبي تمام ١/١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت في حماسة
البحري ٦١ إلى سلمة بن الحجاج .

وقال المُدَيْلُ^(١) العَجَلِي :

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً ثَبَّتُوا لَنَا بِمُرْهَفَةٍ تَفَرَّى السَّوَاعِدَ مِنْ مُبَعِدِ
وَإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَاهُمْ بِصَوَارِمِ رَدَّوْا فِي سَرَائِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزَدِي^(٢)
وقال آخر :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بِخَطُونَا قَدَمَا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ^(٣)
وقال آخر :

إِنَّ الرِّمَاحَ نَصِيرَةٌ بِالْجَاسِرِ

وقال آخر :

وَقَلْتُ لِنَفْسِي إِنَّمَا هُوَ عَامِرٌ فَلَا تَرْهَبِيهِ وَانظُرِي أَيْنَ يَرْكَبُ^(٤)
قال قَطْرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ :

لَا يَرْكَبَنَّ أَحَدٌ إِلَى الإِحْجَامِ يَوْمَ الوَعْيِ مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَحْنَاءَ سَرَجِي بِلِ عِنَانِ لِحَامِي

(١) ب : المذيل ، وهو نحرير ، فهو المديل بن الفرخ العجلي ، شاعر إسلامي أموي يلقب بالعباب من رهط أبي النجم العجلي ، انظر حماسة أبي تمام ٣١١/١ .
(٢) في الحماسة : مثلوا بدل ثبتوا ، ونذرى مكان تفرى ، وصعد بدل بعد ، ومعنى ردوا في سرايل الخ : هروا ولاينا كما نهروا لايهم . وانظر البيهقي في حماسة أبي تمام ٣١١/١ .
(٣) نسب البيت في حماسة أبي تمام ١٠٦/١ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، ونسب في الأغاني ٣٠/١٥ ، الشر والشعراء ٣٤٢ ، السكامل ٦٨/١ إلى كعب بن مالك الأنصاري ، وانظره في البيان ٢٣/٢ من غير نسبة .
(٤) البيت لسكروز بن حفص القرشي ، انظره في حماسة البحتري ١٢ ، والرواية هناك : وانظري أي مركب .

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب^١ جذع البصيرة قارح الإقدام^(١)

قال عمر بن الخطاب: الجرأة والعجب غرائز يرضها الله حيث يشاء، فالعجبان يفر عن أهله وولده، والجريء يقاتل عمن لا يؤوب به إلى رحله.

ومن شعر لأبي يعقوب الخريمي:

يَفِرُّ جَبَانَ الْقَوْمِ عَنْ عَرْسِ نَفْسِهِ
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ
وَيَحْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ
وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ^(٢)

وقال قطري بن الفجاءة:

يَا رَبُّ ظِلُّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهَا
وَرَبُّ بَوْمٍ حَمَى أُرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ
مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ
خَيْلِي ائْتَسَاراً وَأَعْرَافُ الْقَنَا قِصْدُ
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظَلٌّ بِهِ
لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَعْيِ أَوْ نَارُهُ تَقْدُ
مُشْهَرًا مَوْقِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ
عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبِحُرِّ الْمَوْتِ مُطْرِدُ
وَرَبُّ هَاجِرَةٍ تَعْلَى مَرَاجِلُهَا
مَخْرَثُهَا بِمَطَايَا غَارَةٍ تَخْدُ
تَعْتَابُ أودية الأَفْزَاعِ آمِنَةٌ
كَأَنَّهَا أُسْدٌ يِقْتَادُهَا أُسْدُ
فَإِنْ أُمَّتٌ حَتْفَ أَنْفِي لَا أُمَّتٌ كَمَدًا
عَلَى الطَّمَّانِ وَقَصْرُ الْعَاجِزِ الْكَمَدُ^(٣)

(١) شرح الأبيات: الدريئة: الهدف، أو الحلقة التي يتعلم عليها الطعن: والأخفاء: الجوانب، ويروى بدلها الأكناف، وجذع البصيرة: فتي الاستبصار، أي وأنا على بصيرتي الأولى، وقارح الإقدام، متناه في الجرأة. والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٠، والحماسة طبعة بيروت ١/٤٤، الأمل للقال ٢/١٩٠.

(٢) في عيون الأخبار ١/١٧٢: عن أم رأسه، وفي العقد الفريد ١/١٦٣: عن أبيه وأمه، وفي معاضرات الأدباء ١/١٣١، ٥٧/٢: عن أم نفسه.

(٣) العقاب: طائر، وتجتلد: تتقاتل، والعقوة: شجر، وقصد: قاطعة أو متكسرة من الطمان، مخرثها: قطعها، ويروى مكان مخرثها: نجزتها. وتخذ: تسير سيراً حثيثاً، وقصر: أي حسب. والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٢، لباب الآداب ٢٢٥، الأمل ١/٢٦٥.

وقالت الخنساء :

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلَاقِي الحُرُوبَ بِالْأَلَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا^(١)

وقال حبيب الطائي :

وَدَنُونًا وَدَنُونًا حَتَّى إِذَا أَمَكْنَ الضَّرْبُ فَمِنْ شَاءَ ضَرَبُ
تَرَكَوا القَاعَ لَنَا إِذْ كَرِهُوا . نَمَرَاتِ المَوْتِ وَاخْتَارُوا الهَرَبَ^(٢)

وقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ ، ويقال : إنها لَعَمْرٍو بن مَعْدَى كَرِبَ :

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي رُكُوبِي فِي الصَّرِيحِ إِلَى المُنَادِي
مَعَ الفِتْيَانِ حَتَّى سُلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَبْلُ النِّجَادِ^(٣)

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا اشْتَجَرَ القَنَا جَعَلُوا القُلُوبَ لَهَا مَسَالِكَ
الْأَلَابِسِ—بين قُلُوبِهِمْ فَوْق الدَّرُوعِ لَدَفْعِ^(٤) ذَلِكَ^(٥)

ومن أحسن ما قيل في صفة^(٦) الطعن ، قول الحارث بن حِلْزَةَ :

فَرَدَدْنَاهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَنْخُ رُجٌّ مِنْ جَرِيَةِ الزَّادِ المَاءِ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللّاهُ وَمَا إِنَّ لِلخَائِنِينَ ذِمَّاءَ

(١) الديوان ١٤٦ .

(٢) الديوان ٢١١ .

(٣) ب : سل عظمي . والبيتان في عيون الأخبار ١/١٣٣ ، المعرف القريب ١/١٤٤ ، ١٤٢ ، وفيه : لمجايش الصريح ، وانظر البيت الأول في معجم الشعراء ٢٠٩ .

(٤) ١ : لوقع .

(٥) البيتان في أمالي القالي ١/٦٥ .

(٦) ب : صحه .

وقال الفندُ الزَّمَانِي (١) :

وطعنٍ كفمِ الزَّقِّ غَذَا وَالزَّقُّ مَلَانُ

وقال آخر :

وَمِثْلِكَ قَدْ كَسَرْتُ الرُّمُوحَ فِيهِ فَآبَ بَدَائِهِ وَشَفِيئْتُ دَائِي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء (٢) :

وقالوا : فارسُ الهيجاءِ ، قُلْنَا : كَذَاكَ الرُّمُوحُ يَكْلَفُ بِالكَرِيمِ

وقال آخر :

ضَمْتُ إِلَيْهِ بِالْقَنَاةِ قَيْصَهُ نَحْرًا صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ (٣)

وقال عنتره :

فَشَكَّكَتُ بِالرُّمُوحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاةِ بِمَحْرَمِ (٤)

وقال آخر :

صراعنا طريفًا بأرماحنا وَلَا تَأْكُلِ الْحَرْبُ إِلَّا السَّمِينَا

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي ، كان سيد بكر بن وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لمظم خلقته ، تشبها بفند الجبل أي القطعة منه ، مات نحو سنة ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى في حماسه أبي تمام ١/١٦٦ ، حماسه البحتري ٧٥ وفيها : «وهي» مكان غذا ، والأمل للقالى ١/٢٦٠ . والزق : وعاء الحمر ، وغذا : سال .

(٢) في الحماسة أن فائته هي بنت فروة بن مسعود من شعر فائته في رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابن مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرئ القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسه أبي تمام ١/٣٧١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكدم ، الكامل ٢/١٧١ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقال علي بن محمد^(١) العلوي ، المعروف بالمُبْرَقِ^(٢) ، صاحب الزنج :
يثنى الصَّارِمُ المَهْنَدُ والرُّمُ حُ الرُّدَيْنِيُّ والشُّجَاعُ الجَرِيُّ
حيثُ لا أَنَّنِي ولا يَتَنَّنِي بِيَدِي صارِمٌ ولا تَمَهَّرِي
مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى مَشْرِفِيًّا ماضياً^(٣) في يَمِينِهِ مَشْرِفِي
شَأْنِي الفَارِسُ المَدَجِّجُ في التَّقَةِ عِ إِذَا نَازَلَ السَّكَمِيَّ السَّكَمِيَّ
وَرَأَيْتُ الفَضَاءَ أَضْيَقَ ما يُسَدُّ مَيَّ بِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَطْوِي
يا ابنة العمِّ أوقدي انار في اللِّي لِ فإِنِّي لِكُلِّ آتٍ آتِيٌّ
أَكْرِمُ الضَّيْفَ ما اسْتَطَعْتُ لِأَنِّي مَطْعَمِي حاضِرٌ وكأسي روي
كيف لا تُرْهَقُ النُّفُوسُ لِشَخْصِي حِينَ أَغْشَى الوَغَى^(٤) وَجَدِّي عَلِي
ذو الثُّقَى والنُّبَلِ وَذو العِلْمِ والجِلْدِ مِ ومن خَيْرِ طِينَةِ الوَصِي
والَّذِي قالَ إِنَّهَ البَوْمَ مِني مِثْلُ هَارُونَ مِنْ أَخِيهِ النَّبِيِّ

وقال عبدة بن هلال :

يَهْوَى وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ سِلْوٌ تَنَشَّبَ فِي مَخَالِبِ ضَارٍ

(١) في ١ : علي بن أحمد وهو خطأ ، فهو علي بن محمد الوردزيبي العلوي ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي ، ظهر في أيام المهدي بالله العباسي سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاها ، حتى بلغ جيشه ٣٠٠ ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله في أيام المعتد سنة ٢٧٠ هـ أن يقتله . انظر الطبري ١١/ ١٧٤ ، الأعلام ٥/ ١٤٠ .

(٢) زيادة في فقط ، وليس هذا الاقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ١ : آب أبي .

(٥) ساقطة من ب .

فُئِرَى صَرِيحًا وَالرِّمَاحَ تَنُوشُهُ إِنَّ السَّرَّاءَ قَصِيْرَةَ الْأَعْمَارِ

وقال مهلهل :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مَنِ أَطَاقَ التُّزُولًا^(١)

وقال^(٢) ابن مقروم^(٢) الضبي :

وَدَعَوْا نَزَالَ فِكُنْتُ أَوْلَ نَازِلِ وَعَلَّامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وقال أعشى همدان :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً أَنَّ الْكُتَّابَ لَا يُهَيِّزُ مَنْ بِالْكَتُبِ
إِنَّ الْوَعِيدَ بظَهْرِ الْغَيْبِ مَعْجَزَةٌ فَإِنَّ أَرْدَتَ قَاتَلَ الْقَوْمِ فَاقْتَرِبِ

من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكُتُبِ في حدِّه الحدُّ بين الحدِّ واللَّعبِ^(٣)

وقال آخر :

وَنَخْرَجِ أخرجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعُ

من كان يهوى أهله فلا رجوع^(٤)

(١) ب : النزلا ، والبيت في محاضرات الأدباء ٥٧/٢ .

(٢) ساقط من ا ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبي ، شاعر مخضرم شهد القادسية وجلولاء أيام عمر ، ويعد من شعراء مضر المهديين . والبيت في عيون الأخبار ١/١٢٦ ، حماسة أبي تمام ١/٢٣ ، ويروى : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت في ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، العقد الفريد ١/١٦٩ ، عيون الأخبار ١/١٨٣ وفيه : من كان ينوى أهله ...

قال السموم بن عادياى اليهودى :

يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(١)

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كَأَنَّ الْجَبَانَ يَيْئَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

وَقَدْ تُدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطَلُ^(٢)

أشعار الجبناء

قال أيمن بن خريم :

إِنَّ لِلْفِتْنَةِ مَيْلًا يَبِينًا فَرُوَيْدَ الْمَيْلِ مِنْهَا يَعْتَدِلُ

فَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَأَقِمِ^(٣) وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَاعْتَزِلْ

إِنَّمَا يُسْعِرُهَا جَهَالُهَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَهَا تَشْتَعِلُ^(٤)

وقال آخر :

أَضْحَتْ تَشَجُّعِي هِنْدٌ وَقَدْ عَامَتْ أَنْ الشُّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ^(٥)

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيهِمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا

(١) حساسة أبي تمام ٢٨/١ ، البيان ٢٨١/٣ .

(٢) عيون الأخبار ١٦٥/١ .

(٣) ب : فأتهم .

(٤) الأبيات فى العقد الفريد ١٦٧/١ ، نهاية الأرب ٧١/٣ ، عيون الأخبار ١٦٣/١ ، وفيها كلها : ميطا بدل

ميل وما يعنى ، وفى العقد فاتمهز بدل آدم ، وفى عيون الأخبار فأتهم ، وهى موافقة للمسخة ب .

(٥) ساقط من أ . وفى العيون فقلت لها لأن الشجاعة ، وفيها : إلى حوبائها بدل نيرانها .

وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أُبْنِي فَعَالَهُمْ لَا الْقَتْلَ يَعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ^(١)
 لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْفِرْدَوْسَ جَنَّتَهُ^(٢) مَا يَشْتَهَى الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَرْبُ^(٣)

وقال أبو العمر المدني كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هَانَ عِنْدِي لِسَانُ الْعَارِ وَالْعَدْلِ فَلَسْتُ آآَفُ مِنْ جُبْنٍ وَلَا فَشَلٍ
 إِنِّي بَخَلْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا وَلَسْتُ بِالْمَالِ أَفْدِيهَا مِنَ الْبَخْلِ
 هِيَهَاتَ تَأْتِي لِي التَّعْرِيرَ فَلَسَفَةٌ تَرَى حُضُورَ الْوَعْيِ مِنْ أَكْثَرِ الزَّلْلِ
 مَتَى رَأَيْتَ شَجَاعًا مَاتَ بِالْأَجَلِ وَنَالَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا مَدَى الْأَمَلِ
 كَأَنَّ أَجَالَ شُجْعَانَ الْوَرَى خُلِقَتْ^(٤) فِي أَنْفُسِ الْبَيْضِ وَالخَطْمَةِ الذُّبْلِ^(٥)

وقال أيضاً :

إِنِّي أَضِنُّ بِنَفْسٍ لَا مُجَادَ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ السَّرْفِ
 مَا أَبْعَدَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِ الْجَبَانَ وَمَا أَحَلَّهُ بِالْفَتَى الْعَامِي عَنِ الشَّرْفِ^(٦)

وقال أيمن بن خريم :

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ وَقَدْ رَأَى تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بَنَا الْمِرَاسُ

(١) ب : لا الجند يعجبني منها ولا الالمب .

(٢) في العقد : لا والذي منح الأبصار رؤيته ، وفي العيون : لا والذي حجت الأنصار كعبته .

(٣) الأبيات لأبي القدر محمد بن أبي حمزة الطهوي ، اظهرها في عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد

١/١٦٦ ، مجموعة المعاني ٤٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .

(٤) ب : جعلت .

(٥) المحاسن والمساوي ٢/٢٤٥ .

(٦) معجم الصحراء ٢٦٩ ، وفيه : لاني بغات .. الخ .

فقال إن أظمتك غير نفسي ومالي غير هذا الرأسِ رأس^(١)

وقال الهذلي يصف جبانا :

تَحُولُ قَشَعِرِيْرَاتُهُ^(٢) دُونَ لَوْنِهِ فرائضه من خيفة الموتِ تُرْعِدُ^(٣)

وقال آخر :

وَكَتِيْبَةٌ لَبَسَتْهَا بَكْتِيْبَةٌ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي

فتركتهم تقصُّ الرِّمَاحَ ظُهُورَهُمْ من بين مُنْجَدِلٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ

ما كان يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ - وَقَتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ - لَا تَبْعَدِ^(٤)

وروينا أن مروان بن الحكم، دعا أيمن بن خريم إلى القتال بمرج راهط، فقال له :

إن أبي وعمي شهداء بدر، وعهدا إليّ ألا أقاتل مساما، ثم أنشأ يقول :

وَلَسْتُ بِقَاتِلِ رَجُلًا يُصَلِّي عَلَى سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ

له سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِثْمِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْهِ وَطَيْشٍ

أَقْتُلُ مُسَلِّمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ فَلَسْتُ بِنَافِعِي مَا عَشْتُ عَيْشِي^(٥)

(١) في الكامل أنهما لحبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وقيل لهما للأعور الشبي، وقد وردا في حماسة أبي تمام ٣٦٥/٢ بغير نسبة، وفيها : بغير جرم مكان وقد رأني، ومن حياة مكان غير نفسي، وفي معانرات الأدباء ٧٩/٢ : بغير نصح . وفي مجموعة المعاني ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشعير برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي، ديوان الهذليين ٣١٨/٢ .

(٤) يروي : من بين منعقر الجبين ومسند، ومن بين مقتول، ويروي : هل كان بدل ما كان، وحل ينفعي أن يقول نساءهم ... الح . ومعنى نفضت لها يدي أي أعرضت عنها، وتقص : تكسر، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمي (حيان بن الحكم) كما في حماسة أبي تمام ٦٥/١، عيون الأخبار ١/١٠٤، وانظرها أيضاً في حماسة الجعفرى ٥٠، العقد الفريد ١/١٦٤، محاصرات الأدباء ٧٩/٢ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأمين بن حُرَيْم مع عبد الملك بن مروان .

ولأبي النعمان كاتب الحسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكَرِّ بالكِرَارِ ولا عَلِيَّ الطَّعَانِ بالصَّبَارِ
هانت عَلِيَّ سَبَلَاتُ العَارِ وما أبالي قبلوا اعتذَارِي
أو وَسْمُونِي سِمَةَ الغَدَارِ (١) أنا طليق الرِّكْضِ والفِرَارِ
فديتُ نَفْسِي منه بالإضْمَارِ فلو تَرَانِي أو تَرَى إِحْضَارِي (٢)
لا أعرفُ اللَّيْلَ من النَّهَارِ خلّلتني عَجَلَانِ ذَا انْشِمَارِ (٣)
طِرْفَاً (٤) نجا من وَخْزَةِ البِيْطَارِ أَحْكِمَ منه الصَّنْعُ في المِضْمَارِ
أو عَدُوَّ عَيْرٍ غَيْرَ ما عِثَارِ أو كَنْجَاءِ النَّقْنِقِ الطِّيَّارِ (٥)

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير
عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عليّ وأنا حيّ ، أحب إليّ من أن يرضى عني
وأنا ميت .

وأسلم بن زُرعة هذا هو القائل (٦) ، وقد عبأ جيشاً عظيماً ليفزع به الخوارج ،

(١) ب : الفرار . (٢) ب : لإحصار .

(٣) ب : لإنسار . (٤) ب : طرباً .

(٥) شرح الكلمات : السبلات : جمع سبل بالتخريك ، وهو السب والشتم ، والإضمار : إعطاء الفرس
القوت بعد السمن لتنهول وتستطيع دخول السباق . والإحصار : ارتفاع الفرس في العدو ، وانشور : مر جاداً في
عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معالج الدواب ، والمضمار : موضع إضمار الخيل ، والنقنق :
الطليم ، أو النافر أو الخفيف .

(٦) ب : يقول .

فلمّا رأهم لم يفرّجوا ، وجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتُم (١) خارا لله لنا ولكم ، ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مرداس قال شاعرهم — وكانوا أربعين — وأسلم بن زُرعة في ألفين :

أَلْفًا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ رِجَالٌ أُرْبَعُونَ
كَذِبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَاكُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمُ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصِرُونَ (٢)

وجه أبو جعفر المنصور ، رُوِّحَ بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقى فيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا في هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحٍ أَنْ يَقْرُبَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَيَشْتَقِي بِي (٣) بَنُو أُسْدٍ
إِنْ الدُّنُوُّ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَعَلَّمَةٌ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ (٤)
قال : فضحك وأمر له بجائزة .

وقال أبو النضر :

ظَلَّتْ تُشَجِّعُنِي ضَلًّا بِتَضْلِيلِ (٥) وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيْرُ مَجْهُولِ

(١) سألطة من أ .

(٢) الأبيات لعيسى بن فانك الخطمي ، أحد بني تميم الله بن ثعلبة ، كما في السكامل ١٨٥/٢ ، وفي القند الفريد ١٧٣/١ ورد البيت الأول : أَلْفًا . ومن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١٦٣/١ وفيها : بأسك أربعونا .

(٣) ب : ليسفول .

(٤) البيتان في نهاية الأرب ٤٣/٤ ، وفيه : فتخزي بي بنو أسد ، وانظر معجم الأدباء ١١/١٦٧ :

(٥) ب : ضللا بتضليل تمريف ، وضلا بتضليل دعاء عليها بالضلال .

هل غير أن عدلوني أني فسيل
 الحرب تعقب من يصلي بها حزنا (١)
 والله لو أن جبريلاً تكفل لي
 الله خلصني منهم وفلسفتي
 وله أيضاً :

لستُ بدارِ الحربِ بوقافِ
 قد أمّن الله عدوي فما
 إذا رأيتُ الحربَ من فرسيحِ
 ولا على القرنِ ببطافِ
 يخافُ أرماحي وأسيافي
 خذرتُ أرجلي أي خذراف (٤)

(١) ب : جربا .

(٢) ١ : آ.ال .

(٣) المحاسن والساوي ، ١٤٤/٢ ، ١٤٥ .

(٤) المفروق : السريم الجري ، وانظر الآيات في المحاسن والساوي ، ١١٥/٢ ،

باب الاعتذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَلَيْتَ بَلِّ عَذْرَهُ ، مَا لَمْ يَعْلَمْ كَذِبَهُ » .

قال عمر بن الخطاب : لا تَلْمُ أَخَاكَ عَلَى مَا يَكُونُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ .

قال الأحنف : إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا اعْتَذَرَ أَحَدٌ فَسَلِمَ مِنَ الْكُذْبِ .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لو أَنَّ رَجُلًا شَتَمَنِي فِي أُذُنِي هَذِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيَّ فِي أُذُنِي هَذِهِ لَقَبِلْتُ عَذْرَهُ .

ومن النظم في معناه :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَا إِلَيْكَ فُلَانٌ وَقُعُودُ الْفَتَى عَلَى الضَّيِّمِ عَارٌ
قُلْتُ : قَدْ جَاءَنَا فَأُحَدِّثْ عُذْرًا دِينِي . الذَّنْبُ عِنْدَنَا الْاِعْتِذَارُ

وقال الأحنف : إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ ، فَتَلَقَّهُ بِالْبِشْرِ .

اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه ، ثم قال : لا يَدْعُونَكَ أَمْرٌ قَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيمَا لَمَّا لَا تَخْلُصُ مِنْهُ .

قال صالح بن أبي النجم :

وَلَرُبَّمَا جَاءَ الْفَتَى بِدِينِيَّةٍ وَوَرَاءَهَا مُعْذَرَةٌ لَهُ لَمْ يُفْهَمِ .

وكان يقال : اعتذار بمنج خير من وعد مطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلُومُنِي النَّاسُ فِيمَا لَوْ أَخْبَرْتَهُمْ
بِالْعُذْرِ مَنِّي فِيهِ لَمْ يَلُومُونِي

قال البحرى :

أَقْبَلَ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مِنْ يَرْضِيكَ ظَاهِرَهُ
إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرًا
وَقَدْ أَجَلَكَ مِنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا^(١)

وله أيضا :

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا
عُدَّتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟^(٢)

وقال محمود بن داود القياسي :

الْعُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّخْوِيفُ^(٣) وَالكَذِبُ
فَإِنْ أَسَأْتُ فَبِالنَّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِيكَ لِي أَرْبُ
لَمَّا مُنِّيتُ بِعَفْوِ مَالِهِ سَبَبُ

وقال أبو علي البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بَانَ
قَدْ تَطَرَّفُ الْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا
جَنَيْتُ ذَنْبًا فَعَيْرُ مُعْتَمِدٍ
فَلَا يَزِي قَطْعَهَا مِنْ الرَّشِيدِ^(٤)

(١) البيتان في ديوانه ٥٨/١ .

(٢) ديوانه ٦٣/١ .

(٣) ب : التصريف .

(٤) نهاية الأرب ١١٥/٢ .

وقال علي بن الجهم :

إِنَّ ذُلَّ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ خَطَّةٌ صَعِبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلًا بِهَا تَوَرَّطَهَا الْحُرُّ وَلَكِنْ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ
أَرْضَ لِلسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا رِفِ ذَنْبًا مِثْلَ الْإِعْتِذَارِ (١)

وقال آخر :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تُرَى لِي زَلَّةٌ وَلَكِنْ قِضَاءُ اللَّهِ مَا عَنَّهُ
إِذَا عَتَذَرَ الْجَانِي مَعَا الْعُذْرُ ذَنْبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ لَا يَقْبَلُ الْعُذْرَ مُذْ

كان يقال : مَنْ وَفَّقَ لِحَسَنِ الْعِذَارِ خَرَجَ مِنَ الذَّنْبِ .

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الوزير الكاتب (٢) ، فأساء الاعتذار
أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذاراً أشبه باستئناف ذنبٍ من هذا .

وللشافعي رضي الله عنه ، وقد قيل : إنما تمثل بها :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفْرَقَهُ عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمِ
إِنْ عَتَذَرِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمِ

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ٢٨٧/١ ، وفيه : إن بين السؤال ١٠٠ الخ .

(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ١٤٣/٢ .

(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدي ، كان أوحده الناس في عصره حذفاً وخبرة
مات سنة ١٧٠ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٩٧/١٣ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنشد للفراء من قوله :

أردتُ لكَيْمًا لا تُرى لى عَثْرَةٌ ومن ذا الذى يُعْطَى الكَمَالَ فَيَكْمُلُ^(١)

وقال محمود الوراق :

أراني إذا ما زِدْتُ مالا ورفعةً وخيرا إلى خيرٍ تزيَّدتُ في الشرِّ

فكيف بشكر الله إذ كنتُ إنعا أقومُ مقامَ الشكر لله بالكفر

بأى اعتذارٍ أم بأية حجةٍ يقولُ الذى يدري من الأمر : ما أدري؟

إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّراحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ^(٢)

قال أبو بكر الصولى ، أخبرنى أبو بكر بن عبد الله ، قال : سألنى أبو سليمان

الشاشى حاجة فاعتذرت بشغل فى تأخيرها ، فكتب إلى :

سَكَنْتُ نَفْسِي لَمَّا أَلَيْتُ حَبْلِي بِحَبَالِكَ

إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْ جَاءَ هَكَ نَفْعًا لَا بِعَالِكَ

لَا تَصَيِّرْ شُغْلَكَ الْيَوْمَ مَاعِذَارًا لِاطِّلاَبِكَ^(٣)

لَوْ تَفَرَّغْتَ مِنَ الشُّغْلِ لِاسْتَوِينَا فِي الْمَسَالِكِ^(٤)

وهذا عندى مأخوذ من قول أبي العتاهية :

ليسَ ذَا الشُّغْلِ عَاذِرٌ لَكَ عِنْدِي إِنَّمَا تُرْتَجَى إِذَا كَانَ شُغْلٌ^(٥)

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العكلى ، انظر أمالي القالى ٤٣/٢ .

(٢) الكامل ٣٢٨/١ ، زهر الآداب ٩٠/١ ، محاضرات الأدباء ١١٦/١ ، نهاية الأرب ٨٥/٣ .

(٣) ب . لا تصر ... لمطالك .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٦٦/١ .

(٥) ديوانه ٢١٦ ،

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تَنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
ولا ترتفع عَنَّا بِشَيْءٍ وَلَيْتَهُ كَمَا لَمْ يُصَغَّرْ عِنْدَنَا شَأْنُكَ الْعَزْلُ^(١)

وقال آخر :

وقد علمتُ لوَ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي أَنْ انْطَلَقِي إِلَى الْحَجَّاجِ تَغْرِيرُ
لئن رحلتُ إِلَى الْحَجَّاجِ مُعْتَذِرًا إِنِّي لِأَحْمَقُ مِنْ تَجَرِّي بِهِ الْعِيرِ^(٢)

وقال آخر :

لا تَرْجُ تَوْبَةَ مُذْنِبٍ خَلَطَ احْتِجَاجًا^(٣) بِاعْتِدَارِ

وقال ابن الدمينه :

بِنَفْسِي وَمَالِي مِنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بِيَعِضِ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
ولم يعتذرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ يَزَلْ بِهِ سَكْنَةً حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ^(٤)

وقال آخر :

فَلَا تَعْتَذِرَانِي^(٥) فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شَرَّارُ الرَّسَّالِ مِنْ مُسِيءٍ وَيُعَذَّرُ^(٦)

(١) لسب البيتان في معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبي علي البصير ، وانظرهما في زهر الآداب ٢٥٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأقيل القيني ، كما في المؤلف والمختلف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكثوم بن عمرو العناب كما في الكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره في المحاضرات ١١٢/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٢ ، البيان ٢١٥/١ ، حسنة أبي تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلاني .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

وقال آخر :

وما حَسَنَ أنْ يَمُذِرَ المرءُ نَفْسَهُ وليس له من سائرِ النَّاسِ عَازِرٌ^(١)

وقال آخر :

هي المقاديرُ فُلْمَنِي أو فَذَرُ إن كنتُ أَخْطأتُ فما أَخْطأَ القَدَرُ^(٢)

وقال آخر :

وعاجزُ الرأى مضياعُ لفرصته حتى إذا فات أمرُه عاتبَ القَدَرُ^(٣)

وقال آخر :

إذا عَيَّرُوا قالوا مقاديرُ قد جَرَّتْ وما العارُ إلا ما تَجَرُّهُ المَقَادِرُ^(٤)

قال بعض الحكماء : إياك وما يسبق للقلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره .

قال محمود الوراق :

أراني معَ الأحياءِ حيًّا وأكثري على الدَّهْرِ مَيِّتٌ قد تَخَوَّنَهُ^(٥) الدَّهْرُ
فالم يَمُتُ^(٦) مني لما مات مَيِّتٌ وبعضُ لبعضٍ قَبْلَ قَبْرِ البَيْتِ قَبْرُ
فيا رَبِّ قد أَحْسَنْتَ بَدءًا وَعَوْدَةً إلى فلم ينهضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فمن كان ذا عذرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فعُذْرِي إقْرَارِي بأن لَيْسَ لي عُذْرُ

(١) حماسة أبي تمام ١٥/٢ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المغانى ١٣ ، ٢٦ .

(٢) البيت من مزدوجة أبي العتاهية ، انظر ديوانه ٢٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، معجم الأدباء ١٢٧/٧ ،

عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٣) المقدم ١/٧٥ ، البيان والتبيين ٣٩١/٢ ، معجم الشعراء ٤٩٨ .

(٤) الأمل ١/٣١ ، عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٥) ١ : تقوفه .

(٦) ١ : يهب .

وفي الأشعار في الاعتذار من الفرار

قال الأصمعي : أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام

الخنزومي :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّىٰ عَالَوْا مُهْرِي بِأَشْقَرٍ مُّزِيدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يُحْزِنُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فصددتُ عنهم والأحِبَّةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مَفْسِدِ^(١)

وقال خلفُ الأحرر : أحسن ما قيل في الاعتذار في الفرار ، قول هبيرة بن أبي

وهب الخنزومي :

لَعَمْرُكَ مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسِيْفِي غِنَاءًا إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا نَبِيْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خَفْتُ ضَيْعَةً مَوْقِفِي رَجَعْتُ لِعَوْدِ كَالْهَزْبْرِ أَبِي الشَّيْبِلِ^(٢)

فر ابن مطيع^(٣) يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل

يجتهد معه في القتال ، ويقول :

(١) يروي : علوا فرسي ، ولا يضرر عدوي ، ويوم مرصد أبي معلوم . وانظر الأبيات في حماسة أبي عامر ١/٦٤ ، عيون الأخبار ١/١٦٩ ، حماسة البحتري ٥٠ .

(٢) يروي : خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفي ، ويروي البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجد لي مفعلا صدت كضرعام هزبر أبي الشبل

انظر حماسة البحتري ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٨ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي ، كان على قریش يوم الحرّة (حرّة واقم ، انظر في خبرها : معجم البلدان المجلد الثاني ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم يزل معه حتى قنلا سنة ٧٣هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٦/٣٦١ . وتروى الشطرة الأخيرة فيما يلي : لا بأس بالكرة بعد القرّة ، وانظر البيهقي في العقد ١/١٧٥ ، وحماسة البحتري ٥٣ ، عدا الشطرة الأخيرة .

أنا الذي فررتُ يومَ الحرِّه
والحرُّ لا يفرُّ إلا مرَّة
فاليومُ أجزي فرَّة بكرِّه
يا حبِّذا الكرَّة بعد الفرَّة

وقال أوس بن حجر :

أتوناً فردوا حافيتنا بزاعق^(١) من الضربِ ضرم النارِ في الحطبِ اليبسِ
وما بفرارِ اليومِ عارٌّ على الفتى إذا عرفتُ منه الشجاعةُ بالأمسِ^(٢)

قال الأحنفُ بنُ قيس : أسرعُ النَّاسِ إلى الفتنة ، أقلُّهم حياءً من الفرار .

وقال آخر^(٣) :

العبدُ يذنبُ والمولى يُقوِّمه والعبدُ يجهلُ والمولى يُعلِّمه^(٤)
إنِّي ندمتُ على ما كان من زللي وزلةُ المرءِ يتجوها تندمه

(١) ب : براعن ، والزاعق : الشديد الذي لا يهتمل .

(٢) نسب البيتان في شرح الحماسة للتبريزي ٢/٢٢٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا في العقد ١/١٧٢

لعمر بن معدى كرب ، ونسبهما في محاضرات الراغب ٢/٧٨ إلى عبد الله بن خلفاء .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ب : والموتى تعلمه .

بَابُ الْمَوَاعِيدِ

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾^(١) ، قال كعبٌ : كان لا يمدُّ أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظر رجلاً وعده سنة كاملة .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها .

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، وَالْمُنْتَظَرُ عبد الله بن أبي الحمساء^(٢) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ما وعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » ، وعن ابن عباس مثله^(٣) .

وقال المثني بن حارثة الشيباني : لأن أموتَ عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً .

قال بعض الحكماء : وعدُّ الكريم نَقْدٌ ، ووعدُّ اللئيم تَسْوِيفٌ .

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبي الحمساء العامري ، له صحبة ، سكن البصرة ، وقيل مصر . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٩٣/٥ -

(٣) ساقط من ب .

كان يحيى بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ،
ألا ترام يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفى بالضمان ، وَيَصْدُقُ في المقال ، ولولا
ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسن هذا المدح .

وكان يحيى بن خالد ، يقول : إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نُجْحَه ، لم
تتجاوب الأُفْسُ سُورِها ، فدَعِ الحاجةَ تختمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنَعِ
حُسنٌ موقعٌ ولفظٌ محَل .

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ،
لأنَّ (لا) الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبان سامة ، (ونعم) اللئيم تصدر
عن تصنع وفساد نية وقبح مآل .

أُشْدُ أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلَتِي وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةَ المَهْدَدِ
وإِنِّي وَإِنْ أُوْعِدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَخَلْفُ إِيمَادِي وَمَنْجَزُ مَوْعِدِي^(١)

وقال آخر :

لسانك أجلى من جنى النحلِ وَعَدُّهُ وَكَفَّاكَ بالمعروفِ أَضِيقُ من نَعْلِ
تُمْنِي الذي يأتيك حتى إذا انتهى إلى أَمَلِ ناولته طَرَفَ الحَبْلِ^(٢)

- (١) محاضرات الأدباء ٢٧١/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل
في القصد ٢٨٤/١ .

(٢) البيهتان لمصالح اللغوي ، انظر المستطرف ٢٣٤/١ ، عيون الأخبار ١٤٨/٣ . وفيهما : أضيق من نعل .

وقال زياد الأعجم :

للهِ دَرْكٌ مِنْ فِتْيٍ لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجُؤَا وَحَبِّذَا صِدْقِ الْبَنِيْلِ^(١)

وقال آخر :

وإن جُمِعَ الآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّهُ مِنْ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ^(٢)

قال ابن عيينة : وعد رجل^٣ ابن شبرمة عدة فظله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخيرُ أنفعهُ للنَّاسِ أَعْجَلُهُ وَلَيْسَ يَنْفَعُ خَيْرُهُ فِيهِ تَطْوِيلُ

ومثل هذا قول سابق :

وَأَخِيرُ مَا يُرْجَى بِلَاةٍ مُبَرَّحٌ وَأَفْضَلُ مَا يُرْجَى مِنْ الْخَيْرِ عَاجِلُهُ

وقال كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٣)

وقال الأشجمي :

وَعَدْتِ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَدِجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَيْتَرِبُ^(٤)

قال ابن منبّه : هكذا قرأته على البصريين ييترب^(٥) بالتاء ، وفتح الراء .

(١) عيون الأخبار ٣/١٤٦ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، المقعد ١/٢٨٢ .

(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٢١ .

(٣) ديوانه ٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتری ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ٣/١٤٧ .
نهاية الأرب ٢/١٢٢ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٤٧ ، فصل المقال ١٠٢ .

(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عُرقوب : إذا طَلَع نَخْلِي ^(١) ، فلما طلع أتاه فقال له : إذا بَلَح ، فلما بلح أتاه ، فقال : إذا زَهَى ^(٢) ، فلما زهى أتاه ، فقال : إذا أَرطَب ، فلما أَرطَب أتاه ، فقال : إذا تَمِر ، فلما تَمِر جَذَّه ليلاً ، ولم يُعطه شيئاً ، فضربت به العربُ المَثَل في خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مكلَّل بالسحاب أبداً ، ولا يمطر شيئاً .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلَّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : أنا والله منه في مواعيد تُهَيِّضُ العَظْم ^(٣) ، وَخُلْفٍ يَذْكَرُ العَدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجليه ، وأنشد :

أَمَلْتُ مِنْكَ نَوَالاً لَسْتُ أُدْرِكُهُ متى ^(٤) أَقُولُ الَّذِي أَمَلْتُ يَا تَيْبِي
أَفِي حَيَاتِي فَأَرْجُوهُ وَيَنْفَعَنِي أم في مماتي فَإِنَّ المَوْتَ يُعْنِينِي ^(٥)

وقال الشاعر :

فَلَا تَعِدْ عِدَّةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَلَا تَكُنْ مُخْلِقًا يَوْمًا لَمَّا تَعِدُ

(١) طالع النخل : أول ما يبدو من ثمرته .

(٢) زهى : تلون بصره .

(٣) تهبط العظم .

(٤) من أن .

(٥) محاضرات الأدباء ١/٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

لا تقولنّ إذا ما لم ترّدي أن يتمّ الوعدُ في شيءٍ نعمٌ
وإذا قلتَ نعم فاصبر لها بنجاح الوعدِ إن الخلفَ ذمٌّ^(١)

وروى لعمار الكلبي ، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه الله بالحقِّ وكن صادق الوعدِ فمن يخلف ميلم

وقال آخر :

إذا قلتَ في شيءٍ نعم فأتية
وإلا فقل لا واسترخ وأرخ بها
فإنَّ نعم دينٌ على الحرِّ واجبٌ
لثلاث يقول الناس إنك كاذبٌ^(٢)

وقال آخر :

إنَّ الكريم إذا حبَّك بموعدٍ
أعطاك سلساً^(٣) بغير مطالٍ^(٤)

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تعدُّ
واستبدتْ مرّةً واحدةً
وشفتْ أنفسنا بما تجبُّد
إنما العاجزُ من لا يستبد^(٥)

(١) ورد البيتان للمثقب العبدى أيضاً في حماسة البعثرى ٢٢٢ ، وأوردتها في العقد الفريد ٢٨٤/١ لابن أبي حازم ، وانظرهما والبيت التالي الذي نسبه المصنف لعمار الكلبي في محاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٢) محاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٣) ١ : أعطاك سلسلة .

(٤) البيت لأبي العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ... الخ .

(٥) سبق البيتان في ص ٤٥٧

وقال آخر :

تَمَنَيْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ حُسْنِ وَعْدِكُمْ
هَبُونِي لَمْ أَسْتَأْهِلِ الْعُرْفَ مِنْكُمْ
فَكُنْتُ كَمَنْ يَرْجُو مَنَالَ الْفَرَاقِدِ
أَمَا كُنْتُمْ أَهْلًا لَصِدْقِ الْمَوَاعِدِ

وقال عباس بن الأحنف :

مَا ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ بِيُخْلِهِ
لَوْ كَانَ عَلَّانِي بُوْعْدٍ كَأَذْبِ^(١)

وقال آخر :

إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصَلٌ لَدَيْكَ لِمَا^(٢)
يَسْنِي الصَّبَابَةَ فَلْيَسْكُنْ وَعْدُ

وقال آخر :

فَإِنْ تَدَعَيْ^(٣) نَجْدًا أَدَعَهُ وَمَنْ بِهِ
وَإِنْ كَانَ يَوْمُ الْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا
وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبْدًا نَجْدُ
فَلَا تَعْدُ لِي أَنْ أَقُولَ مَتَى الْوَعْدُ^(٤)

وقال محمد بن مُنَازِر :

أَنْزِلِ الْعَالَ وَلَا تَبْخُلْ بِهِ
لَا تَعْدُ شَرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلَا
فَإِذَا أَعْسَرْتَ بِالْمَالِ فَعِدْ
تُخْلِفُ الْوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

(١) ديوانه ٤٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦ ، العقد الفريد ١/٢٨٥ ، وفيه . ماشر من شغل الغواد . الخ .

(٢) ب : لنا .

(٣) ب : تسعني .

(٤) محاضرات الأدباء ٢/١٦ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ مِنَ الْمَدْحِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمرُ ، وأصدقهم حياءَ عثمان ، وأفضاهم على بن أبي طالب ، وأقرأهم أبيّ ابن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلتِ النبراء من ذى لهجةٍ أصدق من أبي ذرٍّ ، ولكلّ أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصارَ ، فقال : « إنكم لتقتلون عند الطمّع ، وتكثرون عند الفزع » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ دورِ الأنصارِ دورُ بني عبد الأشهل ، وفي كل دور الأنصار خيرٌ » .

وقال عليه السلام : « إن الله اختارني ، واختار لي أصحاباً وأنصاراً ، وجعل لي منهم وزراءً وأصحاباً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ نساءِ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قريشٍ ، أحناهنَّ على ولدٍ في صغره ، وأرعاهن لبعلي في ذات يده » .

ذُكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفياً ، وعلى الكافر تسياً ، وعن اللذة سلياً ، يتواضع حيث لا تُوهن نُصرتَه^(١) ، ويعلمو حين

(١) ب : يؤمن بقربه .

لا تخاف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثاني اثنين إذ هما في الغار ، وثاني اثنين في العريش ، وثاني اثنين في القبر .

قال الشعبيّ : لما مات علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نعم أخو الإسلام كنت يا أباي ، جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضى حين الرضا ، عفيف النظر ، غضيف الطرف ، لم تكن مداحاً ولا شتاماً ، تجودُ بنفسك في المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبوراً على الضراء ، مشاركاً في النماء ، ولذلك ثقلت على أكتاف قريش .

ذكر علي بن أبي طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسْكِنُهُ الحِلْمُ ، وَيُنطِقُهُ العِلْمُ .

ذكر علي بن أبي طالب عند صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ العَبْدِيِّ ، فقال : هو بالله عليم ، والله في عينيه عظيم .

قال معاوية ليزرار الصُّدَائِيّ : صف لي علياً . قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال : لتصفته . قال : أما إذ لا بد من صفته ، فكان والله بعيد الديق ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبارة ،

طويل الفكرة ، يقلب كفه ومحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ^(١) ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا يياس الضميف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يجيئنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكاه لهيئته ، ولا نتدثه لهظته ، وأشهد لقد رأيت في بعض مرافقه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ^(٢) ، ويبكي بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! غرّيتي غيري ، أإلى تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟ هيات ، هيات ، قد بايذنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح واحدها في حجرها .

مثل عبد الله بن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ما شئت من ضرر قاطع في العلم بكتاب الله ، والفقّه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبطن في المشيرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

نظر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولا ، فقال : والله لقد كنت ما علمت : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : السليم ، والسليم ، اللادوخ وسمى بذلك تيمنا بشفائه .

وقف على قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَدْرِي إِذَا أْزَمَعْتَ أَمْرًا بَأَى الْأَرْضِ يُدْرِكُكَ الْمَقِيلُ^(١)
 ثم قال :

فَتَى كَانَ يُدْزِبُهُ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفْتَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ^(٢)

وقال أبو خراش في الذي ألقى على أبيه رداءه^(٣) :

ولم أَدْرِ مِنْ أَتَى عَلَيْهِ رِدَاءُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ

ولأعرابي في يحيى بن خالد :

سَأَلْتُ النَّدَى هَلْ أَنْتَ حُ فَقَالَ لَا وَلَكِنِّي عَبْدٌ لِيَجِي بِنِ خَالِدٍ
 فقلتُ : شراءٌ ؟ قال : لا . بل وراثَةٌ تَوَارَثَهَا عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدٍ^(٤)

وقال آخر :

إِنَّ لِلنَّاسِ غَايَةً فِي الْمَعَالِي وَقَفُّوا عِنْدَهَا وَأَنْتَ تَرِيدُ
 قد تناهيت في المكارمِ والمَجْزُ دِ وَحَزَّتْ الْعُلَى فَأَيْنَ تُرِيدُ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظر مجموعة المغانى ٦ ، حماسة البجترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفي ، في رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبي تمام ٤٠٥/٦ ، أمالي الفالي ٧ / ٢ ، وقال في الكامل ١/١٣٦ ما نصه : يقول بعضهم : لأنه للأبيرد اللطاحي . هذا وورد البيت في حماسة البجترى مرتين ٩٨ ، ١٣٢ ، ونسبه في الأولى لسلمة بن يزيد ، وفي الثانية لليلى بنت سلمة ترمى أباها ، وانظره في عبون الأخبار ٦٧/٢ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلي ، وقد ذكر المصنف ها هنا أنه قال البيت في رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام في الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ٢/١٥٨ ، الحماسة ١/٣٣٣ ، وفيه : على أنه بدل لكتنه ، وانظر البيت أيضاً في معجم الأدباء ٣/٢٥٨ ، زهر الآداب ٣/١٥٨ .

(٤) المستطرف ١/١٩٣ ، المقدم الفريد ١/٣١١ .

ولحيب ويروي لإسحاق الموصلي :

إِنْ يَكُنْ شَيْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
عَقِدْتَ أَسْنَتَهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا فِيهِ لَا (١) تُحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكَ

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يُنْفَسُونَ حَتَّى مَاتَهُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِضِّ الْوُجُوهِ أَعْفَى أَحْسَابُهُمْ شِمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ (٢)

قال جبلة بن الأهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله لشمالك
أندى من يمينه ، وقفك أحسن من وجهه ، ولأمك أكرم من أبيه .

وقول الأبرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه (٣) مأخوذ من قول حسان هذا ،

وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وَأَنْتَ الَّذِي كَلَّمْنَا يَدِيكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
بَلَّغْتَ مَدَى الْجَارِيْنَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا وَلَمْ يَبْلُغِ الْجَارُونَ بَعْدُ مَدَاكَ (٤)
فَجَدَاكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمَ مِنْهُمَا . هُنَاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ

(١) ساقط من ب ، وهما لأبي تمام كما في ديوانه ١١٨ : يعيدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية
هناك للشطر الأول : إن يكن في الأرض شيء حسن ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، النوادر للقالى ١١٧ ، نهاية الأرب ١٨٩/٤ ، المستطرف ٣٠/٢ ، زهر الأدب
٢١٥/٤ .

(٣) ب : كله .

(٤) ساقط من ب .

وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ: (١)

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءً كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ بِدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ

وَقَالَ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ:

نَجْمٌ ظَلَامٌ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بِدَا سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبٌ

وَقَالَ آخَرُ:

دَرَارِي نَجُومٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بِدَا كَوْكَبٌ تَرَفُّضٌ (٢) عَنْهُ الْكَوَاكِبُ

وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ يَمْدَحُ بَنِي خُرَيْمٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ بْنِ حَارِثَةَ:

بَقِيَّةُ أَقْوَامٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبَّتْ لَظَلَّتْ مَعَدَّةٌ فِي الْعَمَلِ (٣) تَتَسَكَّعُ
إِذَا قَمَرٌ مِنْهَا تَغَوَّرَ أَوْ كَبَا بِدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

وَمَدَحُ بَعْضِ بَنِي عَمْرِو بْنِ إِخْوَتِهِ فَقَالَ (٤):

خَبْرٌ ثَنَاءٌ بَنِي عَمْرِو فَاثْمَرٌ أَوْلُو فَضُولٍ وَأَنْفَالٍ (٥) وَأَخْطَارِ

(١) الصحيح أن الأبيات لأبي الطمجان القيني (حنظلة بن المرقى) ، انظر السكامل ٣٩/١ ، وفيه : ولني من القوم الذين هم هم ، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ٤٣/١ ، المستطرف ١٥٧/١ ، وانظر البيت الأخير في حماسة أبي تمام ٢٥٨/٢ ، لباب الآداب ٣٦٧ .

(٢) ترفض : تتوارى أو تنكسر .

(٣) ١ : الدجى .

(٤) قبل الأول البيت في السكامل ٤٨/١ قوله :

بل أيها الراكب المفقى بشيبتيه . يبيكي على ذات خلخال وأسوار .

(٥) ب : وأنفال .

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جَاهِدُوا فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ
 هَيْئُونَ لَيْثُونَ أَيْسَارَ بَنُو يُسْرِ سَوَاسُ مَسْكُومَةٍ أَبْنَاءُ إِيسَارِ
 مَنْ تَأَقَّ مِنْهُمْ فَقَدْ لَاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَهْدِي بِهَا السَّارِي
 لَا يَنْطُتُونَ عَنِ الْعَمِيَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُعَارُونَ إِنْ مَارُوا يَا كَثَارَ (١)

وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب (٢) يمدح بهض بن غنم ، وكان
 أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابي غنمياً (٣)

قالت، الخنساء :

أَشْمُ أَبْلَجُ يَأْتُمُّهُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ ،
 وقال آخر :

إِذَا قِيلَ أَيُّ قَتَى تَعْلَمُونَ أَهَشُّ إِلَى الطَّعْنِ بِالذَّابِلِ

(١) يروى : بنو كرم ، و .. نقل لاقيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ، ويروى البيت الثان :

إن بسألوا الخبر يعطوه وإن شهبوا ككشفت أذمار حرب غير أغمار
 والمعنى : الأيسار جمع يسر من الميسر بالقداح ، والحرب تمدح بذلك باعتباره من علامات البذل والكرم ،
 وسواس مسكومة : يروضون المسكوم ويلون أمرها ، والمارة : اللوم والعيب .
 والأبيات بتمامها في السكامل ٤٨/١ ، وورد بعضها في معجم الشعراء ٣٠٦ ، زهر الآداب ٦٧/٤ .
 (٢) هو اليرندس السكلاي كما في الأمالي وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، أو ابنه عبيد بن اليرندس كما
 في السكامل ، يمدح به عمرو الغنويين .

(٣) أما السبب في هذا كما ذكره أبو عبيد البكري في التنبيه على أوهام القائل في الأمالي صفحة ٧٣ ، فهو أن
 فرارة كانت قد أوقعت بني بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ،
 وحدث بعد ذلك أن قتلت طيبي ، قيس الندامي الغنوي ، وقتلت عبس صريم بن سنان الغنوي أيضا ، فاستغاثت
 غنى بنى بكر وبني شارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فهدوا عنهم ولم يجيبوهم . فلم يزالوا متدابرين .
 وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المنفي في استجالة نسبة البيت إلى كلابي والسكن ما الذي يمنع من
 أنه قالها قبل أن يحدث التباين بين القبيلتين ؟ خاصة وأنني لم أجد اختلافا بين الرواة في نسبتها .
 (٤) الدينوان ٨٠ ، النبل والمحاضرة ٢٥٣ .

وَأَضْرَبُ لِلْقِرْنِ فِي مَفْرِقٍ^(١) وَأَعْطِمُ فِي الزَّيْنِ الْمَاحِلِ
أَشَارَتِ إِلَيْكَ أَكْفُ الْوَرَى إِشَارَةً غَمَرْتُ إِلَى سَاحِلِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم ، قول أبي الجهم المدوي في معاوية
رضي الله عنه :

تَقَلَّبَهُ . لَتَخْبِرَ حَالَتِيهِ فَتَخْبِرَ مِنْهَا كَرَمًا وَلِينًا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْدِنَا^(٣)

وفي هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان :

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالتَّدَى خُلُقًا
أَغْرًا أَيْضُ فَيَاضُ يُفَكِّكُ عَنْ أَيْدِي الْمُقَاتَةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرَّبْعَا^(٤)

وقوله أيضاً :

أَخْوَثُةٌ لَا تُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالَ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَسْمَلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٥)

(١) مضيق .

(٢) الأبيات لابن هرمة ، البيان ٣/٣٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .

(٣) يروي : إذا ملنا نميل ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦١ ، مجموعة المعاني ٤٥ ، معجم الأدباء ٣٢٧/١ ، وفي الأمل للقالى ١/٢٣٧ ما نصه : قال أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال : نميل على جوانبه . . الخ .

(٤) ديوانه ١٩ وفيه : أشم بدل أغر ، والعناة : الأسرى واحدها عان ، والربنى : حبل من ليف يوضع في عنق الأسير .

(٥) ديوانه ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١٠٩ .

وقوله أيضاً :

على مكثريهم رزق من يمتريهم وعند المقلين السماحة والبذل^(١)

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ردوه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريمة سدوا شعاع الشمس بالقرسان
لا يتقرون الأرض عند سوءهم لنطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم عند اللقاء^(٣) كأحسن الألوان^(٤)

والجيد من النظم لا يحصى كثرة ، وحسبنا أن نأتي منه بما يقرب حفظه للمذاكرة ، ويقوم بنهاء مورده في المجالسة .

قال عمر بن أمية الضمري^(٥) للنجاشي ، حين وجهه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الملك كأنك في الرأفة علينا منا ، لم نرُجك قط لأمر إلا لناه ، ولم نخفك قط على أمر إلا أمتناه .

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٤/٢١٧ .

(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٤/٢١٤ .

(٣) ١ : طلب العلاء .

(٤) لباب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول في العقد الفريد ١/١٢٦ .

(٥) ١ : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر الطبري ٢/٢٢٩ ،

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطفيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يبطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل .
مدح أعرابي رجلا فقال : كان ينفي في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها
ولا متشاغل عنها بنيرها .

وذكر أعرابي جلد أخيه ، فقال : ما بعثته في سواد إلا جلاه ومجاه ، ولا في
بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهدية الأعرابي قوما ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ،
ولم تفرهم السلامة المنظوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس
به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز ، فأحسنوا
المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كالمسك إن تركته عبق ، وإن خبأته عبق .
قال محمد بن زياد الحرثي :

تخالهم للعلم صما عن أئتنا وخرسا عن الفحشاء عند التفاخر
ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة وعند الحفاظ كالليوث الكواسر
لهم ذل إنصاف ولين تواضع بهم ولهم ذلت رقاب العشائر
كان بهم وصما يخافون عاره (١) وما وصمهم إلا اتقاء المعابر (٢)

(١) غارة .

(٢) الأبيات في أمالي القالي ٢٣٨/١ ، العقد الفريد ١٨٥/٢ ، وفيه : الخواذر مكان الكواسر ، وما ذاك إلا لاقاء مكان وما وصمهم إلا اتقاء .

وقال آخر :

لو قيل لابن محمد : ياذا الندى قل لا ، وأنت مخلد ما قالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حلت براحتيك عقالها^(١)

مدح أعرابي رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأى حذق بالصواب
كما يحذق الأريب .

أبني عمرو بن زياد العتكي على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان
فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ،
وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لأم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لى سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل في المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً ، ما ذكره
أبو علي البغدادي رواية عن شيوخه : أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رآه هشام بن عبد الملك وهو خليفة في حجة حجها ، وعلي يطوف بالبيت والناس
يفرجون له عند الحجر تعظيماً له ، وينظرون إليه مبجلين له ، فناظ ذلك هشاماً ،
فقال : من هذا؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، وما دحًا
لعل بن حسين :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

(١) البيتان لربيعة بن ثابت الرقي مدح العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، انظر معجم
الأدباء ١٣٥/١١ ، وانظر معاضرات الأدباء ١/٢٧٩ ، ٢٨٧ .

هذا ابن خير عباد الله كلهم
 إذا رآته قريش قال قائلها
 ينمي^(٢) إلى ذروة العز التي قصرت
 يكاد يمسه عرفان راحته
 يغضي حياءً ويغضي من مهابة
 بكفه خيزران ريحها عبق
 مشتقة من رسول الله نبعته
 ينجاب ثوب الدجى^(٥) عن نور غرته
 حمال أثقال أقوام إذا قرحوا^(٧)
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
 فليس قولك من هذا بضائره
 الله فضله قدما وشرفه
 من جدته دان فضل الأنبياء له
 سهل الخليفة لا تخشى بوادره
 مصدق الوعد^(١٠) ميمون تقيته

هذا التقي النقي الطاهر العلم
 إلى مكارم هذا ينتمي^(١) الكرم
 عن نيلها عرب الإسلام والعجم
 ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
 فلا يكلم إلا حين يتسم
 من كف^(٢) أروع في عرينه شم
 طابت عناصره والحيم^(٤) والشيم
 كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم^(٦)
 حلوا الشمال تحلو عنده نعم
 بجدته أنبياء الله قد ختموا
 العرب تعرف من^(٨) أنكرت والعجم
 جرى بذالك له في لوحه القلم
 وفضل أمته دانت له الأمم
 تزينه خلتان الحلم^(٩) والكرم
 رحب الفناء أريب حين يعتزم

- (١) ب : ينهي .
 (٢) ا : في كف .
 (٣) ب : الهدى .
 (٤) ا : مدحوا .
 (٥) ب : القم .
 (٦) ب : ما .
 (٧) ا : الخلق أيضا .
 (٨) ب : ينهي .
 (٩) ا : الخلق أيضا .
 (١٠) ا : الخلق أيضا .

أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعْمُ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَّمُ

وفيها أبيات لم أذكرها لأنني أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب في الحماسة^(١) للحرب بن عبدالله الليثي^(٢) في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . هذا وذكروا الفاكهي في أخبار مكة^(٣) ، قال : حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال حدثني ابن عائشة ، قال : أخبرني أبي ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلي بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حُلَّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل مكة ، من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حُلَّتِهِ ، فقالوا : هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولفاطمة^(٤) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هذه الأبيات^(٥) التي ينشدها الناس^(٥) .

(١) ورد في الحماسة ٢/٢٦٩ ، الأبيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع اختلاف في الترتيب .

(٢) في ١ : الليثي ، وهو تحريف ، ولم أعر على هذا الاسم المثلث في النص في الحماسة أو غيرها ، والأبيات منسوبة في الحماسة إلى الحزير الكناني ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك أحد بني عبد مناة بن كنانة وهو ليثي أيضاً كما في اللباب ٢/٥٣ ، وكذلك نسب للحزيرين البيتان السادس والسابع والأعاني ١٤/٧٤ ، والآمدى ٨٩ ، والبيان ١/٣٤٨ ، ونسب البيتان في باب الآداب ١٠٨ إلى التوكل بن عبد الله الليثي في مدح عبد العزيز بن مروان . ويبدو أن الاسم قد تداخل والتبس على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثي ، ولكن ما دام المصنف يذكر ما ورد في الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحزير بن عبيد الكناني الليثي ، وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، كتب سنة ٢١٢ هـ / ٨٨٥ م تاريخ مكة ، نشر المستشرق فستفلد منتخبات من الجزء الثاني منه مع تاريخ مكة المشرفة للأزرق في ليبرج سنة ١٨٥٩ ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٣/٢٣ .

(٤) ب : وفاطمة .

(٥) ساقطة من ١ .

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِهٖ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ

فذكر هذه الأبيات ولم يتمها ، قال الفاكهي : ويقال إن الرجل الذي قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن علي بن حسين ، قال : وحدثني أبو سعيد ، قال :
(١) حدثني الزبير ، قال (١) : قيل هذا الشعر في قُثم بن العباس ، قاله بعض شعراء أهل المدينة (٢) ، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مَكْرُوبٍ وَصَارِخَةٍ يَدْعُوكَ يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ

وأما قوله في الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علي بن عبد الله أمه زينب بنت علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول من قال : إن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن جعفر ، أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال : إنه في علي بن حسين ، لأن علي بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبد الملك إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفة عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد الله (٣) في محمد بن علي بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد ابن علي بن حسين بن أبي جعفر — وإن كان له في آية علي بن حسين — فلم يكن هشام يومئذ خليفة كما قال أبو علي في روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل في قُثم ابن العباس ، فليس بشيء ، وإنما ذلك شعر قيل في قُثم علي قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو (٤) هذا .

(١) ساقط من أ .

(٢) هو داود بن سلم ، أو خالد بن يزيد مولى قُثم ، وقد ورد البيت في البيان ١/٢٤٨ :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ فِي النَّاسِ ، يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ

(٣) انظر التعليق رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنِ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاءَ أنْ يترحمَا
تحيّةٌ من أوليتهِ منكِ نعمةً إذا زار عن شحطِ مزاركِ^(١) سلّمَا
فما كان قيسٌ هلكهُ هلكٌ واحدٍ ولكنهُ مُبينٌ قومٍ تهَدَمَا^(٢)

وقال آخر :

كريمٌ يُغضُّ الطرفَ فضلُ حياته^(٣) ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوانِ
وكالسيفِ إن لا يئتهُ لأن مئتهُ وحدها إن خاشنته خشان^(٤)

وللخريمي :

يَلامُ أبُو الفضلِ في جودهِ وهل يقدِرُ البَحْرُ ألا يفيضَا^(٥)

وقال أبو جعفر محمد بن منذر :

أتانا بنو الأملاكِ من آلِ برمكِ فيا طيبَ أخبارِ ويا حُسنَ منظرِ
لهم رحلةٌ في كلِّ عامٍ إلى العدى وأخرى إلى البيتِ الحرامِ المُستَرِ^(٦)
إذا نزلوا بطحاءِ مكةَ أشرفت بيحيي وبالفضلِ بنِ يحيي وجعفرِ

(١) بلادك .

(٢) نسبت الأبيات في وفيات الأعيان ١/١٢٦ إلى أبي تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبي تمام ١/٣٣٤ ، البيان ٢/٣٩٤ ، نهاية الأرب ٤/٢١٥ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .

(٣) ١ : في كل حالة .

(٤) في حماسة البحتري ١٦٢ : لأن مسه ، وانظرهما في حماسة أبي تمام ٢/٢٦٥ ، البيان ٢/١٩٤ ،

التمثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .

(٥) مجازرات الأدباء ٢/١٠٧ .

(٦) ١ : العتيق المطهر .

فَنظَّمِمْ بِنَدَادٍ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى
بِمَكَّةَ مَا حَجُّوا مَلَائِكَةَ أَفْعُرِ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِبُجُودِ أَكْفُهُمْ
وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرِ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ
وَنَاهِيكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرِ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ
غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَارِ مُصْرَصِرِ^(١)

وقال آخر في ابن شبرمة القاضي :

إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمَةِ
وَالعِزِّ وَالجُرْئُومَةِ الْمُقَدَّمَةِ
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ
تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرَمَةَ^(٢)

وقال آخر :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى
صَيَّرَ النَّاسَ كَلِمَهُمْ شِعْرَاءَ^(٣)

أنشد الأصمعي :

كُلُّ يَوْمٍ كَأَنَّهُ يَوْمٌ أَضْحَى
عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ يَوْمٍ فِطْرٍ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ
وغيرِهِمْ نَعَمٌ غَامِرَةٌ

(١) الغرانيق جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمه وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض ، والبازي : ضرب من الصقور ، ومصرصر أى يصبح صياحاً شديداً . انظر الأبيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، في معجم الأدباء ٥٧/١٩ ، وكلها ما عدا الأخيرين في وفيات الأعيان ٢٦٩/٥ .

(٢) البيتان ليحيى بن نوفل كما في البيان ٢٤٠/١ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر ، أبو الحجناء مولى المهدي ، انظره في الوزراء والكتابات ١٩٥ ، معجم الأدباء

٢١٦/٧ ، وفيات الأعيان ٣ ٢٠٤ .

فَبَابُكَ (١) أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارَكَ مَاهُولَةٌ حَامِرُهُ
 وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَمِينَ مِنْ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ
 وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيهِ (٢) أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ (٣) الْمَاطِرَةِ
 فَمَنْكَ الْعَطَاءُ وَمَنْى الثَّنَاءُ بِكُلِّ مَجْبَرَةٍ سَائِرَةٍ (٤)

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين (٥) وبهاء الملوك .

ومن المدح :

لَهُ خُلُقَانٌ لَمْ يَدْعَا لَهُ مَالًا وَلَا نَشَبًا
 سَخَاةٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ وَحِلْمٌ يَمْلِكُ الْغَضَبَا

وَقَالَ آخِرُ (٦) :

فَلَوْ كُنْتَ يَوْمًا كُنْتَ يَوْمَ سَعَادَةٍ تَرَى شَمْسَهُ وَالْمُزْنَ تَهْضِبُ بِالْقَطْرِ
 وَلَوْ كُنْتَ لَيْلًا كُنْتَ لَيْلَةَ صَيْبٍ (٧) مِنْ الْمُشْرِقَاتِ (٨) الْبَيْضِ فِي وَسَطِ الشَّهْرِ

وَقَالَ آخِرُ :

بَدِيهِتُهُ وَفِكْرَتُهُ سَوَاءٌ إِذَا مَا نَابَهُ الْحَدَثُ الْكَبِيرُ

(١) : هباتك .

(٢) : معتافاً فأندى .

(٣) : القيلة .

(٤) انظر الأبيات في معجم الأدباء ٢٢٩/١٩ ، الشعر والعمراء ٣٧٤ ، الأغاني ١/٣٣٣ .

(٥) : ساقط من ب .

(٦) : العابدين .

(٨) : المشرقات .

(٧) : صيف .

وأحزَمُ ما يكون الدهر رأياً إذا عمي^(١) المشاورُ والمشيرُ
 وصدُرُهُ فيه للهَمُّ اتساعُ إذا ضاقتْ عن الهَمِّ الصدورُ^(٢)

وقال حمزة بن بيض في مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغتَ لعشرٍ مَضَتْ من سِنِيَّك ما يبلغُ السَّيِّدُ الأَشْيَبُ
 نَهْمُكَ فيها جَسِيمُ الأُمُورِ وهَمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا^(٣)

وقال ذو الرمة :

عطاء فتى بَنِي وَبَنِي أَهْلِهِمْ فَأَعْرَضَ فِي المَكَارِمِ وَاسْتَطَالَ^(٤)

قال أبو اليقظان : ولي الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفى ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاء السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إِنَّ السَّامِحَةَ والمُرِيَّةَ والتَّدَى لِمُحَمَّدِ بنِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ
 قَادَ الجيوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ حِجَّةً يَا قُرْبَ سَوْرَةِ سُوْدُدٍ من مَوْلِدِ^(٥)

قال أبو اليقظان : وهو الذى جعل شيراز مسكرا ومنزلا لولاية فارس .

(١) غنى .

(٢) الأبيات لسلم الحاسر أو ابن نواس ، انظر مجموعة المعاني ١٧ ، الوزراء والكتائب ٢٠٣ .

(٣) نسب البيتان أيضا لى السكيت بن زيد الأسدى ، البيان والتبيين ١١٠/٢ .

(٤) ديوانه ٤٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .

(٥) الشعر لزياد الأعجم ، انظره فى محاضرات الأدباء ٧٦/١ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، المستطرف

٢٧/٤١ ، وسورة السؤدد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيثة :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم
من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا^(١)

وقال أبو النول الطموي يمدح قومه :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقوا فيهم ظنوني
معاشر لا يملوز المنايا
إذا دارت رحى الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بشر
ولا يجزون من غلظ بلين
ولا تبلى بسأتهم وإن هم
صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم ممنوعوا حمى الوقي بضرب
يؤلف بين أشات المنون
فكعب عنهم ظلم الأعدى
وداؤوا بالجنون من الجنون^(٢)

وقال آخر :

بديهة مثل تدييره
مقى رمتة فهو مستجمع
وفي كفه للفنى مطلب
وللسر في صدره موضع^(٣)

(١) ديوانه ١٤٠ ، التمثيل والمحاورة ٦٣ ، أمالي الغال ١١٨/٢ ، نهاية الأرب ٦٩/٣ .

(٢) يروي : فوارس مكان معاشر ، وبسى مكان بشر في البيت الثالث .

والزبون في الأصل الناقة التي تزين (تدفع) حالها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال لشدة هولها .
والوقى : ماء لبني مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .

انظر الأبيات في حسانة أبي تمام ١٧/١ ، ١٨ ، أمالي الغال ٢٦٠/١ .

(٣) سبق البيتان في ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع^(١) الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا .

قال النجاشي الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو الحارثي ،^(٢) من بني الحارث ابن كعب^(٣) .

إِنِّي أَمْرٌ قَلَّ مَا أُثْنِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَرَى بَعْضَ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَّرُ
لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى يُجْرِبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ الْخَيْرَ^(٤)

قال علي بن حسين : إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير ، أو شك أن يقول فيك ما يعلم من الشر .

(٢) ساقط من ١٠

(١) ب : واسع .

(٣) حماسة البحري ٢٣٣ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثاني في عيون الأخبار ٣/١٧٠ .

باب عيون من الدم

قالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه في البيت : فقال : « ائذنوا له فبئس ابنُ العشيّة ، أو قال : بئس أخو العشيّة ، ثم قال : إن من شرارِ النَّاسِ من اتَّقاءِ النَّاسِ لشرِّه ، أو تركه النَّاسِ لشرِّه » . هذا حديث ابن عينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسل .

قال الحسن : ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر .

كان يقال : من أظهرَ عيب نفسه فقد زكَّاهَا .

ذم بعضُ البلغاء رجلاً ، فقال : ما الحمامُ على الإصرار^(١) ، والدين على الإقتار ، وشدة السقم^(٢) في الأسفار ، بآلم^(٣) من فلان^(٤) .

قيل لأعرابي : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالمشوة^(٥) ، ويأكل الرشوة ، ويطيبل المشوة .

قال ثعلب : المشوة بالفتح : السكر ، والمشوة بالكسر : الريح .

(١) ب : الأصرار .

(٢) أ : السقم .

(٣) ب : بالأم .

(٤) وردت العبارة في الأمالي ١٠٦/٢ قريبة مما أثبتناه ونصها هناك : ما الحمام على الإصرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وطول السقم في الأسفار بآلم من لاقائه .

(٥) ب : بالمشوة ، ويقضى بالمشوة أي يتخبط في قضائه ويحكم على غيره هدي .

ذم رجلٌ رجلاً ، فقال : كان والله سيء الروية ، قليل التقية ، شديد السعاية ،
ضعيف النكاية .

ذم خالد بن صفوان شبيب بن شيببة ، فقال : ليس له (١) صديق في السر ،
ولا عدو في العلانية .

وذم أعرابي رجلاً ، فقال : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سؤف ،
وإذا حدث حلف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظراً حسوداً ، وتعرض إعراضاً
حقوقاً .

قال حسان بن ثابت :

أَبُوكَ - أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ فَبِئْسَ الْبَنِيُّ وَبِئْسَ الْأَبُ
وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُؤْيِيَّةٌ كَأَنَّ أُنَامِلَهَا الْعُنْظَبُ
يَبِيْتُ أَبُوكَ بِهَا مُعْرِمًا كَمَا سَاوَرَ الْمُهْرَةَ الشَّلْبُ (٢)

وقال أعرابي :

أَكْثَرُ مَا يَأْتِي عَلَى فِيهِ الْكُذْبُ وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلِيبٌ
حَيَّاكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي مَنقَلَبٌ (٣)

مر سفیان الثوري رضي الله عنه ، بقوم في السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

(١) : لا صديق ...

(٢) سائط من ب ، والأبيات في ديوانه ١٤٠ . والمنقلب : ذكر الجراد أو الأصفر منه .

(٣) ورد البيتان الأولان من هذا الرجز والثاني قبل الأول في عيون الأخبار ٢/٢٧٠ .

أما ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطةٌ عليها ، أخذها الشاعر فقال :

يا حجة الله في الأزواقِ والنِّمِّ يا محنة لدوي الأخطارِ والهيمِ
ما تراك أصبحت في نعماءِ ظاهِرةٍ إلا وربُّك غضبانٌ على النِّمِّ^(١)

قال بعض البلغاء : كفاني سقوطُ فلان إسقاطه^(٢) .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيما ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلي ، في إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسري :

لو كنت ماء كنت ماء أسينا أو كنت مرعى لم يردك الوردُ
أو كنت من شجرٍ لكنت إلاءةً أو كنت من ورقٍ نفاك الناقد^(٣)

قال الحرّ مازي :

فُبِحْتُمْ آلَ قُقيمٍ عَدَدًا لو كُنْتُمْ قَوْلًا لَكُنْتُمْ فَنَدًا
أو كُنْتُمْ ماءً لَكُنْتُمْ زَبَدًا أو كُنْتُمْ شَيْئًا لَكُنْتُمْ نَقْدًا
أو كُنْتُمْ لَحْمًا لَكُنْتُمْ مَعْدَدًا^(٤)

النَّقدُ : المَعزُ ، وفي المثل : لهو أذل من النَّقد .

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٤٥ .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقذ : ميمز الدراهم .

(٤) الفند : الخطأ في القول والكذب ، والغدة : كل عقدة في الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة

صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العروضي :

لو كان حَرْفًا كان لا مَعْنَى له أو كان ظَرْفًا لم يَكُنْ إِلَّا مَتَى^(١)

وقال آخر :

لو كنت ماءً كنتَ غَيْرَ عَذْبٍ . أو كنتَ سَيْفًا كنتَ غَيْرَ عَضْبٍ
أو كنتَ لَحْمًا كنتَ لَمْ كَلْبٍ أو كنتَ عَيْرًا كنتَ غَيْرَ نَدْبٍ^(٢)

وقال آخر :

لو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمَهْرِيرًا أو كنتَ رِيحًا كانتِ الدُّبُورَا
أو كنتَ غِيَا لم تكنْ مطِيرًا أو كنتَ ماءً لم تكنْ طَهُورًا
أو كنتَ نَخَا كنتَ نَخَّارِيرًا^(٣)

ومما أنشده ثعلب :

لِلَّهِ دَرَكٌ أَيْمًا رَجُلٍ يَبْنِي أَبُوكَ وَشَأْنُكَ الْهَدْمُ
لو كنتَ تَصَعَدُ فِي السَّمَاءِ كَمَا تَنْحَطُّ قَصْرَ دُونَاكَ النَّجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يَتَّبِعُونَ رجلاً قد أخذ في ربيعة ، فقال :

لا:^(٤) مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر .

(١) ا : لشيء ، ب : فيه شيء بدلا من لامتى

(٢) وردت البيت الأول في الكامل ٥٧/٢ : لو كنت ماء لم تسكن بعذب ، وانظر الأبيات أيضاً

في محاضرات الأدباء ١٥٤/١ .

(٣) الأبيات في محاضرات الراغب ١٥٤/١ ، الكامل ٥٧/٢ ، وتأتي الشطره الأولى فيه في آخرها ،

والمخ الرير : الدائب أو الرقيق .

(٤) ساقطة من ب .

قال القطامي :

ألا إنما نيرانُ قيس إذا اشتَبَوْا لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَابِ^(١)
 يقال : نَارُ الْحَبَابِ ، ونار أبي الحباب ، لكل نارٍ تراها العينُ ولاحقيقة لها
 قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

يا آلَ سفيانَ ما بالي وَبِأَلِكُمْ أتم كثيرٌ وفي الأحلامِ عُصْفُورُ
 وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قومًا :

لا عيبَ في القومِ من طولٍ ومن عِظَمِ جسمِ البغالِ وأحلامِ العَصَافِيرِ^(٢)
 وقال آخر :

قُبِحَتْ مَنَاطِرُهُمْ فحينَ خَبَرْتُهُمْ
 حَسَنْتَ مَنَاطِرُهُمْ لِقُبْحِ المَعْبَرِ^(٣)
 وقال آخر :

له صُورَةٌ تُعْمِي العُيُونَ سَمَاجَةً وإنْ تَخْتَبِرُ يَوْمًا فَأَقْبِحُ مَخْبِرُ

وقال محمد بن منذر ، في خالد بن طليق قاضي البصرة :

جَعَلَ الحَاكِمَ يَا لِلنَّاسِ مِنْ آلِ طَلِيقِ
 حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِي النَّاسِ بِحُكْمِ الجَائِلِيقِ

(١) البيت في ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٧٢/٣ .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) المحاسن والمساوي ١٩٢/١ .

يَدْعُ الْحَقَّ وَيَهْوِي فِي ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ
 أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلنَّهْصِ وَتَعْطِيلِ الْحُقُوقِ
 يَا أَبَا الْهَيْمِ مَا أَزِيَّتَ لِهَذَا بِخَلِيقِ
 (١) لَا وَلَا أَنْتَ بِمَا حَمَّلتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ
 حَبْلِهِ حَبْلُ غُرُورٍ عَقْدُهُ غَيْرٌ وَثِيقٌ (١)

وله فيه أيضاً :

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي فِي هَاشِمٍ سِرُّهَا وَاللَّبَّابُ
 إِنْ كُنْتَ لِلسُّخْطَةِ عَاقِبَتَنَا بِخَالِدٍ فَهَوَّ أَشَدُّ الْعِقَابُ
 أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَقَدْ ضَرَبَ النَّوْكَُ عَلَيْهِ الْحِجَابُ
 كَانَ قَضَاءَ اللَّهِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهَذَا عَذَابُ
 يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ (٢)
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي أَأْخَطَأُ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا (٣)
 وَقَالَ آخَرُ :
 فَإِنْ تُصِيبَكَ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ لَمْ تَنْبِكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ (٤)

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات في البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الأخيرين في الشعر والشعراء ٨٤٦ .
 والجائليق : كبير النصارى في بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية نقل عن البطريرك .
 (٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كماها في عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .
 (٣) ديوانه ١٤ .
 (٤) البيت لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ٦/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ لَقِيتَ جَفَاءً وَنَوْكَأَ كَثِيرًا
نَعَامٌ تَجُودٌ^(١) بِأَعْنَاقِهَا وَيَعْنَمُهَا نَوْكَأً أَنْ تَطِيرًا

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بَدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةِ وَتَرَكَتَ عَارًا^(٢)

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فَتَبَّهَمُ^(٣) قَدَرٌ لَمْ يَنْمِ
فِيَا قَبَّحَهُمْ فِي الَّذِي خُوُلُوا وَيَأْحَسُّهُمْ^(٤) فِي زَوَالِ النَّعْمِ^(٥)

وقال آخر :

خَيْرٌ مِنْكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ الْقُعُودُ

وقال آخر :

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَةَ^(٥)

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمْ مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِمْ رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) ب : تَجِير

(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .

(٣) ب : فَبَّهَمُ .

(٤) البيت لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسبها في محاضرات الأدباء ٨٦/١ إلى محمود الوراق .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١٦٢/١ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرَّعْ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فِعَالٌ عُكْلٌ^(١)

وقال أبو علي البصير :

لَعَمْرُ أَيْكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُعَى الْهَشِيمِ^(٢)

وللحطيطه في أمه ، لا عفا الله عنه :

تَنَحَّى فَاقْعُدِي مِنِّي بَعِيداً أَرَاكَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَلَمْ أَوْضِحْ لَكَ الْبَغْضَاءَ مِنِّي وَلَكِنْ لَا إِخَالِكَ تَعْقِلِينَا
أَغْرَبَالَا إِذَا اسْتُوْدِعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَّحِدِينَا
جَزَاكَ اللهُ شَرّاً مِنْ عَجُوزٍ وَلِقَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَا^(٣)

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر :

وَاصَلْتَ فِي شُرْبِ الشَّمُولِ^(٤) سَفَاهَةً حَتَّى غَدَوْتَ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلٌ
قال أعرابي : أتيتُ بغدادَ فإذا ثيابُ أجوادٍ على الأُمِّ أجساد ، إقبالُ
حظِّهم إِدبارُ حظوظ الكرام ، شجرٌ فروعُه عند أصوله ، شغلهم عن المعروف
رغبتهم في المنكر .

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى في باب الهدية .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ٨٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٨٦/٣ ، معجم الشعراء

٣١٤ ، السكامل ٢٨٢/٢ ، واقشعرت البلاد : أجدبت ، وصوح النبات : يبس وتشقق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو الباردة منها .

قال أبو العتاهية :

أذمُّ بَعْدَادَ وَالْمُقَامَ بِهَا من بَعْدِ مَا خَبِرَ وَبُحْرِيْبِ
 مَا عِنْدَ أَمَلَا كَيْهَا لِمُرْتَعِبِ (١) رَفْدُ وَلَا فُرْجَةُ لِمَكْرُوبِ
 خَلَّوْا سَبِيلَ الْعَلَا لِغَيْرِهِمْ وَنَازَعُوا فِي الْفَسُوقِ وَالْحُوبِ
 يَحْتَاجُ رَاجِي النَّوَالِ عِنْدَهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
 كَنُوزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَعَمْرِ نَوْجٍ وَصَبْرِ أَيُّوبِ (٢)

وقال آخر :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهَّاتَكَ كَانَ (٣) عِلْمًا إِذَا لِنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغِيُوبِ
 وَمَالِكَ فِي الْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ (٤)

وقال الناشئ :

لَوْ كَمَا تَجْهَلُ تَدْرِي كُنْتَ لِلَّهِ (٥) رَسُولًا

وقال حماد بن الزبيرقان (٦) في حماد عَجْرَدَ :

نَعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
 هَدَلْتُ (٧) مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْهَأُ الْحَدَّادُ

(١) ب : لم ترتب .

(٢) لم أعر على هذه الآيات في ديوانه المطبوع .

(٣) ا : عاد .

(٤) البيتان لأبي تمام ديوانه ٢٧ .

(٥) ب : والله .

(٦) ب : الزبير .

(٧) ب : هزلت . والآيات في الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيض من شرب المدامة وجهه فياضه يوم الحساب سواد

وقال رافع بن إبراهيم اليربوعي :

أستم أقل الناس تحت لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وأعجزهم بالشئ المحقر بينهم وأعجزهم عند الجسيم من الأمر^(١)

وقال أعرابي :

العبد يحب الهجاء لشينه ولك الهجاء إذا هجيت جمال

لم يبق عار في البرية كلها إلا وأخبت منه فيك يقال

وقال أبو عيينة^(٢) :

خالد لولا أبوه كان والكلب سوا

لو كما ينقص يز داد إذا نال السماء

^(٣) أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء

إن من كان مسيئاً لحقيق أن يساء^(٤)

وله أيضاً :

داود محمود وأنت مذمم عجباً لذلك وأنتما من عود

(١) ورد البيت الأول في حاشية أبي تمام ٢/٢٤٦ منسوباً إلى عوف القوافي .

(٢) هو أبو عيينة بن الماهب بن أبي صفرة كان من أطعم الناس وأقربهم مأخداً في الشعر وأقلهم تكافاً ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٣) ساقط من ب ، والأبيات في الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان في غاضرات الأدباء ١/١٦٣ ، والثاني في المشمل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قالها في هجاء ابن عمه خالد بن يزيد والي جرجان .

ولربُّ عودٍ قد يُشَقُّ لمسجدٍ نصفاً وسائرُهُ لحشٌّ يهودٍ^(١)

وقال الفرزدق :

أترجو^(٢) كليليًّا أن تَجِيءَ صِغارها
بِخَيْرٍ وقد أَعْيَا عَلَيْكَ كِبَارها^(٣)

وقال أبو نواس :

لأبي نوحٍ رَغِيفٌ أبدأ في حجرٍ دَائِيه
بِرَّةٍ تَمْسَحُهُ الدَّمُ رَ بَكُمُّ وَوَقَايَه^(٤)
وله كَاتِبٌ سُوءٌ خَطٌّ فِيهِ بَعْنَايَه
فسيكفِيكُمُ اللهُ إِي إِلَى آخِرِ آيَاهِ^(٥)

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَنَدَانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمَانَ آلَا وَكَنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ^(٦)

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قباة لا تدرى أقباة

(١) الحش : المسلح والمخرج الذي يقضون به حوائجهم . وانظر البيتين في محاضرات الأدباء ٦٢/١ الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ٣٨/١ ، ٣/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٧٢/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقباية .

(٥) ديوانه ٣١٢ ، المحاسن والساوى للبيهقي ٢٠٢/١ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيتين في ديوانه ٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ .

هو أم دُؤَاج^(١) ، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدري أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاطَ لي عَمْرُو قِبَاءٍ لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءٌ

(٢) قَلْ لِمَنْ يَسْمَعُ هَذَا أَمْدِيحٌ أَمْ هِجَاءٌ^(٣)

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماء .

ولرجل من بني تميم :

أَمِنْ عَوَزِ الرَّجَالِ وَهُمْ كَثِيرٌ حَبًا نَصْرُ يَأْمُرْتَهُ^(٤) عَقِيلًا

فَلَوْ بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ لَثِيمِ سَمِعْتَ لَعُودِ مَنْبَرِهِ عَوِيلًا

وقال آخر :

مِنْ دُونَ سَيْبِكَ لَوْ لَيْلٍ مُظْلِمٍ وَخَفِيفُ رَائِحَةٍ وَكَلْبٌ مُرْصَدٌ

وَالضَيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ^(٥)

وقال آخر :

وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صَدَقِ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا

إِذَا الْحَسْبُ الرَّفِيعُ تَعَاوَرَتْهُ بِنَاءُ الشُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا^(٥)

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المعطب الثقيل .

(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان في القمد ٤١٠/٥ إلى بشار بن برد ، وانظرهما في محاضرات

الأدباء ٣١٨/٢ .

(٣) ب . بامرأته .

(٤) في عيون الأخبار ٣٢/٢ : نافجة مكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهي مأخوذة من أوسد

الكلب بالصيد أي أغراه ، والأسود السالخ : الأفعى ، ووصف بالسالخ لأنه يسلم جلدته كل عام .

(٥) الكامل ٦٧/٢ ، عيون الأخبار ١١٢/٢ .

وأحسنُ من هذا :

لسنا وإن أحسابنا كَرُمَتْ يوماً على الأحسابِ تَسَكَلُ
بَنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وتُفَعَلُ مثل ما فَعَلُوا^(١)

وقال آخر :

إن تلقى ريبَ المنايا أو تُرَدِّفها^(٢) لم تُبَكِ منك على دينٍ ولا حَسَبِ

وقال آخر :

وإن تُصِيبَكَ من الأيامِ قَارِعَةٌ لم أَبْكِ منك على دُنْيَا ولا دينٍ^(٣)

قيل لمسامة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبنى ، وجرير يخرب ،
وليس بقوم الخراب شئ .

قال أعرابي في سعيد بن سلم^(٤) :

مَدَحْتُ ابنَ سَلَمٍ والمَدِيحُ مَهْزَةٌ فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابُ
لِكُلِّ أَخِي مَدِيحٌ ثَوَابٌ يُعِيدُهُ وليس لمَدِيحِ البَاهِلِيِّ ثَوَابٌ^(٥)

(١) في ١ : نسير كما كانت أوائلنا نسير ، والرواية للشطرنج الأولى في نوادر القالي ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيهقي في الكامل ١/٩٤ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ونسبها في حساسة أبي تمام ٢/٣٣٩ إلى المتوكل الليثي ، وانظرهما في زهر الآداب ١/٧٩ .

(٢) ب : تردفنا ، أ : تردفنا .

(٣) سبقت نسبه في العقد ٦/١٧٦ لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير انظر ص ٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة في المصون لأبي أحمد العسكري ٢١ ، وفيه : جائحة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) محاضرات الأدباء ١/١٨٤ ، الكامل ٢/٢٣ ، عيون الأخبار ٢/٣٢ ، مع تقديم الثاني على الأول ، العقد الفريد ١/٣١١ .

قال أبو بكر السّامري :

يا شاعراً يهتكُ من عقلِهِ أضعافاً ما يهتكُ من عرضِي
 إذا هجاني جاءني شعْرُهُ وبعضُهُ يضحكُ من بعضِ

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بَابُ الْمُعْتَلِّ وَالْحُمُقِ

أما المعتلُّ فقد أوردتُ في معناه واشتقاقه والدلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنَّظم كتاباً كافياً ، ونوردها هنا من صفات العاقلِ والأحمق ما تحسَّن به المذاكرة ، ويجمل إيرادُه في الجعاسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يُعْجِبُكُمْ إِيْمَانُ الرَّجُلِ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا عَقَدَتْهُ عَقْلُهُ »

وروى عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قال : « حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ ، سَاعَةٌ يَحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يَنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يُفْضِي فِيهَا إِلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِمَيُوبِهِ ، وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَسَاعَةٌ يَخْلِي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَدَاتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى هَذِهِ السَّاعَاتِ ، وَإِجْمَامٌ^(١) لِلْقُلُوبِ . وَحَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَظْمَنَ^(٢) إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ : زَادَ لِمَعَادِهِ ، وَمَرَمَةٌ لِمَعِاشِهِ ، أَوْ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ مُحْرَمٍ . وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ ، مَالِكًا لِلسَّانَةِ ، مُقْبِلًا عَلَى شَانِهِ » .

أوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السلام : أتدرى لم رزقتُ^(٣) الأحمق ؟ قال : لا . قال : ليعلم العاقلُ أن الرزقَ ليس باحتيال .

(١) : ١ : إجمام .

(٢) : ١ : يظمن .

(٣) : ١ : خلقت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من حُرْمَةٍ فقد حُرِمَ خَيْرَ الدنِيا والآخرة : عقلٌ يدارى به الناس ، وحِلْمٌ يردُّ به السفية ، وورعٌ يحجزه عن المحارم » .

افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح في النار ؟ إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلقٌ فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلا فالجمار خير منكما ، ولستما خيراً من أحد .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : العاقلُ من لم يحرّمه نصيبه من الدنيا حظّه من الآخرة .

قال علي بن أبي طالب في وصيته لابنه : لا مالَ أَعُوذُ^(١) من العقل ، ولا فقر أشدّ من الجهل ، ولا وِحدةٌ أَوْحَشُ من العُجب ، ولا مَظَاهِرَةٌ كالمشاورة ، ولا حَسَبٌ كحَسَبِ الخلق .

كان يُقالُ : إذا كان علم الرجل أكثرَ من عقله ، كان قيناً أن يضرّه علمه .

قال عمرو بن العاص : ليس العاقلُ الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير^(٢) الشرين .

قال العُتبيّ : العقلُ نومان ، فأحدهما ما تقرّد الله بصنعمته ، والآخر ما يستفيده

(١) : أعدد .

(٢) : شر .

المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قَوِيَ كُلُّهُمَا صاحبه ، كما أن النار في الظلمة نور للبصر ، وأنشد :

إذا لم يكن للمرء عقلٌ يزيئُهُ مع الناس لم يجعل له مشفقٌ عقلاً (١)

وقال آخر :

ولا خيرَ في حُسنِ الجُسومِ وطولِها إذا لم يزين حُسنَ الجُسومِ عُقولُ (٢)

وقال أردشير بن بابك : نموُّ العقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمّا بعد ، فإنَّ العقلَ المُفردَ لا يُقوى به على أمر العامّة ، ولا يُكفَى به في أمر الخاصّة ، فأحْيِ عقلَكَ بعلم العلماء والأشرافِ من أهل التجارب والمروءات ، والسلام .

قال أيوبُ بنُ القُرَيْبِ : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقٌ ، وفاجرٌ ، فالعاقلُ : الدّينُ شريعته ، والحلمُ طبيعته ، والرأى الحُسنُ سَجِيَّته ، إن نطق أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن كُلم أجاب . والأحمقُ : إن تكلم بهجلاً ، وإن حدّث وهل ، وإن استُنزلَ عن رأيه نزل . وأما الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وإن صحبته شانك .

قال مطرفُ بنُ الشَّخِيرِ : عُقولُ كلِّ قومٍ على قدرِ زمانهم .

(١) م : فليجعل له مشفقاً عقلاً

(٢) يروى ونبلها مكان ماولها ، وقد نسب البيت في البيان والتبيين ٢/٢٢٩ إلى مالك بن حمار الشحني الفزاري ، وفي هامش أمالي القالي ١/٣٩ أنه لهذيل بن ميسر الفزاري ، وورد في حاشية أبي تمام ١٤/٢ لرجل من بني فزارة ولم يعينه ، ونسب في معجم الأديباء ١٨/٦ ، ٣٠٦ إلى أبي العيلاء .

كان يقال: ستّ خصال تُعرّف في الجاهل: الغضبُ في غير شيء، والكلامُ في غير نفع، والعطيّة في غير موضعها، وإفشاء السرّ، والثقة بكلِّ أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

قيل لابن شبرمة: ما حدّ الأحق؟ قال: لا حدّ له.

سئل بعضُ الحكماء عن العقل، فقال: الإصابة بالظنون، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان.

كان يحيى بن خالد، يقول: ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربابها: الكتابُ على مقدار عقل كاتبه، والرسولُ على مقدار عقل مُرسِله، والهديةُ على مقدار عقل مُهدِيها.

قال ابن الأعرابي: سُمّي الرجلُ أحق، لأنه لا يميز كلامه من رعوته.

قال: والحمق أيضاً الكساد، يقال: انْحَمَقَتِ^(١) الشوق إذا كسدت، ومنه الرجلُ الأحق لأنه كاسدُ العقل لا يُنتفع برأيه ولا بعزمه. والحمق أيضاً: الغرور، يقال: سرنا في ليالٍ مُحَمَّقات، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِرُ بغيره أبيض رقيق، فينتزُّ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا.

قال: ومنه أخذ اسم الأحق لأنه يترك في أوّل مجاسه بتمامه، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تَبَيَّنَ مُحَمُّقُه.

(١) ب: حقت، وكلاهما وارد صحيح.

وقيل للرجلة البقلة الحقاء ، لأنها تنبت في مسيل الماء ، وفي طريق الإبل ،
فهي أبداً مَدُوسَةٌ .

وفي الخبر المرفوع : « للعاقل خصال يُعَرَفُ بها : يَحْلُمُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، ويتواضعُ
لمن هو مثله ، ويسابقُ بالبرِّ من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ اتهمزها ، لا يفارقه
الخوف ، ولا يصعبه العنف^(١) ، يتدبَّرُ ثم يتكلم ، فإن تكلم غنم ، وإن سكت
سَلِمَ ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكبها ، وللجاهل خصال يُعَرَفُ بها :
يَظْلِمُ من خالطه ، ويتكلم بغير تدبُّرٍ فيندم ، فإن تكلم أحم ، وإن سكت سَهًا ،
وإن عرضت له فتنة أَرَدَتْه ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أَعْرَضَ عنها .

ذكر المنيرةُ بنُ شُعْبَةَ يوماً مُعَمَّرَ بنَ الخطابِ رضى الله عنه ، فقال : كان والله
أفضل من أن يُخَدَعَ ، وأعقل من أن يُخَدَعَ .

في كتاب « كلیلة ودمنة » : رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقلُ من يعرف عيبَ نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ؟
قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : ما في إبليسَ شرٌّ من هاتين .

قال الحسن البصرى : صلة^(٢) العاقلِ إقامةُ لدينِ الله ، وهجرانُ الأحقِ قربةٌ إلى
الله ، وإكرامُ المؤمنِ خدمةٌ لله وتواضعٌ له .

(١) ب : التعنيف .

(٢) ١ : صلة .

قال عبد الله بن الحسين (١) : مُتَّقُ الرَّجُلِ يَفْسُدُ دِينَهُ (٢) ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَانَ لَا يَجِيزُ شَهَادَةَ الْأَحْمَقِ الْعَفِيفِ ، فَكُلَّمْ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : سَأْرِيكُمْ . وَدَعَا بِحَاجِبِهِ فَقَالَ : يَا مَمْدُودُ (٣) ، انْظُرْ لِي مَا الرَّيِّحُ ؟ فَخَرَجَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : هِيَ شِمَالٌ يَشُوبُهَا شَيْءٌ مِنَ الْجَنُوبِ . فَقَالَ : أَتَرَوْنَ أَنْ أُجِيزَ شَهَادَةَ مِثْلِ هَذَا ؟
فَقَالَ أَرْدَشِيرُ : رِضَاءُ الْمَرْءِ عَنْ نَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى عَقْلِهِ .

قال أنوشروان : ثِقَّةُ الرَّجُلِ بِرَأْيِهِ ، وَإِقْرَارُهُ بِتَوْفِيرِ عَقْلِهِ ، دَلِيلٌ عَلَى عَقْلِهِ .

قيل :

هل ينتهي من أول الزجر أحمق

كان يقال : إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلامُ .

قال علي بن أبي طالب : لَا تَوَاضِعُ الْأَحْمَقُ ، وَلَا الْفَاجِرُ ، أَمَّا الْأَحْمَقُ فَدَخَلَهُ
وَوَضَعَهُ شَيْنٌ عَلَيْكَ ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ : فَيَزِينُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيُودُّ أَنْ تَكُنْ مِثْلَهُ .

(١) كذا بالأصول ، وقد ورد في عيون الأخبار ١٧/١ أنه عبيد الله بن الحسن العنبري .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) ١ : مرود ، وسماء في عيون الأخبار : أبا مرودود .

قال سابق :

المرءُ يجمعُ والزَّمانُ يُفَرِّقُ ويظلُّ يرقعُ والخطوبُ تمزِّقُ
ولئن يُعَادِي عاقلاً خَيْرٌ له من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

وقال آخر :

عدوكُ ذو العقلِ أبقيَ عليكِ من الصَّاحِبِ الجاهِلِ الأحمقِ^(١)
وذو العقلِ يأتي حِسَانَ الأمورِ ويعتمدُ للأرشادِ الأوفقِ

وقال دعبل بن علي الخزاعي :

عداوةُ العاقلِ خَيْرٌ إذا حُصِّلَتْهَا من خُلةِ الأحمقِ
لأنَّ ذا العقلِ إذا لم يَرِعْ^(٢) عن ظلمك استحميا فلم يخرقِ
ولن ترى الأحمقَ يُبقي على دينٍ ولا وُدٍّ ولا يتيقني

وقال آخر :

عداوةُ العاقلِ خَيْرٌ لِمَن بوائقُ الجاهِلِ مَبْثُوثَةٌ
عَادَاهُ من وُدِّ امرئِ جاهِلِ وليس تخشأها من العاقلِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنَّما الإنسانُ غمدٌ لعقلِهِ ولا خيرَ في ضدِّه إذا لم يكن نصلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل المقال ١٦٠ .

(٢) أي يبق ويحفظ ، مضارع ورع ، وفي الديوان ١٥٧ : إذا لم يرع عن حله

فإن كان للإنسان عقلٌ فإنه هو النَّصْلُ والإنسان من بعده فَضْلُ

وقال أيضاً :

وما المرء إلا اثنان عقلٌ ومنطقٌ فمن فاتهُ هذا وذاك فقد دَمَرُ
ولا سيماً إن كان ممن نصيبُهُ من الدينِ والدنياً قليلٌ إذا حَضَرَ

وقال ابن الرومي :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء عقلٌ يعاتبه^(١)

وقال آخر :

زعمت أبا سهلٍ بأنك جامعٌ فنوناً من الآداب يجمعها الكهلُ
فهبك تقولُ الحقَّ أيُّ فضيلةٍ تكون لدى علمٍ وليس له عقلٌ^(٢)

وقال آخر :

لكل امرئٍ شكلٌ من الناسٍ مثلهُ فأكثرُهُم شكلاً أقلُّهُم عقلاً
لأنَّ صحيحَ العقلِ ليس بواجِدٍ له في طريقٍ حينَ يسلكها مثلاً
ولا خيراً في طولِ السبيلِ^(٣) وعرضها إذا الله لم يجعل لصاحبها عقلاً

(١) البيت في المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .

(٢) البيتان لأن العباس الناشيء في أبي سهل بن نوحخت ، رهر الآداب ٣/١٨٨ .

(٣) السبيل : مقدم اللحية ، وانظر الأبيات في السكامل ١/٣١٥ ، وفيه . وما الفضل في طول .. الح

وقال آخر :

قد عرفناك باختييارك إذ كآ ن دليلاً على اللبيب اختيياره^(١)

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق^(٢)

وقال آخر :

وأزلي طول النوى^(٣) دار غربة إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكه

تمامته حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله^(٤)

وقال آخر :

تحامق مع الحمق إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كُنت ذا عقل

فإني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسمع^(٥) بالعقل

وقال أبو يزيد^(٦) البسطامي رحمه الله :

ياذا الذي ليس له والد يسعى على الأرض ولا والده

(١) المقدم الفريد ٣/١

(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البيّن والتبين ١٨٩/١ .

(٣) ١ : الفقا .

(٤) سبق البيت الأول وفي ص ٢٣٤ انظر نسبه ومراجعته هناك ، وانظرهما أيضاً في محاضرات الأدباء

١٣٦/١ ، عبون الأخبار ٣/٢٦ .

(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، انظر معجم الأدباء ١٩/٢٤٧ .

(٦) ١ : دريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة في

الزهد ، وأقوال في الحكمة والتصوف ، مات سنة ٢٦١ هـ . انظر في ترجمته وفيات الأعيان ٢/٢١٣ .

قد مات من قبلهم آدم فأثت نفس بمده خالده
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة (١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يكنى أبا العُمَريْن ، فقال : لو كان لك عقل
كفالك أحدهما .

قال الحسن : هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى .

قال منصور الفقيه :

أجاس كلاً وإن لم يكن على ما أحب سوى الأموق
فإني أجالسه مرة وأنض عنه فلا نلتقي
فا نعمة بمد تقوى الإله بأفضل من هجرة الأحمق

قال بعض الحكماء : ينبغى للعاقل أن يتمسك بست خصال : أن يحفظ (٢)
دينه ، ويصون عرضه ، ويصل رحمه ، ويحفظ جاره ، ويرعى حق إخوانه ، ويحزن
عن البذاء لسانه .

كان الحسن البصري إذا أخبر عن أحد بصلاح ، قال : كيف عقله ؟ ثم يقول :
ما يتم دين امرئ حتى يتم عقله .

روى أنه لما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، أتاه جبريل ، فقال : يا آدم !

(١) فصل المقال ١٩٨ .

(٢) ١ : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضرك ثلاث خصالٍ لتختارَ منهنَّ واحدةً ، وبُخِّلَ عن اثنتين .
 قال : وما هنَّ ؟ قال : الحياءُ والدينُ والعقلُ : قال آدم : إني اخترتُ العقلَ .
 قال جبريل للحياء والدين : ارتفعاً فقد اختارَ العقلَ ، قالاً : لا ترتفع . قال :
 ولم عصيتمَا ؟ قالاً : لا ، ولكننا أمرنا ألا نفارقَ العقلَ حيثُ كان .

كان يقال : لا تعتدَّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل .

قال بعض الحكماء : وَكَلَّ الحِرْمَانُ بالعقل ، والرزقُ بالجهل ، ليُعتبرَ العاقلُ
 فيعلم أن الرزقَ ليس عن حيلة .

قيل لزُرْعَةَ بنِ ضَمْرَةَ : متى عَقَلْتِ ؟ قال : يومَ وُلِدْتُ . قيل : وكيف ذلك ؟
 قال : مُنِعْتُ الشَّدى فبَكَيْتُ ، وأُعْطِيَتْهَا فسَكَتُ .

قال الحَسَنُ : لَأَنَا للعَاقِلِ المُدْبِرُ ، أَرْجَى مِنِّي للأَحْمَقِ المُقْبِلِ .

قال الأوزاعي : قيل لعيسى عليه السلام يا رُوحَ الله ! أنت تبرئ الأَكْمَهَ
 والأَبْرَصَ وتحيي الموتى بإذن الله ، فما دواءُ الأَحْمَقِ ؟ قال : ذلك أعياني .

قال قيس بن الخطيم :

وبعضُ الداءِ ملتمسٌ دَوَاهُ وداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاهُ^(١)

(١) انظر ديوانه ٧٧ ، وفيه : ملتمس شفاء . ليس له شفاء ... حساسة أبي تمام ٤٠/٢ .

وقال آخر :

جنونك مجنونٌ ولست بواجِدٍ طيبًا يَدَاوِي من جُنُونِ جُنُونٍ^(١)

وقال آخر :

قالوا جُنُنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَدَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ

كان يقال : الأحمقُ بشأنه أعلمُ من العاقلِ بشأن غيره^(٢) .

قال زيد بن أسلم ، قال لقمان لابنه : يا بني لَئِن يُقْصِيكَ^(٣) الحكيمُ خيرٌ من أن
يُدْنِيكَ^(٤) الأحمقُ .

قال عمر بن عبد العزيز : خُصِمَتَانِ لَا تَعْدِمُكَ [إحداهما]^(٥) من الأحمق ، أو
قال من الجاهل : كثرة الالتفاتِ ، وسرعةُ الجوابِ .

كانوا يُعَبَّرُونَ عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه
مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويُعَبَّرُونَ أيضًا عن العاقل بالحلِيمِ ،
قال الشاعر :

(١) عيون الأخبار ٤٧/٢ .

(٢) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار : الأحمق أعلم من العاقل إلخ ، وصححها في الماش كما
ورد هنا .

(٣) ب : يضربك .

(٤) ب : يدهنك .

(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فلا تصعب أخا الجهل وإيّاك وإيّاها
 فكم من جاهل أرذى حليماً حين وأخاه
 يقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هوَ ماشاهُ^(١)

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ،
 والغيران^(٢) ، والسكران . قيل : فما تقول في المنعظ ؟ قال :

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تُصبيحينا

قال تمام مجيح : إذا قام ذكر الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزيات :

ليس شيء مما يدبره العاقل إلا وفيه شيء يريبه
 فأخو العقل ممسك يتوقى ويخاف الدخول فيما يعيبه
 وأخو الجهل لا يقدر في الأمه ر وإن أشككت عليه ضرورة
 راكب رذعه كعاطب^(٣) ليل يخطئ الأمر كله أو يصيبه
 تتأني له الأمور على الجمل ل إذا ما أرادها وتعيبه

(١) عيون الأخبار ٣/٧٦ ، ورد البيت الثالث فيها أيضا ٣/٨ ضمن أبيات منسوبة إلى أبي العتاهية .

(٢) ب : والريان .

(٣) ب : كعاطب . وراكب الردع : من يمضى في حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليل : المخلط الذي

يصيب مرة ويخطئ أخرى .

وأخو العُقل بعد يَنْتَبِجُ الرَّأْيَ يَ فَيْرُضِي وَمَرَّةً (١) يَسْتَرِيْبُهُ
 وإذا صَيَّرَ البَعِيدَ قَرِيْبًا عَادَ فِيهِ فَازْدَادَ بُعْدًا قَرِيْبُهُ
 فهو الذَّهْرُ شَاخِصُ القَلْبِ فِكْرًا ما تَقْضَى هُمُوْمُهُ وَكُرُوْبُهُ

وقال آخر :

ألا إنَّ عقلَ المرءِ عَيْنًا فُؤَادِهِ فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ عَقْلٌ فَلَنْ يُبْصِرَ القَلْبُ
 (٢) وقال آخر :

أرى زمنا نَوَكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِيهِ وَلَكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
 مشى فوقه رجلاه والرأسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الأَعَالِي بَارْتِفَاعِ الأَسَافِلِ (٣)

وقال آخر :

عَدَلُونِي عَلَى الحَمَاقَةِ جَهْلًا وَهِيَ مِنْ عَقْلِهِمُ الأَلْدُ وَأَحْلَى
 لو لَقُوا مَا لَقِيْتُ مِنْ حِرْفَةِ العَمَّةِ لِي لَسَارُوا إِلَى الحَمَاقَةِ رِمْلًا
 حَقِّي قَائِمٌ (٣١٥) بِقُوْتِ عِيَالِي وَيَمُوتُونَ إِنْ تَعَاقَلْتُ هُزْلًا

قال هشام بن عبد الملك : يُعْرَفُ حَقُّ الرَجُلِ بِأَرْبَعٍ : بِطَوْلِ لِحِيَّتِهِ ، وَشِنَاعَةِ
 كُنْيَتِهِ وَنَقْشِ خَاتَمِهِ ، وَإِفْرَاطِ شَهْوَتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ طَوِيلٌ

(١) ساقطة من ١ .

(٢) ساقط من ١ . وانظر البيت الثاني في البيان والبيان ١/٢٤٦ .

(٣) ب : قائما .

الْمُتُّونَ ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : ما كنتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر . قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بَدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (١) .

وفي خبر آخر : أن معاويةَ جرت له مثل هذه الحكاية ، إلا أن في خبر معاوية ، قيل له : فما كنتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرّي . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ (٢)

قال يحيى بن الحكم الغزالي :

يُعرف عقلُ المرءِ في أربعٍ مَشِيئَتُهُ أَوْلَاهَا وَالْحَرَكَ
وَدَوْرُ عَيْنِيهِ وَالْفَاظَةُ بَعْدُ عَلَيْهِنَّ يَدْوَرُ الْفَلَكَ (٣)

وقال آخر :

طلبتُ الرِّزْقَ بِالْعَقْلِ من الغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ
فلم يُكْسِبْنِي الْعَقْلُ سوى البعدِ من الرِّزْقِ
فأدبرتُ عن العَقْلِ وأقبلتُ عَلَى الْحَقِّ
فلم أتعبُ ولم أنصبُ ولم أضرعُ إِلَى الْخَلْقِ

قال بعضُ الحكماء : من الحق التماسُ الإخوانِ بنيرِ وفاء ، والتماسُ الآخرةِ

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرياء^(١) . والتماس مودة النساء بالنلظة ، والتماس العلم والفضل بالدعة والخفض .
 سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أُمِدِحْتُ أم هجيت . فقال : استرحتَ من
 حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدني بعض شيوخي رحمه الله :

كم كافرٍ باللهِ أموالُهُ تزدادُ أضعافاً على كُفْرِهِ
 ومؤمنٍ ليسَ لهِ دِرْهَمٌ يزدادُ إيماناً على فقْرِهِ
 لا خيرَ فيمنِ لم يكنِ عاقلاً عُدَّ رِجْلَيْهِ عَلَى قَدْرِهِ
 وقال آخر^(٢) :

ما إن يزالُ بيندادِ يُزَاجِمُنَا^(٣) على البراذينِ أشباهُ البراذينِ
 أعطاهم اللهُ أموالاً منزلةً من الملوكِ بلا عقلٍ ولا دينِ
 ما شئتَ من بغلةٍ شقراءٍ ناجيةً أو من أتانٍ وقولٍ غيرِ موزونِ^(٤)

(١) ب : بالزنا .

(٢) هو عارق بن أنال الطائي ، كما في البيان ٢٣١/١ .

(٣) ١ : نرى جثنا .

(٤) ١ : ومن أتانٍ وقولٍ غيرِ مأمون ، والبغلة اللحية : السريمة ، انظر الآيات في البيان والتبيين

٢٣١/١ ، ٢٢٢ ، و ٢١٨/٣ .

بابٌ من أجوبة الحمقى

ومراجعة السخفاء ، وألفاظ التوكمي والجهلاء

استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر الجوس يوماً ، فقال : لعن الله الجوس
ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ، ما نكحت أمي . فبلغ
ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله أترونه لو زيد فعل ١١٢

قال أبو عبيدة : أُجريت الخيل فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النظارة
يكرّ ويثب من الفرخ ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى ! هذا الفرسُ فرسك ؟ قال :
لا ، ولكن اللجام لجامي .

أرسل رجلٌ من بني عجل بن عجم فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه :
يا بني ! بأى شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعمور . قال الشاعر :

رَمَتْنِي بِنُو عَجَلٍ بَدَاءَ أَيْبِهِمْ وَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْوَكُ مِنْ عَجَلٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ فَأَضَحَّتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ^(١)

قال أبو كعب القاص في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة
ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

(١) انظر البيهقي في وفيات الأعيان ٢٨٦/١ ، المحاسن والمساوي للبيهقي ٢٢٦/٢ .

وقال أيضاً في قصصه : إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ (١) ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسیغه .

قيل لبرذعة الموسوسر : أيما أفضل غيلان أم مَعْلَى ؟ قال : مَعْلَى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مَعْلَى إلى جنازته ، فلما مات مَعْلَى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولائها على جار له أنه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسبه به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِيٌّ قَدْرِيٌّ نَاصِبِيٌّ رَافِضِيٌّ ، من الخوارج ، يبينضُ معاويةَ بن الخطَّاب الذى قتل على بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدري على أى شيء أحسُّدُك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية وعلى ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سبالة (٢) طويلة ،

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(٢) السلة بالتحريك : ١٠ على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن منه إلى طرف اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون في أمر عليٍّ ومعاوية وفلان وفلان ! فقال له أحد القوم :
وتعرف أنت من عليٍّ (١) ومعاوية وفلان وفلان (٢) ؟ قال : نعم ! أوليس هو
أبو فاطمة ؟ قال : ومن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت
عائشة أخت معاوية . قال : فما كان قصة عليٍّ ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي صلى
الله عليه وسلم .

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقال :
أصاح الله الشيخ ، لقد سمعتُ في السوق الساعة شيئاً منكراً ، ولا ينكره أحد
قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتموم من الأنبياء ؟
قال : سمعتهم يشتمون معاوية . قال : يا أخي ليس معاوية بنبيٍّ . قال : فهبه نصف
نبيٍّ لم يشتم .

قال عمرو بن بحر : ذكر لي شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً
فغضب وشتهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً . قال : فأتيته يوماً فسألته
عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنهم لهم فقال : لمكان الشين في أول الكلمة ،
لأنني لم أجد ذلك قط إلا في مسخوط ، مثل شومٍ وشرٍّ وشيطانٍ وشيخٍ وشحٍّ
وشغبٍ وشعبٍ وشركٍ وشتهمٍ وشقاقٍ وشطرٍ نجٍ وشينٍ وشانيٍ وشحطٍ وشوصةٍ
وشوكٍ وشكوىٍ وشنانٍ . فقلت له : إن هذا كثير ، ما أظن أن (٢) القوم يقيم
الله لهم علماً مع هذا أبداً .

(٢) ب : منها .

(١) ساقط من أ

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ، وكان إذا سلم من صلاته في جماعة أو وحده ، يقول : السَّلَامُ على الملكين الكاتبين لأبي بكر وعمر ، وكان أُلْتُغَ يحمل مكان الكاف تاء .

اشترى باقل ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزاً بأحد عشر درهماً ، فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهماً ، فلما دَيَّرُوهُ ، قال :

يلومونَ في مُحمِّهِ بِأَقْلًا كَانَّ الحِمَاقَةَ لَمْ تُخَلَقِ
فلا تُكثِرُوا العَذْلَ فِي عِيهِ فَلَمِئِي أَجْمَلُ بِالْأَحْمَقِ (١)
خروجُ اللسانِ وَفَتْحُ البَنانِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ المُنْطِقِ (٢)

ذكر الصّولي عن ابن الجوهريّ ضرباً من العي والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرميين ، ولا إله إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل الله خير عوائق الأمور .

رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمّارَ طاحونته في عنقه جُلجُل في حانوت طحان ، فقال له : ما بال هذا الحمّار في عنقه جُلجُل ؟ فقال : أنا مشغول في علاجى وطلب

(١) : بالهمزة .

(٢) الأبيات في المحاسن والمساوي ، ٢٢٧/٢ .

معيشتي خارج الخانوت ، وبحركة الجملجمل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للمشى ،
فقال له معاوية : أرأيت إن وقف الحمار وحرك رأسه فتحرك الجمل ؟ قال
الطحان : ومن الحماري بمثل عقل الأمير ؟ !

ومعاوية هذا هو الذي أمر بملق باب المدينة إذ انقلت له البازي .

قال طحطاح^(١) لابنه يوماً : ما الذي تشتهي ؟ قال : رأسي كبش . فقال له أبوه :
لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأس كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنت : مالكم تملقون لحاكم ؟ فقال : إن البرد^(٢) لا تعرف إلا بمحذف
أذناها .

دخل راكب البريد يوماً على المأمون ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟
فقال له : بعد غد يا أمير المؤمنين . فقال له المأمون : فإذا أتيتنا^(٣) وبيننا
وبينك مرحلتان .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره ، وقال له : ما تجد ؟ قال : أشكو
دُملاً أهلكني ، وزكاماً أضرنى . قال له : فقد بلغنا أن إبليس لا يحسد على
شيء من الأمراض إلا على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة . فأنشأ
الأمرابي يقول :

(١) ب : سطلح .

(٢) الرد : خيل البريد ، وكانت تقس أذناها لتعرف فتسهل مهمتها .

(٣) ساقطة من ب .

أَيْحَسُدُنِي إِبْلِيسُ دَاءَيْنَ أَصْبَحَا بِرَأْسِي وَإِسْتِي دُمْلًا وَزَكَاةً
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةَ زُبٍّ لَا يَطِيقُ قِيَامًا^(١)

وقال أبو نواس :

قَدْ أَضْرْتُ بِي^(٢) دَمَامِي لُ عَلَى الظَّهْرِ مُلِحَّةُ
لَيْتَهَا فِي عَيْنِ مَنْ يَدُّ سَبَّهَا مَالًا وَصِحَّةُ^(٣)

سلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة ، فقيل له في ذلك ،
فقال : كان على عيني إنسان لا أكله .

وقال فزارة يوماً في مجلسه : لو غسلت يدي مائة مرة ما تنظفت ، أو أغسلها
مرتين . وفيه يقول ابن المعتز :

وَمِنَ المَظَالِمِ أَنْ تَكُونَ عَلَى المَظَالِمِ يَا فِزَارَةَ^(٤)

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصالح الله القاضى ، لى عند هذا الزانى
ابن الزانية كذا وكذا . فقال القاضى لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى
خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئاً فيما يقول ، وأنا منكر لما يدعيه . فقال للمدعى :
هات بينة إن كان لك . فأتاه برجاين جلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

(١) البيان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ٢٠٦/١ .

(٢) ب : به .

(٣) ديوانه ١٣٤ .

(٤) البيت في بداية الدهر ٢/٢٣٤ ، وفيها : ومن المظالم أن قدمت . الخ

قَالَ : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه .
فقال لهما : قد قبلتكما . قم يا زاني ابن الزانية فأد ما شهدا به . فقال المشهود عليه :
أيها القاضي ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفي^(١) وقذف أمي بجهلهم ، فما الذي
استحللت به أنت ذلك مني ؟ فقال : والله يا ابن أخي^(٢) ما حسبت إلا أنه اسمك
واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديته .

مر قاضٍ بواسط أو بمحص على السوق في يوم رمضان ، فرأى رجلاً قد صنع
معزفاً ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! في هذا الشهر المبارك تعمل آلاتِ اللهو
وظروفَ الشرِّ فقال : أصلح الله القاضي ، إنما هي مِقلاة . قال : لعن الله الشيطان !
ما حسبتها إلا معزفاً ، فهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون
مقلاة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضي ! إنى أظليها بالقار ، فلا تؤثر
فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وَمَلَى رَجُلٌ مَقْلٌ قِضَاءَ الْأَهْوَازِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَحَضَرَ عِيدَ الْأَضْحَى
وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَضْحَى بِهِ وَلَا مَا يَنْفَقُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى زَوْجَتِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ :
لَا تَعْتَمِ ، فَإِنَّ عِنْدِي دَيْكًا جَلِيلًا قَدْ سَمَنْتُهُ ، فَإِذَا كَانَ عِيدُ الْأَضْحَى ذَبَحْنَاهُ .
فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَضْحَى ، وَأَرَادُوا الدِيكَ لِلذَّبْحِ ، طَارَ عَلَى سَقُوفِ الْجِيرَانِ ، فَطَلَبُوهُ
وَفِشَا الْخَبْرَ فِي الْجِيرَانِ ، وَكَانُوا مِيَّاسِيرَ ، فَرَقُّوا لِلْقَاضِي ، وَرَثُوا لِقَلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ ،

(١) ساقطة من به .

(٢) به : يا أخي .

فأهدى إليه كل واحد منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة ، وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهدى إلينا فلان وفلان — حتى سمّت جماعتهم — ما ترى . قال : ويحك ! احتفظى بديكنا هذا فما فدى إسحاق بن إبراهيم ^(١) إلا بكبش واحد ، وقد فُدى ديكنا بهذا العدد .

(١) كذا بالأصول ، وهو يخالف المعروف من أن الفدى هو لإسماعيل بن إبراهيم وليس لإسحاق .

باب المُلح وما به النفس ترتاح من مُباح العُزاح

قال الأصمعيّ: وُصِلتُ بالعلم، وكسبت بالملح.

قال عبد الرحمن بن أبي الزناد: قلت لأشعب: أنت شيخ كبير، فهل رويت شيئاً من الحديث؟ قال: بلى! حدثني عكرمة عن ابن عباس، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال: خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة. قلت: وما هما؟ قال: نسيت أنا واحدة، ونسي عكرمة الأخرى.

كان أشعب الطّمع كثير الإلمام بإسلام بن عبد الله بن عمر، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله، فنعه البواب من الدخول عليه من أجل عياله، وقال: إنيهم يأكلون. فقال عن الباب، ونسور عليهم الحائط، فأمّا رآه سالم، قال: سبحان الله يا أشعب! على عيالي وبناتي تنسور. فقال له: ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حقّ، وإنك لتعلم ما نريد﴾. فقال له: انزل يأتك من الطعام ما تريد.

أخذ قومٌ في قطع، ففقدوا لضرب أعناقهم، فقام منهم واحد، وقال: الله الله فيّ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه، وإنما كنت أشرب معهم وأغني لهم، فقالوا: هاتِ فغنّ لنا، فارتجت عليه الأسمار إلا قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فكلّ قرين بالْمُقارِنِ مُقْتَدِي^(١)

(١) سورة هود، الآية ٧٩.

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢، والبيت لعمد بن زيد العبادي كما في مجموعة الماني ١٤، الدرر والشعراء

١٣٢ مجلّة البحوث ٢٣٦، فصل المقال ٢٤٣.

فَقَالُوا^(١) : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراءِ خُرَّاسانِ يتشاءمُ بالحُولِ ، ففتى رأى أَحُولَ ضربه بالسِّيَاطِ ، وربّما ضرب بعضهم خمسمائة سوط ، و حَدَّثَ أَنَّهُ رَكِبَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَرَأَى أَحُولَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، وَكَانَ الْأَحُولُ جَلْدًا ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ضَرْبِهِ ، قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، لِمَ ضَرَبْتَنِي ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَنْشَاءمُ بِالْحُولِ . قَالَ : فَأَيْنَا أَشَدُّ شَوْمًا عَلَى صَاحِبِهِ ، أَنْتَ رَأَيْتَنِي وَلَمْ يَصِبْكَ إِلَّا خَيْرٌ ، وَأَنَا رَأَيْتَكَ فَضَرَبْتَنِي خَمْسَمِائَةَ سَوْطًا ، فَأَنْتَ إِذَا أَشَدَّ شَوْمًا . فَاسْتَحْيَا مِنْهُ وَلَمْ يَضْرِبْ بَعْدَهُ أَحَدًا .

كانت في سعيد^(٢) بن فروخ بن القطان ، والد يحيى بن سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجلا من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن . ورجع إلى منزله .

كان إسماعيل بن يسار^(٣) الشاعر قد خفَّ على عروة بن الزبير^(٤) حتى زامله مرّة في بعض أسفاره ، فقال ليلة في سفره ذلك لعلامة : انظر هل اعتدل المحمل ؟

(١) ب : فقال .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته في الأغاني ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .

(٤) ساقطة من ب .

فقال له النلامُ : ماهو إلا معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعيّ: قدم تاجرٌ من أهل الكوفة المدينة بأخيرة فباعها كلها إلا الشود منها، فلم تنفق ، وكان صديقاً للدارميّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارميّ تنسك ، وترك الشعر والغناء . فقال له : لاتهمّ بذلك فأئني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الحمار^(١) الأسود ماذا صنعت بزاهدٍ مُتعبِدِ
^(٢) قد كان شمرًا للصلاة ثبابة حتى عرضت له بياب المسجِدِ
 رُدِّي عليه صيامه وصلاته لا تقتليه بحقّ دين محمد^(٣)

فشاع قول الدارميّ هذا في الناس : وقالوا : رجع الدارميّ عن نسكه ، وعاد إلى فتسكه^(٤) ، فلم يبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان منها مع العراقي ، فلما علم الدارميّ ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجد . والدارميّ هذا أصله مكّي ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بني العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن علي وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك^(٥) ، وهو القائل :

(١) : القاع .

(٢) ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وذات الأعيان ٣/٣٠٣ ، الأغاني ٣/٤٨ .

(٣) الهك : المجون .

(٤) انظر في ترجمته الأغاني ٣/٤٥ - ٥٠ .

ولما رأيتُكَ أُولَيْتَنِي أَلْ قَبِيحَ وَبَاعَدْتَ عَنِّي الْجَمِيلَا
تركتُ وصَالَكَ فِي جَانِبٍ وَصَادَفْتُ فِي النَّاسِ خِلَاً بَدِيلاً^(١)

طُوَيْسُ الَّذِي تَضْرَبُ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلُ فِي الشُّؤْمِ ، هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
مَوْلَى لِبَنِي مَخْزُومٍ ، وَاسْمُهُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْخَنَا وَالْمَجْرَمَ
بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَغْنِيَا يُضْرَبُ الدَّفَّ ، وَسُئِلَ عَنْ مَوْلَاهُ ، فَقَالَ : وَلِدْتُ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَطِمْتُ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخُتِنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ ، وَتَزَوَّجْتُ
يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ، وَوُلِدْتُ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيٌّ^(٢) بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٢) فَيَقُولُونَ فِي أَمْثَالِهِمْ
السَّائِرَةِ . أَشَامُ مِنْ طُوَيْسٍ^(٣) .

كَانَ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا جَالِسًا فِي مَجْلِسِهِ ، وَالنَّاسُ يَتَنَاضَرُونَ فِي الْفِقْهِ عِنْدَهُ ، وَمَعَهُ
شَيْخٌ يُطِيلُ السَّكُوتَ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا^(٤) : لَوْ سَأَلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ تَنْتَفِعُ بِهَا ،
فَقَالَ : إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَفَايَ حِكْمَةً ، أَقْتَرِي لِي أَنْ أَحْتَجِمَ ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي صَرْنَا مِنَ الْفِقْهِ إِلَى الْحِجَامَةِ .

مَرَّ بِالشَّعْبِيِّ يَوْمًا رَجُلٌ يَقُودُ حِمَارًا ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَرْدَانٌ . قَالَ :
وَمَا اسْمُ حِمَارِكَ ؟ قَالَ : عِمْرَانٌ . قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَاخْلَافَاهُ^(٥) | |

مَرَّ رَجُلٌ مَعَهُ كَلْبٌ بِابْنِ أَبِي عَتِيْقٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَثَابٌ .

(١) البيتان في الأغاني ٤٥/٣ . (٢) ساقط من ب .

(٣) انظر ترجمته في الأغاني ٢٧/٣ وما بعدها .

(٤) ساقطة من ب .

(٥) يعني أن ذلك خلاف الذي يجب ، ولو تبدلت الأسماء لانتفتت الغرابة .

قال : وما اسم كلبك ؟ قال : عمرو . فقال ابنُ أبي عتيق : واخلافاه ،
وأنشده :

ولو هَيَّا لَه اللهُ من التَّوْفِيقِ أَسْبَابَا
لَسَمَى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَى الْكَلْبَ وَثَابَا^(١)

أنشد رجل زَبَّان^(٢) السَّوَّاقِ ، قول إسماعيل بن يسار :

ماضراً أَهْلَكَ لو تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفِئَاهِ يَبْتَئِكَ أَوْ أَلَمَّ فَسَلَّمَا^(٣)

فبكي زَبَّان^(٢) ، وقال : لاشيء والله ، إلا الضَّجْرَ وسوء الخلق وضيق الصدر ،
وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيل لمدين : أما تتقى الله ، تؤذى جيرانك ؟ قال : فن أوزى إذا^(٤) ؟
أوزى من لا أعرفه !

كان الفرزدق جالساً في حلقة الحسنِ رحمه الله ، فقال رجل : يا أبا سعيد !
ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلانٌ طَلقتُ امرأتِي ، وأعتقت
عبدِي ، وفعلت وفعلت ولائبةً له في ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سعيد : قد قلت

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٩٥ .

(٢) ١ : ريان ، وانظر القصة والاختلاف في هذا الاسم أيضاً في الأغاني ٤/٤١٥ .

(٣) العقد الفريد ٣/٦٢ ، الأغاني ٤/٤١٤ .

(٤) ساقط من ١ .

أنا في ذلك . فقال : وما قلت يا أبا فراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .
قال : قلتُ :

ولسنتَ بماخوذٍ بشيءٍ تقوله إذا لم تُعمد^(١) عاقداتِ العزائم^(٢)

قال الحسنُ : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندرُ جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلاً أعرج ، فأمر بإسقاطه ،
فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أسقطتك . فقال : تعجبا
منك لحبك آلة الهروب ، وكرهتك آلة الوقوف ، لأن معي آلة الوقوف في الحرب
وتسقطني ، فأمر بإثباته في خاصته ،^(٣) وأسنى رزقه^(٤) .

سمع ابن أبي عتيق يوماً نصيباً الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أشلقُ من الطيرِ أنني أعارُ جناحي طائرٍ فأطير^(٤)

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي اقل : غاقٍ تطرُ . شبهه بالغراب لشدة

سواده .

هاج بأبي عاقمة الأعرابيِّ الدَّم ، فأتوه بحجَّام ، قال له : يا حجَّامُ اشدد قصبَةَ

(١) : تحاضر .

(٢) : نمرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بشيء ، محاضرات الأدباء ١١٢/١ ، ١٣٠ .

(٣) : ساقط من أ .

(٤) : انظر البيت والخبر في الأغاني ١/٣٦٤ ، مع اختلاف في الرواية .

المِلْزَمُ^(١)، وأَرْهَفَ ظُبَّةً^(٢) المَشْرَطَ، وأَسْرَعَ الوَضْعَ، وعَجَلَ النَّزْعَ، وليكن شَرَطُكَ وخَزْأً، وَمَصَّكَ نَهْزَأً. فقَامَ الحِجَامُ نَاهِضًا، وقال: انتظر حتى يَأْتِيكَ ابنُ القَرْيَةِ فيحْجِمَكَ.

قال الهيثمُ بنُ عديّ: كنت يوماً بكناسة الكوفة^(٣) إذ أنا برجل قد وقف على نخّاس الدّواب، فقال له: اطلب لي حِمَارًا ليس بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إن خلا الطريقُ تدفق، وإن كثر الزحامُ ترفق، لا يصادم في السّواري، ولا يدخل تحت البواري، إن أقلتُ علفه صبر، وإن أكثرتُ له شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخّاس: اصبر يا عبد الله، فإذا مُسَخَّ القاضى حِمَارًا، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى.

خطب أبو القَطُوفِ إلى قومٍ وَليَّةً لهم، فأجابوه، وقالوا: لها من الضياع والمال كذا وكذا، فما مالك أنت؟ قال: إن كنتم صادقين فإنّ مالها يكفيني وإياها ما عشنا، فما سؤالكم عن مالي؟

وقال عبدُ الملكِ بنُ عبد الحميد الخارثي:

يَا أُخْتَ كِنْدَةَ عَافِي شَرِبَ عُثْمَانُ وَأَزْمَعِي لَبْنِي عَوْفٍ^(٤) بِهِجْرَانِ

(١) ب: اللدم، والمِلْزَمُ كُنْبَر: خشبتان تشد أوساطهما بمجدبة.

(٢) ب: طيه، ووظبة المشرط: حده.

(٣) الكناسة: مجلة معروفة بالكوفة، انظر معجم البلدان لياقوت ٧٢/٢.

(٤) ب: بني أود.

ياأخت كندة سيري سير ساخطة
ياأخت كندة ليس الرزق في يده
المساء في دار عثمان له تمن
عثمان يعلم أن الحمد ذو تمن
والناس أكيس من أن يمدحوا أحدا
اغسل يديك بأشنان وأنقهما
واسلخ على كل عثمان مررت به
كى تثنوى منتوى^(١) غضبي وغضبان
الرزق في يد من لو شاء أغناني
والخبز فيها له شان من الشان
لكنه يشتهي حمدا بمجان^(٢)
حتى يروا عنده آثار إحسان
غسل الجنابة من معروف عثمان
إلا الخليفة عثمان بن عفان^(٣)

وقال الليث الحجام :

حلفت بموسى الهجر ناصية الصدد
قصصت بعقراض القلا حجة الوفا
وشعر سبال الوصل صرت منتفا^(٤)
وما زلت مصاصا بغير إساق
وأجريت مشط الصدد في طرة الود
فجبهة رأس الود مكشوفة الجلد
ظلوما^(٥) عنقاش القطيع والصدد
بمحجمة الخلف القبيح دم الودع^(٦)

(١) : يستوى سفرى .

(٢) ب : لجان .

(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس في وفيات الأعيان ٦٧/٦ ، والسادس والسابع في نهاية الأرب
١٠٨/٣ ، محاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، المستطرف ٩٨/١ ، عيون الأخبار ١٥٩/٣ .

(٤) ب : منقبا .

(٥) ا : ظلوما .

(٦) محاضرات الأدباء ٥٦/٢ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا ألقى من أصحاب الباغم ؟ ينسون ويلعنونني .

قال حُسَيْنُ المعروف بالجليل الشاعر : كان أحمد بن المدبر بدمشق يقصده الشعراءُ
فن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر رديء وكل به من يحمله إلى الجامع
فلا يفارقه حتى يصل إلى مائة ركعة . قال فدخلتُ عليه ، فقلت :

أرَدْنَا في أبي حَسَنِ مديحًا كما بالمدح تُتَجَعُّ الوَلَاةُ
فقالوا يقبل المدحَاتِ لكنْ جوائزُهُ عليهنَّ الصَّلَاةُ
فقلتُ لهم : وما يُغْنِي عِيَالِي صَلَاتِي إِنَّمَا الشَّانُ الزَّكَاةُ
ليأمرُ لي بكسر الصَّادِ منها فتضحى لي الصَّلَاةُ هي الصَّلَاتُ (١)

قال ، فقال لي : أخذت هذا من قول أبي تمام :

هِنَّ الْعَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ (٢)

قال الرِّيَاشِيُّ : خرج الناسُ بالبصرةَ ينظرون هلالَ رمضان ، فرآه رجلٌ منهم ،
ولم يزل يوميُّ إليه حتَّى رآه غيرُهُ وعابنوه ، فاما كان هلالَ الفِطْرِ ، جاء الجارُ إلى
ذلك الرجل ، فدقَّ عليه البابَ ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجليل والنتوفى سنة ٣٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء
١٢٢ / ١٠ ، ١٢٢ زهر الآداب ١٨١ / ٢ .
(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب المَزَاحِ إِباحَةً وَكَراهية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَمْزُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلا حقا .

قال غالب القبطان : أتيت محمد بن سيرين ، وكان مزاحا فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لي : توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت (١) إنا لله وإنا إليه راجعون افضحك (٢) وقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٣) .

جاءت امرأة إلى الحسن ، فقالت : إني نذرتُ أن أهدِيَ البصرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لا يدعونك تُهدِي بصرتهم ، ولو تركوك ما قدرت ، كُفِّرِي عن عيئك .

وفي الحديث المأثور : « أن عيسى عليه السلام كان يبتسكي ويضحك ، وكان

(٢،١) ساقط من ب .

(٣) سورة الآية الزمر ٤٢ .

يُحْيِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْكِي وَلَا يَضْحَكُ ، فَكَانَ خَيْرُهُمَا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

قال خليفةُ بن زيد : كان خليفةُ الأقطع مزاحاً ، وكان يقف على أيوب السُّخْتِيَانِي فَيَازِجُهُ . قال حمَّاد : وجاء خليفةُ الأقطع يوماً إلى أيُّوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى (١) اسْتُحْدِثَ هذا (١) ؟! يعني متى طلب هذا الحديث .

وروى هارون بن موسى الأعمور عن سالم (٢) العلويّ ، قال : قال لي الحسن : خلّ بين الناس وبين هلالهم حتى يراه معك غيرك .

وكان شعبة يقول : سالم العلويّ يرى الهلال قبل الناس بليتين .

قال الخليلُ بن أحمد : الناس في سجن ما لم يُمازِحوا .

مزح الشعبي يوماً ، فقليل له : يا أبا عمرو أفتمزح ؟ قال : إن لم يكن هذا متناً من النعم ، فداء (٣) داخل ، وهواء (٤) خارج .

كان محمد بن سيرين يذاعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك .

أنت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

(١) ساقط من ب ، واستحدث هذا : إشارة إلى الغلام .

(٢) ١ : سالم ، وكرر الاسم بعد ذلك صحيحاً .

(٣) ب : فرا .

(٤) ب : فرا .

لقد أصبحت عرسُ الفرزدقِ ناشِراً ولو زويتُ زُبَّ أسنهِ لاستقرتِ (١)

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئتُ أن فتاةً كنتُ أخطبُها عرُفُوبها مثلُ شهرِ الصَّومِ في الطُّولِ (٢)

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحاً لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مرة بيت شعر غزِل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المَزاح لما فيه من ذميمة العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شيء بدء ، وبدء العداوة المَزاح .

كان يقال : لو كان المَزاح فلا ، ما ألقح (٣) إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيا فيجترى عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المَزاح أمام الكلام فأخره الشتم واللطم .

(١) البيت لجرير ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح أسنهُ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ وفيه : رمح .

(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .

(٣) ١ : ما ألقح .

قال جعفر بن محمد: إياكم والمُزاح، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المُزاح، ويقول: يسعط أحدهم أخاه بأحرّ من الخردل ويضحكه بأصلب من الجنديل^(١)، ويفرغ عليه أشد من غلي الرجل، ويقول: مازحته .

قال إبراهيم النخعي: لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر .

قال أبو هفان:

مَازِحٌ صَدِيقُكَ^(٢) مَا أَحَبَّ مُزَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جِاحًا^(٣)
فَلرُبَّمَا مَزَحَ الصَّدِيقُ بِمِزْحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ^(٤) عَدَاوَةٍ مِفْتَاحًا^(٥)

وقال ابن وكيع:

لَا تَمَزَحَنَّ فَإِنَّ مَزَحْتَ فَلَا يَكُنْ مَزْحًا تُضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرِي مِمَّا زَحَّتْ تَعُودُ عَدَاوَةٌ إِنَّ الْمَزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْغَضَبِ^(٦)

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

لِي صَاحِبُ لَيْسَ يَخْلُو لِسَانَهُ عَنِّ جِرَاحِ

(١) سائط من ب .

(٢) ١: مزاحا .

(٣) ١: أذاك .

(٤) ١: لبدء .

(٥) نهاية الأرب ٧٤/٤ ، فصل المقالة ١٠٠ .

(٦) نسب البيتان في معجم الأدباء ٢٨٣/١٩ إلى هبة الله البغدادي

يُجِيدُ تَمْزِيقَ عِرْضِي عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ^(١)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال مهر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر ضحكك استخفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشى فى غير أرب ، والضحك من غير سبب .

قال قتيبة بن مسلم لبنيه : لا تمارحوا فإستخفَّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترقَّ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدرىكم^(٢) أ كفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الكِبَرُ ذُلٌّ وَالتَّوَاضُّعُ رِفْعَةٌ وَالْمَزْحُ وَالضَّحِكُ الكَثِيرُ سُقُوطٌ
وَالْحِرْصُ ذُلٌّ وَالْقَنَاعَةُ عِزَّةٌ وَالْيَأْسُ مِنْ صُنْعِ الإِلهِ قُنُوطٌ

وقال آخر :

فِيَاكَ إِيَّاكَ المَزَاحَ فَإِنَّهُ يُجَرِّى عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالدَّنِيسَ النَّذْلَا

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٧ .

(٢) ١ : فيزدرى بكم .

(١) وَيَذْهَبُ مَاءُ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ وَيُورِثُهُ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ ذُلًّا (١)

وقال آخر :

مَا أَقْبَحَ الْكَذِبَ الْمَذْمُومَ صَاحِبُهُ وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقال آخر :

لِلْجِدِّ مَا خَلِقَ الْإِنْسَانَ فَالْتَمِسْهُ لَا يَلْبِثُ الْهَزْلُ أَنْ يَجْنِيَ لِصَاحِبِهِ لَا خَيْرَ فِي الْهَزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِهِ بِالْجِدِّ حَظُّكَ لَا بِالْهَزْلِ وَاللَّعِبِ ذَمًّا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ بِهِجَةُ الْأَدَبِ وَاهْرُبْ بِعِرْضِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الْهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلَقَى الْفَتَى يَلْتَقِي أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنٍ مَنْطِقِيهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَّاتَ نَارُكَ فِي الْحُشَا تَتَسَعَّرُ أَهْيَتِنَا وَطَفِقْتَ تَضْحَاكُ لَاهِيًا عَمَّا بِهِ وَفُؤَادُهُ يَتَفَطَّرُ أَوْ مَا عَلِمْتَ وَمِثْلَ جَهْلِكَ غَالِبٌ أَنْ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَكْبَرُ (٢)

فهؤلاء كرهوا المزاح ودموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لَا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا هَةِ فِي حَدِيثِكَ وَاللُّعَابَةِ

(١) ساقط من ب ، ويروي البيهقي بروايات أخرى ، انظر حماسة البحتري ٤٠١ ، معاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، المستطرف ٢/٢٩٣ ، نهاية الأرب ٤/٧٤ .
(٢) المقدم الفريد ٦/٣٢ .

وَدَعِ الْغَرِيبَ مِنَ الْكَلَامِ مِ لَأَهْلِهِ عِنْدَ الْخُطَابَةِ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَكُلِّ مَا أَغْفَلْتَهُ دُونَ الْإِصَابَةِ

وقد أكثر أهل الأدب في التمزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك ،
ورأيت الاختصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار .

كان المأمونُ يعجبه قول القائل :

أخو الجِدِّ إن لَأَفَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إن شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ (١)

ش (١) البيت في حماسة أبي تمام ٦١/٢ ، الكامل ١/٢٢٢ .

بابُ مدحِ الصِّدْقِ والأمانةِ ، وذمِّ الكذبِ والخيانةِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حَدَّثَ صَدَقَ ، وإذا وعدَ أنجزَ ، وإذا أوْتُمِنَ وفى ، والمنافقُ إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلفَ ، وإذا أوْتُمِنَ خانَ » .

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « لا تزالُ أُمَّتى بحَيْرٍ ما اتَّخَذُوا الأمانةَ مَغْنَمًا ، والصدقَ مَغْرَمًا » .

قالت عائشة رضى الله عنها ، قلت : يا رسول الله ! بهم يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولبين كلامه ، وصدق حديثه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَدْ الأمانةُ إلى من ائتمنك ، ولا تَخُنْ من خانك » .
وقال سعدُ : كلُّ الخصالِ يُطبعُ عليها المؤمنُ ، إلا الخيانةَ والكذبَ .

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضى الله عنه : من كَبَّرتْ له عند الناسِ ثلاثٌ وجبتْ له عليهم ثلاثٌ : من إذا حَدَّثَهم صدقَهم ، وإذا ائتمنوه لم يَخُنْهم ، وإذا وَعَدَهم وفَّى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناءِ عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معوتهم .

قيل للقيانِ الحسكِمِ : ألسْتَ عبدَ بنى فلانٍ ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك

ما ترى؟ قال: تقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.

قال نافع: طاف ابن عمر سبعاً، وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت! فقال ابن عمر: أتم أكثر منا طوافاً وصياماً، ونحن خير منكم، نحن نلتزم صدق الحديث، وأداء الأمانة، وإنجاز الوعد.

قال محمود الوراق:

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ فِي الصِّدْقِ الْخَلَّاصَ مِنَ الدَّنَسِ
وَدَعْ الْكَذُوبَ لِشَأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ، الْخُرَّسُ^(١)

وقال منصور الفقيه:

الصِّدْقُ أَوْلَى مَائِهِ دَانَ امْرُؤٌ فَاجَعَلَهُ دِينًا
وَدَعْ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ مُنَافِقًا إِلَّا أُهِنَّا

وله أيضاً:

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا فَالشُّكْرُ أَيْسَرُ حَقِّهِ
أَمْسَى الصِّدُوقُ^(٢) كَثِيرًا

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب.

(٢) ب: الصديق.

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كلُّ ذُو مُكَاذِبَةٍ أُمْسَى التَّصَادُقُ لَا يُسْقَى بِهِ الْمَاءُ (١)

قال الحسن البصرى : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة .

قال الشاعر :

إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا اسْتَعَانَ بِمُخَانٍ كَانَ الْأَمِيرُ شَرِيكُهُ فِي الْعَأْمِ

قال الفريابي (٢) : كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لا كثر الله في المسامين أمثالك .

قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخُثُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدٍ (٣)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : الفرباني ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابي ، صاحب النووى والأوزاعي ، انظر مشبه النسبه للذهبي ٥١٤/٢ .

(٣) مجازرات الأدباء ١٤١/١ ، المستطرف ٢٧/١ .

وقال محمود الوراق :

تَصْنَعُ كَيْ مَيَّالَ لَهُ أَمِينٌ وما معني التَّصْنَعُ لِلأَمَانَةِ (١)
ولم يُرِدِ الإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الخِيَانَةِ (٢)

وقال آخر :

هُوَ الذُّبُّ أَوْ لَلذُّبُ أَوْفَى أَمَانَةً وما مِنْهُمَا إِلَّا أذَلُّ خُتُونُ

استراح رجل إلى جليس له في السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل ترضى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لي ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إِمَّا اتَّيَمْتِكَ خَالِيَا نَحْنَتَ وَإِمَّا قَلْتَ قَوْلًا بِإِلَاعِمٍ
فَأنتَ مِنَ الأَمْرِ الَّذِي قَلْتَ بَيْنَنَا بمنزلةٍ بَيْنَ الخِيَانَةِ وَالإِثْمِ (٣)

أنشدني علي بن إسماعيل لنفسه :

لَا يُرَى إِلَّا لِدُنْيَا طَالِبًا فِيهَا دِيَانَةً

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١/١٦٩ ، المقصد الفريد ٢/٢٢٦ ، وفيه . تصوف كي يقال ، وما يعنى التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلوى ، انظرهما والقصة في حماسة أبي تمام ٢/٩ ، وانظر مجموعة المعاني ٧١ ، محاضرات الأدباء ١/١٩٠ .

وَإِذَا قِيلَ أَمِينٌ قَدْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
وَقَعَ التَّخْصِيلُ مِنْهُ بَيْنَ غَدْرِ^(١) وَخِيَانِهِ

وقال آخر:

لَا يَخُونُ الْأَمِينُ شَيْئًا وَلَكِنْ رُبَّمَا تَحَسَّبُ الْخَوْنُ أَمِينًا
وقال آخر:

أَلَا رَبُّ مَنْ تَعْتَدُهُ لَكَ نَاصِحًا وَمُؤْتَمِنًا بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينٍ^(٢)
وقال أبو يعقوب النخعي:

يَا لَرَجَالٍ لِقَوْمٍ قَدْ بَلَّوْهُمْ أَرَى جِوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ
مَاذَا تَنْظُنُّ بِقَوْمٍ خَيْرٌ كَسَبِهِمْ مُصْرَحُ الشُّحْتِ سَمَوُهُ الْأَمَانَاتِ

وفي الحديث المرفوع: «الصدق يهدي إلى البرِّ، والبرُّ يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار».

يقال: صدق وبرّ، وكذب وفجر.

قال بعض الحكماء: من عُرِفَ بالصدق جاز كذبه، ومن عُرِفَ بالكذب لم يَجُزْ صدقه.

(١) عذر،

(٢) نسب البيت في حماسة البحتري ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلوي، وابتطره في محاضرات الأدباء ٦١/١، وفيات الأعيان ١٩٦/٦، وفيه: الأرب من تفتشه لك ناصح ومؤتمن... الخ

وقال محمود الوراق :

إذا عُرِفَ الكَذَابُ بالكِذْبِ لم يكن لدى النَّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صَادِقًا
ومن آفةِ الكَذَابِ نسيانُ كِذْبِهِ وتلقاؤه ذَا حِفْظٍ إذا كان حَازِقًا

وقال آخر:

لا يكذبُ المرءُ إلا مِن مَهَاتِهِ أو عَادَةِ الشُّوءِ أو مِن قِلَّةِ الأَدَبِ^(١)
قال بعضهم : ما أراني أوجر في ترك الكذب . قيل له : ولم ؟ قال : لأنى أدعه
اتقاء^(٢) .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع^(٣) .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لا كذبن كذبة يتحدث بها
الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت
الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مقالةُ الشُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أُسْرِعُ مِنْ مُنْهَدِرِ سَائِلِ^(٤)

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرف ١٠/٢ ، المختار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير نسبة .

(٢) ١ : إتقاء .

(٣) ١ : الصدق عدو الكذب .

(٤) سبق البيتان في ص ٤٠١ ، وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع آيات أخرى في باب
الآداب ٣٦٠ ، البيان ٣٣٩/٢ ، وقد نسب بعض هذا الشعر في المنتخل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بني ! احذر الكذب فإنه شهي كلحم العصفور ، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعي : قيل لكذاب : ما يملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تفرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .

قال جميل المذري :

لما الله من لا ينفع الودُّ عنده ومن حبسه إن مدَّ غير مستين
ومن هو ذو لؤنين ليس بدائم على خلقٍ خوان كل أمين^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك» .

(١) حماسة أبي تمام ١/١٢٥ ، ١٢٦ .

بابُ الحقِّ والباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثقيلٌ ، فمن قصر عنه عجز ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشيع بن نهشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرئ وإن قَدُم » .

وقال عليه السلام : « رحم الله عمرَ بن الخطَّاب ، تركه الحقُّ ليس له صديقٌ » .

لما استخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمعيقب الدوسى (١) : ما يقول الناس في استخلافه في عمر ؟ قال : كرهه قومٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقَّ يبدو كريهاً وله تكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للتقوى .

قالوا : من قصد إلى الحقِّ اتسعت له المذاهبُ حُجَّةً ، ومن تعداه ضاق به أمره ، وما هلك امرؤٌ عرف قدره .

قالوا : الحكمةُ تدعو إلى الحقِّ ، والجهلُ يدعو إلى السَّفَه ، كما أن الحجةَ تدعو إلى المذهبِ الصَّحيح ، والشبهةُ تدعو إلى المذهبِ الفاسد .

(١) هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسى الأزدي ، كان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، ومات في خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠ ، ٢٥٤ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعضُ الحكماء : من جهلك بالحق والباطل ، أن تريد إقامة الباطل
بإبطال الحق .

قال أعرابيٌّ ، وقد ذُكرَ عنده الإصلاحُ والإفساد ، فقال : لا تمنعن كثيرًا
من حقٍّ ، ولا تمنعن قليلًا في باطل ، فما حُرِّك حقٌّ وباطلٌ إلا كان لهما شهود .

قال بعضُ الحكماء : لا يمدُّ الرجلُ عاقلًا ، حتى يستكمل ثلاثًا : إعطاء الحق
من نفسه في حال الرضا والنضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألا ترى
له زلةً عند ضجره . وقد تقدّم قولُ أبي العتاهية في باب الرجاء والخوف :

ومن ضاقَ عنه الحقُّ ضاقتْ مَذاهِبُهُ (١)

ولأبي العتاهية أيضًا :

الباطلُ الدَّهرَ يُلقَى لا ضيَاءَ لَهُ والحقُّ أبلجُ فيه النورُ يأتلقُ (٢)

لما احتضرَ أبو بكر الصِّدِّيق ، أرسل إلى عمرَ ، فقال . يا عمرُ ! إن وُلِّيت على
الناس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما تمُلت موازينٌ من ثقلت موازينهم يوم القيامة
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله (٣) عليهم ، وحق موازين إذا وُضع فيه الحق غدأ أن
يكون تميلًا ، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل في الدنيا

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يثق بالله لم يصف عبسه . ديوانه ١٠ .

(٢) ديوانه ١٧٢ .

(٣) ب : وثقلت .

وَحَقِّهِ عَلَيْهِمْ ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ وَضِعَ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ . وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تَوْدَى الْفَرِيضَةَ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ : إِنِّي لَخَائِفٌ أَلَّا أَلْحَقَ بِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهَا ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ ، قُلْتُ : إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي ، فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ ، وَإِنْ صُنِعَتْ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتَ بِمُعْجِزِهِ .

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية : أن الزم الحق ، ينزلك الحق في منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى إلا بالحق .

أول كتاب كتبه علي بن أبي طالب في خلافته : أمّا بعد ، فإنما هلك من كان قبلكم ، أنهم منعوا الحق حتى اشتري ، وبسطوا الباطل حتى اقتدي .

وقال علي بن أبي طالب لرجل من الخوارج : والله ما عرفت حتى ظهر الباطل . قال وبرة المكي : سمعت عن ابن عباس كلمات لهي أحب إلي من الذهب الموقفة ، قال : لا تتكلمن فيما لا يعينك حتى تترى له موضعاً ، فرب متكلم بالحق في غير

موضعه قد عيب ، ولا تمارين سفيهاً ولا حليماً ، فإنَّ السَّفِيهَ يُؤْذِيكَ ، والحليمُ يُقْلِيكَ ،
ولا تذكرنَّ أخاك إذا غاب عنك إلاَّ بمثل ما تُحِبُّ أن يذكركَ به إذا غبت عنه ،
واعمل عملَ رجلٍ يعلمُ أنه مجزئٌ بالإحسان ، ومأخوذٌ بالإجرام ، فقال رجل
عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من
عشرة آلاف .

قال ابن مسعود : من كانَ على الحقِّ ، فهو جماعةٌ وإن كان وحده .

قال غيره : الحقُّ ثقيلٌ ، وطُلابُه قليلٌ .

وقال غيره : الحقُّ كثيرٌ ، والقائلون به يسيرٌ .

وقال غيره : الأحمقُ يغضبُ من الحقِّ ، والعاقلُ يغضبُ من الباطلِ .

وكان يقال : من هلك في دولة الباطل ، أكثر ممن حيَّ بالباطل (١) .

قال أنوشروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا

من أهله .

قال أبو العتاهية :

وَالْحَقُّ بُرْهَانٌ وَالْمَوْتُ فِكْرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمٌ (٢)

(١) ب = الحق .

(٢) ديوانه ٢١٨ ،

قال مالكُ بن أنسٍ : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض .

وقال : إن^(١) لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة .

قال سعدُ بن أبي وقاصٍ لسلمانٍ : أوصني . قال : أخلص الحقَّ يخلصك . وأظنَّ

هذا من قول القائل : أعزَّ الحقُّ يذلُّ لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحقِّ إلا بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل

إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العتّابي :

وما سُكِّلَ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصَّوَى يَسْتَبِينُهَا

الصَّوَى : جمع صُوَّة ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق .

قال رجلٌ لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق^(٢)

وقال بعض الحكماء : النعمة نفور^(٣) ، ولقلمها انقشعت نافرة فرجعت في

نصابها^(٤) ، فاستدغ شاردينا بالتوبة ، واستدم الرّاهن^(٥) منها بكرم الجوار ،

(١) ب : ابن .

(٢) الهملاج بالكسر : من البراذين السريع ، والقطوف : الدابة التي ضاق مشيها .

(٣) ب : نوار .

(٤) ب : بصائبها .

(٥) ب : الداهب .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحق عن نفسه ، وصدقك
عن أمره (١) .

قال منصور الفقيه :

إِنَّ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَا طَلٍ فَرْقًا لَا يُحِيلُ
وَعَلَى نِيَّةِ ذِي الْقَوْلِ لِي مِنَ الْقَوْلِ دَلِيلُ
فَقُلْ الْحَقُّ وَإِنْ قِيلَ لَكَ الْحَقُّ ثَقِيلُ
فَاتَّقِ اللَّهَ إِذَا سُورِتَ وَانظُرْ مَا تَقُولُ
لَا يَضُرُّكَ إِنْ قَالَا مِنَ النَّاسِ جَهْلُونَ
إِنْ قَوْلَ الْمَرْءِ فِيهَا لَمْ يُسَلِّ عَنْهُ فُضُولُ

وقال الصلتان العبدي :

وَالْحَقُّ بَيْنَ النَّاسِ رَاضٍ وَجَارِعُ وَلِلْأَذْنَابِ فِيهِ لِلرُّؤْسِ تَوَابِعُ
وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقُدَامِيِّ وَرَيْشُهُ وَمَا تَسْتَوِي فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

روى عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد :

(١) : ١ : وصدقك عن غيره .

أَلَا كَلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»^(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملت من ناقةٍ فوقَ ظهْرِهَا أبرَّ وأوفى ذِمَّةً من محمدٍ^(٢)

قال الحاتمي : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيس^(٣) بن عائس

لا ابن حجر^(٤) .

اللَّهُ أَنجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْمَلِ^(٥)

وأنشد ثعلب :

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائِلُهُ بيتٌ يُقالُ إذا أنشدتهُ صدقاً^(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح الله عبده مسلم في نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى

الحق منها ، إلا أعطى خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في

الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا معالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/٢٧٠ .

(٣) ساقط من اء وامرؤ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته في العيني ١/٣٠ - ٣٢ ، تاريخ الشعراء

الحضرميين ١/٤٤ . (الأعلام) ١/٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٤/٣٠٣ من غير نسبة ونسب في المنتخل ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالْأَفِلِ
 فَلَمَّ فِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ وَلَمَّ فِي مِنَ الْخَلْفِ النَّازِلِ
 أَبْكِي عَلَى ذَا وَأَبْكِي لِدَا بَكَاءِ الْمُؤَلَّهَةِ الشَّاكِلِ
 تُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا قَاطِعِ وَتُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا وَاصِلِ
 تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصَّبَا (١) وَرَدَّ التُّقَى عَنَّتْ (٢) الْبَاطِلِ (٣)

انتهى القسم الأول
 (الجزءان الأول والثاني)
 بتجزئة المؤلف

(١) ب : تقضت غايات شكر ، ا : تقضت غايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات في : الوزراء والكتاب ٨١ ، البيان والتبيين ١/٢١٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، بطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه المراجع تورد قبل البيت الأخير بيتاً لأبي بليراده ، وهو :

فليست تقتر عن عبرة لها في الضمة وعن هاملي

القسم الثاني

(الجزءان الثالث والرابع)

بتعجـزة المؤلف

بِسْمِ الْبَيْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

بابُ الْحَيَاءِ وَالْوَقَارِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكلُّ دينٍ خُتُّاقٌ ، وَخُلِقَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءَ » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » .

^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ حَيٌّ كَرِيمٌ ، وَالْفَاجِرُ خَبِيثٌ لَثِيمٌ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحييَّ الحليمَّ المتعقِّفَ ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ »^(٣) السائل الملحف .

قال سليمان عليه السلام : الْحَيَاءُ نِظَامُ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا انْحَلَّ النِّظَامُ ذَهَبَ مَا فِيهِ .

وفي التفسير : ﴿ وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾^(٤) . قالوا : الْحَيَاءُ .

وقالوا : الْوَقَارُ مِنَ اللَّهِ ، فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْوَقَارَ فَقَدْ وَسَّمَهُ بِسِيَاهِ الْخَيْرِ .

(١) بعد البسملة ترد في اعبارة : رب يسر ، وفي ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا في كلا اللسختين ، وورد الكلام في م متصلا .

(٢) ساقط من ا .

(٣) في ا : السبيء .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .

وقالوا : من تكلم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسنُ : أربع من كنّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق^(١) بواحدة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضاً : رأسُ مكارمِ الأخلاقِ الحياءُ .

قال الشاعر^(٢) :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياءُ والكرم^(٣)
ولا إلى محرّمٍ مددتُ يدي ولا مشيتُ بي لريبةٍ قدم^(٤)

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى^(٥) ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس^(٦) :

إذا لم تخش عاقبة اللبالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

(١) في ج : تسكّم .

(٢) البيهقي في المستطرف ٣/٣٩٦ .

(٣) في أ : وما دعاني الهوى لمعصية .

(٤) في أ : لولة . (٥) ساقطة من أ ، م .

(٦) وردت الأبيات في ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها في التعريف بأحمد بن حميد ، ونسبت له أيضاً في لباب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، العقد الفريد ٢/٤١٤ . على أن أبا تمام نفسه أوردتها في الحماسة ٢/٣٠ من غير نسبة وقد ورد الثاني منها منسوباً لجليل بن المعلّى الفزاري أحد بني عميرة بن جؤية في المؤلف ٧٢ .

فلا والله^(١) ما في العيش خيره
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحقيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

وقال أبو دلف العجلي :

إذا لم تصن عرساً ولم تخش خالقاً
ولم ترزع مخلوقاً فما شئت فاصنع^(٢)
وقال صالح بن جراح :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
وقال آخر :

إذا رزق الفتى وجهاً وقأحا
تقلب في الأمور كما يشاء
ورب دنية ما حال بيني
وبين ركوبها إلا الحياء^(٣)

وقال الحزین بن عبد الله الليثي^(٤) ، وتنسب إلى الفرزدق :

يُنغض حياءً وَيُنغض من مهاتبه
فلا يُسكّم إلا حين يبتسم
وقال آخر :

كریمٌ يَنْغضُ الطرفَ فضلُ حياؤه
ويدنو وأطرافُ الرّماحِ دواني

(١) في الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتي هذا البيت في ج بعد البيت التالي ، وفي ١ : تسمى خلفاً بدل ترع . مخلوقاً .

(٣) ورد البيتان في العقد الفريد ٢/٤١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٨ من غير نسبة .

(٤) في الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق في هامش ص ١٠٥ .

وكالسيف إن لا ينته لان مَشُهُ وحدها إن خاشته خشان^(١)
وقالت ليلي الأخيَلِيَّة :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالَهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً^(٢)
وقال أمية بن أبي الصِّلْتِ في ابن جُدَعَانَ التَّمِيمِي^(٣) :

أَذْكَرُ حَاجَتِي أُمِّ فَدٍ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِيَمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يَنْغَيِّرُهُ صَبَاحُ عَنِ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الشَّنَاءُ^(٤)

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : من كساه الحياء ثوبه^(٥) ، خفي عن^(٦)

الناس عيبه .

(١) وردت الشطره الأولى في ١ : يضم عن المعشاه فضل ثيابه . وفي ٢ : فهو لين بدل لان متنه ، وقد ورد البيتان في أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التي ذكرتها عند ورود البيتين في ص ٥١٢ ، ولم أجد من نسبهما إلا النحالي ، حيث ذكر أنهما لأبي الشيمس الأعرابي في خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٣/٢٧٨ وفيه : ومقدر بدل مخرق ، وانظره في الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالي القالي ١/٢٤٨ ، حماسه أبي تمام ٢/٢٦٣ .

(٣) هو عبد الله بن جدعان التميمي القرشي ، أحد الأجداد المشهورين في الجامعة ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغاني (دار الكتب) ٤/٨ ، ٩ ، ١٩ ، (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) الأبيات في ديوان أمية ١٧ ، وفي ١ : أطلب بدل أذكر ، وما أثبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ١ ، م .

(٦) ساقطة من ١ .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي،
حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين^(١)، قال ابن كُنَاسَةَ^(٢):

فِي انْقِبَاضِ وَحِشْمَةٍ إِذَا لَاقَيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ -
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقَلْتُ مَا قَلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ^(٣)

(١) في ١ : حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب (بكُنَاسَةَ) بن عبد الأعلى المازني الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين ، وكان يجنب في شعره المدح والهجاء . توفي سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٥٨/٩ ، الأغاني ٣٣٧/١٣ (دار البكيت) ، (الأعلام ٩٢/٧) .

(٣) ورد البيتان في البيان والتبيين ٢٨٥/٣ ، وفيه خللت بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٧١/٥ ، وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ تردد في نسبتها بين ابن كُنَاسَةَ وبين أبي نواس ، وقد وروا فعلا في مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لابن كُنَاسَةَ .

باب حُسن الخلق وسوته

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا » .

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين وضعت رجلي في الغرز^(١) - أن قال : « حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ » .

^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْنُ الْخُلُقِ يُبْنِي ، وَسُوءُ الْخُلُقِ سُوءٌ » .^(٣)

قال كعب الأحمار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالتهار ، الظامي بالهواجر .

وفي الخبر المرفوع أيضاً : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب في الحكمة ، الرفيق^(٤) خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق^(٥) ، والوحدة خير من جليس السوء ،^(٥) والجليل الصالح خير من الوحدة^(٥) .

(١) الغرز : ركاب الدابة والمعروف أن معاذ أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن . لما أمر بشداء وكان هذا آخر ما أوصاه به النبي قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) - : الرفيق .

(٣) ساقط من أ .

(٤) ساقط من أ .

(٥) أ : لزين .

كان يقال : من ساء خلقه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا بني عبد المطلب ا إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فَلْيَسْمِعْهُمْ مِنْكُمْ حَسَنُ الْخَلْقِ ، وَالْقَوْمُ^(١) بطلاقة الوجه وحسن البشر » .

قال أبو الدرداء : إنا لنكشُرُ في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلغنهم^(٢) .
 روى في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَمْ^(٣) ﴾ ، قالوا : وخلقك فصن .

قال سفيان بن عيينة : من حُسن خلقه ساء خلق خادمه .
 كان يقال : حسن الخلق^(٤) يكسب حسن الذكر .

قال أبو العتاهية :

عامل الناس بوجهه طابقُ والقي من تلقى يبشِّرُ رفيقُ
 فإذا أنت جميلُ الشنا وإذا أنت كثيرُ الصديق^(٥)

(١) ا : ولقائهم .

(٢) في ا ، هـ : لتقبلهم ، ولا تمتقنم مع مفهوم الخير ، إذ معنى المكاشرة الضحك في الوجه وإظهار السرور ، مع إبطان غير ذلك ، وما أثبتناه موافق لما ورد في عيون الأخبار ٢٧/٣ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) ا : البشر .

(٥) البيتان في ديوانه ١٧١ ، وفيه ورد البيت الأول :

عامل الناس برأى رفيق والقي من تلقى بوجه طابق

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق^(١)

وقال آخر :

خالق الناس بمخلوق حسن لا تمكّن كلباً على الناس يهر

وقال^(٢) آخر - هو^(٢) المغيرة بن حبياء :

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقاً تذم وتمدح

وقال ابن وكيع^(٣) :

لاق بالبشر من لقيت من النا س وعاشر بأحسن الإنصاف
لا تخالف وإن أتوا بخلاف تستدم ودّهم بترك الخلاف
وإذا خفت فرط غيظك فانهض مسرعاً عنهم إلى الإنصاف
إنما الناس إن تأملت دال ماله غير أن تداويه شافي

وقال آخر :

قد يمكت الناس دهرًا ليس بينهم ود فيزرعه التسليم والأطف

(١) البيت في عيون الأخبار ١/٣٦ .

(٢) ساقط من > .

(٣) هو الحسن بن علي الضبي التنيسي ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بقم بقمصر ، انظر وفيات الأعيان ١/١٣٧ ، يتيمة الدهر ١/٢٨١ (الأعلام ٢/٢١٨) ، وانظر الآيات في اليتيمة ١/٢٨٢ .

وقال العتّابي يذم رجلا :

فكم نعمة آتاكها الله جزلةً
فسلطت أخلاقاً عليها ذميمةً
وكنت امرئاً الوشئت أن تبلغ المدى
ولكن فطام النفس أثقل محملاً
مُراةً^(١) من كل خلقٍ يُذيمها
تعاوَزَها حتى تفرى أديمها
بلغت بأدنى نعمةٍ تستديمها
من الصخرة الصماء حين ترؤمها^(٢)

(١) ١ : منزلة .

(٢) في ١ : أعسر بدل أثقل ، وانظر بهن هذا الشجر في الحيوان ٦٢/٣ .

بَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالشُّؤْدَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . ويروى « محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

ليس دُنْيَا بغيرِ دينٍ وليس الدُّ
ينُ إِلَّا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
إِنَّمَا الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ فِي النَّاسِ
سِهُمَا مِنْ فُرُوعِ أَهْلِ النَّفَاقِ (١)

ولإبراهيم بن المهدي :

لاخيرَ في الدُّنْيَا بلا دينٍ ولا
فِي الْمَالِ إِلَّا مِنْهُ فِيمَا يُبْذَلُ
فَأَصِيبُ وَأَنْلِفُ وَاسْتَفِدُّ وَأَفْدَوْعِشُ
فِيمَا اشْتَهَتْ تَمَّ يَجِلُّ وَيَجْمَلُ (٢)

وقال آخر :

وما المرءُ إِلَّا حيثُ يجعلُ نفسه
ففي صالحِ الْأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ (٣)

(٤) وقال آخر :

تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقَهُ وَتَشِينُهُ
وَتَذَكِّرُ أفعالُ الْفَتَى حَيْثُ لَا يَدْرِي (٥)

(١) لم أعر على البيتين في ديوانه .

(٢) البيتان في أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفي ١ : فاصبر بدل فأصب ، وبما بدل بما .

(٣) البيت في معاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، المقدم للريد ٢/٢٩٣ من غير نسبة ، ونسب في البيان ٣/٢٠٣

لمنقر بن فروة المنقري .

(٤) البيت ساقط من ١ . وهو لأبي البلاد الطهوي كما في البيان والتبيين ٣/٨٢ .

خطب ثلاثة إخوة من العرب^(١) إلى عمهم ثلاث بناتٍ له ، فقال : مرحباً بكم ،
 لَأَأْذِمَّ^(٢) عهدكم ، ولا أستطيع ردّكم ، خبروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر :
 الصّون للعرض ، والجزاء بالقرض . وقال الأوسط : النهوض بالثقل ، والأخذ
 بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد . قال : أحسنتم في الجواب ،
 ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ ممالي الأخلاق وأشرفها^(٣) ، ويكره
 سَفْسَافَهَا »

قال الحسنُ : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوةٌ في لين ، وحزمٌ في دين ، وإيمانٌ في
 يقين ، وحرصٌ على العلم ، واقتصادٌ في النفقة^(٤) ، وبذلٌ في السّعة ، وقناعةٌ في الفاقة ،
 ورحمةٌ للمجهود ، وإعطاءٌ في حقٍّ ، وبرٌّ في استقامة .

قالت عائشةُ رضی الله عنها : خلالُ المكارم عشرٌ ، تكون في الرّجل
 ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكونُ في العبد ولا تكون في سيّده ،
 يَتَسَمَّيْهَا اللهُ لمن أحبَّ : صدق الحديث ، ومداراةُ النَّاسِ ، وصلةُ الرَّحِمِ ، وحفظُ

(١) - من الاخوة .

(٢) ا : دام .

(٣) ساقطة من ج .

(٤) ا : العقر .

الأمانة، والتدبُّم^(١) للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقري الضيف،
والوفاء بالعهد، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء.

قيل لبُزْرَجْمَهْر: أي شيء أنت به أسرّ؟ قال: قدرتي على مكافأة من
أحسن إلي^(٢).

قال مَصْقَلَةُ بن هُبَيْرَةَ الشَّيبَانِي: سمعتُ صَعَصَعَةَ بن صُوحَانَ، وقد سأله
ابن عباس ما السؤدد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النوال،
وكفُّ المرء نفسه عن السؤال، والتودد للصغير والكبير، وأن^(٣) يكون الناس
عندك في الحق شرعاً^(٤).

سئل عبد الله بن عمر عن السؤدد، فقال: الحلم والجود.

كان يقال: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر، واكتسب فيه الأجر، وارتهن
فيه الشكر، واسترق فيه الحر.

قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه: إنما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم،

(٧) التدبُّم للجار هو أن يحفظه ذماته، أو يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

(٢) في ما، ش ا وردت العبارة الآتية: «وفي محل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن لي: وعفوي
عند قدرتي على من أساء لي».

(٣) ج: وقد.

(٤) شرعاً: سواء.

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأفضى حقوقكم ، وأحفظ حرمتم^(١) ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد علىّ فهو خير منى ، ومن زدت عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضهم على مكارم الأخلاق .

^(٢) وقال عبد الله بن عمر : نحن معشر قريش نمدُّ الحلم والجود السوداء ، ونمدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السوداء فيكم لرخيص . فقال له : أمّا نحن فما نسود إلا فتى يوطئنا رَحْلَه ، ويفرشنا عِرْضَه ، ويبذل لنا ماله . قال : أشهد أن السوداء فيكم لغالٍ .

قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الأحقق في ماله ، الذليل في عرضه ، المطرّح لحقده ، المعنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الأخرق في ماله ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست

(١) ج : حريمكم .

(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ١ .

خصال وتامها في الإسلام سابعة : السخاء والنجدة ، والصبر والعلم ، والبيان والحسب . وفي الإسلام زيادة العفاف .

ذُكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ومعاوية . فقال : كان معاوية أسودّ منهم ، وكانوا خيراً منه .

روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكفّ أذاه ، فذلك السيّد » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار يوماً : « من سيّدكم ؟ » فقالوا : الجُدُّ بن قيس على بخل فيه . فقال عليه السلام : « أيّ داءٍ أدوّأ من البخل ؟ بل سيّدكم الجُمُدُ الأبيض عمرو بن الجُمُوح » . فقال شاعرهم في ذلك :

وقال رسولُ الله والحقُّ قَوْلُهُ لمن قال منا من تُسمون سيّدا

فقالوا له الجُدُّ بن قيس على التي نبخله فيها وإن كان أسودا

فتى ما تخطى خطوةً لدنيّة ولا مدّ في يوم إلى سوءٍ يدا

فسودّ عمر بن الجُمُوح بجوده وحقّ لعمر وبالندى أن يسودا^(١)

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا

ويعطى سائلنا .

(١) انظر هذا الخبر والأبيات في ترجمة عمرو بن الجُمُوح في الإصابة ، القسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس علي التي هل مثلها عمرو لسكنت السوداء

كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه
فجرحهما ، فأتى به سالم ، فقال له : ما أمتك^(١) من انتقامي ؟ قال : فلم
سوء ذلك إذا ؟ إلا لتكظم الفيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفي سالم
هذا يقول الشاعر :

نَسُودُ أَقْوَامًا وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بل السيد المعلوم سلم بن نوفل^(٢)

أنشد ابن عائشة^(٣) :

لا يبلغُ المجدَ أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلُّوا وإن عزُّوا لأقوامٍ -
وَيُشْتَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لا عفوَ ذلٍّ ولكن عفوَ أحلامٍ -
وإن دَعَا الجَارُ لَبَّوْا عند دعوته في النَّائِبَاتِ بِإِسْرَاحٍ وإِلْجَامٍ^(٤)
مُسْتَلَمِينَ ، لهم عند الوغى زَجَلٌ كأنَّ أسيافهم أغرين بالهَامِ^(٥)

قال الأصمعي : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع
ألف ليس فيهم حلیم .

(١) في الأصل : ما أمرك .

(٢) ورد البيت في العقد الفرید ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص النيمي ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل
البصرة ، اشتهر بهجاء القاضى أحمد بن أبى دواد ، وكان قد قصده في بغداد فدحه فلم يمره التفاتاً فهجاه ، تولى
٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٣٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .

(٤) ساقط من أ .

(٥) الاستلثام : التدرج ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرؤس . وانظر البيت الأول في العقد
الفرید ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا ياتر ، وقد وردت كتاباً في أمالي القالى ٣/٤١ ، عيون الأخبار
٣/٢٨٧ .

كان يقال : ثلاثة لا يذنبون^(١) من ثلاثة حلیم من سفيه ، وبر من فاجر ،
وشريف من دنى .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال؛
إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي
تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سَأَلَزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَى الْجَرَائِمِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلِي مُقَاوِمٌ^(٢)
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقَ فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ وَأَلْزَمُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صَدَّتْ عَنْهُ مَقَالَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا تَفَضَّلْتُ إِنْ الْفَضْلَ لِلْحَرِّ حَاكِمٌ^(٣)

وقال آخر :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كَلَّمَا تَذَكَّرْنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ
فَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةً كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِي أَرَى أَنْ تَرَكَ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

(١) في ا : يستقصون .

(٢) مقاوم : مساو لي في القيمة .

(٣) الأبيات بدون نسبة في العقد المرید ٢/٢٨٣ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

قال الحسنُ البصرى : ما سمعت الله عزَّ وجلَّ نَحَلَ عِبَادَهُ شَيْئًا أَقْلَ من الحَلَمِ ،
فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ فَبَشِّرْهُنَّ بِبُحْلَمٍ
حَلِيمٍ ﴾^(٢) .

قال العتّابى :

إِذَا سَرَّنِي دَهْرِي قَبْلْتُ وَإِنْ أَبِي أَيْدَتْ عَلَيْهِ أَنْ أُضِيقَ لَهُ صَدْرًا
فَكُمُّ مِنْ مُسِيءٍ قَدْ لَقِيتُ وَمَحْسَنِ فَأَوْسَعْتُ ذَا جِلْمًا وَأَوْسَعْتُ ذَا سُكْرًا^(٣)

قال عليُّ بن أبي طالب رضى الله : إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ انْغَمَّ ،
فَزِدْهُ إِعْرَاضًا .

^(٤) كان يقال : بِحَسَنِ السَّيْرَةِ يُقَهَّرُ^(٤) المَنَاوِي ، وَبِالْحَلَمِ عَنِ السَّفِيهِ يَكْتُمُ
^(٤) أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ .

قال الشاعر :

^(٥) سَكَتٌ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي عَيِّتٌ وَمَا عَيِّتُ عَنِ الْجَوَابِ^(٥)
مَتَارِكُهُ السَّفِيهِ بِلَا جَوَابٍ أَشَدُّ عَلَى السَّفِيهِ مِنَ الْعَذَابِ

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٣) البيتان في زهر الآداب ١١٢/٣ .

(٤) ساقط من ج .

(٥) ساقط من ا .

ولا شيء أحبُّ إلى سفيهِ إذا وقع الكريم^(١) من السُّبابِ

سبَّ الشعبيَّ رجلٌ، فقال له : إن كنتَ كاذباً يَغْفِرُ اللهُ لك ، وإن كنتَ صادقاً يَغْفِرُ اللهُ لي .

قال الشعبيُّ : الغضبُ غولُ الحلمِ^(٢) .

قال خالد بن صفوان : شهدتُ عمرو بن عبِيدٍ ورجلٌ يشتمه ، فقال : آجرك اللهُ على ما ذكرتَ من^(٣) صوابٍ ، وغفر لك على ما ذكرتَ من^(٤) خطأ ، قال : فما حسدتُ أحداً حسدِي عمرو بن عبِيدٍ على هاتين الكلمتين .

مرَّ الشعبيُّ بقومٍ ينتقصونه ، فأنشد :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخْأَبِرٍ
لعزّةٍ من أعرأهِننا ما استَحَلَّتِ^(٥)

قال النابذة الجعديّ :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمِهِ إِذَا لَمْ تَسْكُنْ لَهُ
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
بِوَادِرِ تَحِيصِي صَفْوَهُ أَنْ يُسْكَدَرَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا أوردَ الأَمْرَ أَصْدَرَا^(٥)

(١) في ح : السكلام .

(٢) في أ : غول الحليم .

(٣) ساقط من ح .

(٤) البيت لكثير عزة ، ديوانه ٥٧/١ .

(٥) البيهتان في الشعر والشعراء ١٥٩ ، معجم الشعر ٣٢١ ، عيون الأخبار ١/٢٣٩ ، ٢٨٥ ، نهاية الأرب

٧١٠/٢ و١ : أرب بدل حليم .

وقال آخر :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازرع^١ وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم^١
بصائر^١ يرشدن^١ الفتى مستينة^١ وأخلاق صدق^١ علمها بالتعلم^(١)

قيل للحمصين بن المنذر : بم سُدَّتْ قومك ؟ قال : بحسب لا يُطمع فيه ، ورأى
لا يُستغنى عنه .

وذكر الشؤدد عند معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إنه لينتقل في الحى كما ينتقل
الظل^(٢) .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السادات من لو أطمعته^٢ دماك إلى نارٍ يفور^٢ سعيها^(٢)

قال : كان سفيان بن عيينة يتمثل :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مسود^٢ ومن الشقاء تفردي^٢ بالشؤدد^(٢)

(١) البيان لكثير ، ديوانه ٢١٨/١ ، وى : بصائر رشد طاهر ومشبه ، واطرها أيضا البيان والتبيين
٢٠٥/١ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعبون الأخبار ٦/٢ وفيها : بصائر رشد لفتى .

(٢) يريد أن من يتمتع بأخلاق السيادة تنتقل شهرته في الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت في البيان ١٩٥/٣ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٨٠/٣ .

(٤) نسب البيت في البيان ١٩٦/٣ ، ٢٧٦ . والحيوان ٨٠/٣ الحارثة بن بدر ، وى هامش الحماسة ٣٤٠/١
قال لأنه لرجل من خنعم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا
حديقة فاختلفوا قتل بعضهم بعضا ، وقد تمثل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظراؤه من العلماء (انظر
أيضا في هذا هامش البيان ٢٧٦/٣) ، وقد ورد البيت بدون نسبة في وفيات الأعيان ٣٥٧/٣ ، عبون الأخبار
٢٦٨/١ ، العقد الفريد ٢٩٠/٢ .

قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كتبه لم تَقُلّه .

قال الشاعر :

وإنّ بقومٍ سوّدوكَ لفاقةً إلى سيّد لو يظفرون بسيّد^(١)

قيل للمهلب : ما السوّدد ؟ قال : أن يركب الرجل في منزله وحده ، ويرجع إلى منزله في جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السيّد فيكم ؟ قال : هو الذي إذا أقبل هبناه ، وإذا أدبر عبّناه ، ويروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنت لم تعمل برأي ولم تطيع ، أولى الرأى لم تركن إلى أمرٍ مُرشدٍ
ولم تجتنب ذمّ العشيرة كلّها ، وتدفعُ عنها باللسان وباليدِ
وتحلمُ عن جهّالها وتحوطها ، وتقمعُ عنها نخوة المتهدّدِ
فلست ولو عللتَ نفسك بالُمنى ، بندي سوّددي بادٍ ولا قرب سوّددي^(٢)

(١) نسب البيت لأبي نخيلة السعدي في البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، والحيوان ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة في حاسة البحري ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : لحاجة بدل لفاقة .
(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ١٩٦ ، جمهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أنس بن مدرك^(١) :

عزمتُ عَلَى إِفَامَةِ ذِي صَلَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مِنْ بَسْوَدٍ^(٢)

وقال أبو الحسن الموسوي^(٣) :

مَا السَّوْدَدُ الْمَكْسُوبُ إِلَّا دُونَ مَا يُؤْمِي إِلَيْهِ السَّوْدَدُ الْمَوْلُودُ
فَإِذَا هُمَا اتَّفَقَا تَكَسَّرَتِ الْقَنَا إِنْ غَوَّلِيَا وَتَضَمَّضَعَ الْجَمُودُ^(٤)

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالة في الأفرباء ، والبطر في الأغنياء .

قال المرار بن سعيد^(٥) :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ قَبِيلَةً فَبِالْحَلْمِ سُدَّ لَا بِالسَّفَاهَةِ وَالشَّمِّ^(٦)

وقال بعض أهل العلم : لا سؤدد إلا بالبخت والجِدِّ والسَّعد ، وذلك أنا قد

(١) أنس بن مدرك ، وسماه الهنادي في الحزاة ٣/٣٦٦ (ابن مدرك) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم في الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلمه ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بين علي ومعاوية ، فأنحاز إلى علي ، وقتل في إحدى المعارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ١/٧٣ . (الأعلام ٦/٣٦٦) .

(٢) البيت في البيان ٣/١٩٥ ، والحيوان ٣/٨١ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي) تقيب العلويين ، وأشعر الطالبيين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الوافية في تاريخ بغداد ٢/٢٤٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٤ ، يتيمة الدهر ٣/١٣٦ .

(٤) البيتان في ديوانه ١/٢٤٢ ، يتيمة الدهر ٣/١٣٧ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأرب ٣/١٠٧ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب النعمسي ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيدة . انظر في ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والشعراء ٦٨٠-٦٨٣ (الأعلام ٨/٨٣) .

(٦) البيت في الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبي تمام ١/٤٧٤ وفيها بالتسرع بدل بالسفاهة .

رأيناهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاقُ الجميلةُ توجبُ السُّوددَ والرياسةُ ، والأفعالُ المذمومة والأخلاقُ الدنيئةُ تمنعُ من السُّوددِ ، ثم رأينا فوماً سادوا بأخلاق لا تُحمد ، وبأفعال لا تُرضى ، فمن ذلك : أن الحمق يمنع من السُّوددِ ، وقد ساد عُمَيَّةُ ابنِ حِصْنِ^(١) ، وكان محمقاً ، وساد أبو سفيان وكان بخيلاً ، والبخلُ يمنع من السُّوددِ ، وساد عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ^(٢) ، وكان عاهراً ، ولا سؤدد مع العُهر ، وساد أبو جهلٍ وما طرَّ شاربه ، ودخل دار النَّدْوَةِ وما استوت لحيته ، والعدائهُ تمنع من السُّوددِ ، وساد شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ^(٣) ، وما بالبصرة بجملتي غيره ، وهم يقولون : لا سؤدد إلا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا سؤدناك ما سؤدت . قال فن سؤد شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ ، وليس بالبصرة بَجَلِيَّان .

(١) ابن بدر الفزاري ، له حجة ، وكان من المؤلفات قلوبهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الأحمق المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام في عهد أبي بكر ، ثم مال إلى طاعة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥٥/٥ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشمرأهم ، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم مضيراً قتله ولكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر لذلك أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، ويسطيه نصف ثمار المدينة ، رفض النبي ذلك ، فذهب عامر مهدداً متوصداً ، ثم مات قبل أن يصل إلى عتلة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والراجع الأخرى في هامش الأعلام ٢٠/٤ .

(٣) شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلي ، من التابعين ، وهو أخو أبي بكر التقي لأمه ، من الدين اشتركوها في الفتوح الإسلامية في عهد عمر ، وقد نغم على أبي موسى الأشعري بعض تصرفاته فزله عثمان على يده . انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٥/٤ .

وساد عتبة بن ربيعة^(١) وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قطاً ، ولم ينفصل عن قوت أهله قوتٌ ضيفٍ واحد ، وهم يتولون إن التمر يمنع من السؤدد .
هَذَا كَلَّمَهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ السُّؤدَدَ بِالْبَحْتِ

وقال غيره : أسباب السؤدد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحذق
والحلم والسخاء .
أبو سلمى :

لَا بَدَّ لِلسُّؤدَدِ مِنْ أَرْمَاحٍ وَمَنْ سَفِيهٍ دَائِمِ النَّبَاحِ

وَمَنْ عَدِيدٍ يَتَّقِي بِالرَّاحِ^(٢)

أى لا يتقى بالدعاء .

وقال غيلان بن سامة الثقفي :

لَا بَدَّ لِلسُّؤدَدِ مِنْ عَدِيدِ^(٣)

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان وصوفاً بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولسكنه طغى وشهد مع المشركين بدرًا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) انظرها في البيان ١٩٠/٣ ، ٢٧٥ ، الحيوان ٣٥١/١ ، وقد وردت في العقد ٢٨٠/٢ برواية أخرى هي .

لَا بَدَّ لِلسُّؤدَدِ مِنْ رِمَاحٍ وَمَنْ رَجَالِ مَصْلَحِي السَّلَاحِ

يَدَافِعُونَ دُونَهُ بِالرَّاحِ وَمَنْ سَفِيهٍ دَائِمِ النَّبَاحِ

(٣) انظر الشطرة في البيان والحيوان في نفس الصفحات التي وردت في الهامش السابق ولم أعثر على كلمة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدي من مراجع .

قال النابغةُ الذبيانيُّ :

تعدُّو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ وتتقي صَوْلَةَ المستنفرِ الحامي^(١)

قال الحسنُ بن سهلٍ يوماً : الشَّرَفُ في الشَّرَفِ ، فقيل له : لا خيرَ في الشرفِ ،

فقال : لا سَرَفَ في الخيرِ ، فردَّ اللَّفظةَ واستوفى المعنى .

قال إسماعيلُ بن جعفرُ بن سليمان الهاشمي : عَجِبْتُ لمن لا يكتبُ العلمَ كيف

تدعوهُ نفسه إلى مَكْرُمَةٍ .

ابن بَشَّار :

وَإِذَا جَزَيْتَ أَخَا بَدَنٍ بِ كَانِ مِنْهُ لَمْ تَسُدَّهُ

وَلَقَدْ لَمَّا طَلَبَ الْفَتَى لِأَخِيهِ عِيَا لَمْ يَجِدُهُ^(٢)

الهُذَلِيُّ :

وَإِنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمُ لَهَا صَعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلُ^(٣)

(١) وردت الشعرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتسى مريض المستأسد الحامي حماسة البحتري ٢٦٤

وتتقى صولة المستأسد الضاري الحيوان ٨٧/٢

وتتقى مريض المستنفر الحامي عيون الأخبار ١٠٩/٤

وقد نسب البيت للنابغة في المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه المرزباني في المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ١/٢٦٦ .

(٣) البيت للأعصم الهذلي كما في ديوان الهذليين ٨٧/٢ ، وانظره في البيان ١٩٥/١ ، ٢٧٠ ، والحيوان

٩٥/٢ وفيه : وإن سياسة ، وفي نسخة - : عسير بدل طويل . والصحناء : المرتفعة يقال : أكمة صعداء أي يشتد صعودها على الراقي .

لما توفي عبد الله بن طاهر^(١)، صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه، وأعتق
عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانته، وفعل ذلك إخوته، ودفع كل نَجْلٍ
منهم إلى كلِّ غلام خمس مائة درهم، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً
ذكر^(٢)، فقال أبو العميثل^(٣) الشاعر المصعب بن عبد الله وكان^(٤) يختص بطاهر
ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتستقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال:
بلى. فأنشده هذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

يا من يحاول أن تكونَ خلأه كخلالِ عبد الله أنصبتَ وأسمعتَ^(٥)
فلا قصدتك بالنصيحةِ والذي حيجَّ الحجاجِ إليه فاقبلْ أو دج^(٥)
إن كنتَ تطمعُ أن تحلَّ محلَّه في المجد والشرفِ الأشمُّ الأرفعُ
فاصدقْ وعفَّ وبرَّ وارفقْ واتئدْ واحلمْ ودارِ وكافِ واصبرْ واشجعِ
والطفَّ ولنَّ وتأنَّ وانصُرْ واحتملْ واحزمْ وجدِّ وحامِ واحملْ وادفعِ
هذا الطريقُ إلى المكارمِ مهيباً فاسلكْ فقد أبصرتَ قصدَ المهيعِ^(٦)

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي بالولاء، من أشهر الولاة في العصر العباسي كان سيداً نبيلاً
على المهمة شهماً، وولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيراً من بلاد المشرق، توفي سنة ٢٣٠ هـ. انظر في ترجمته
وفيات الأعيان ١/٢٦٠، تاريخ بغداد ٩/٨٣؛ (الأعلام ٤/٢٢٦، ٢٧).

(٢) أبو العميثل: عبد الله بن خليل بن سعد، مؤدب من الشعراء الفضلاء، كان مولى لبني العباس وانصل
بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه في خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفي سنة
٢٤ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٢ (الأعلام ٤/٢١٦).

(٣) أي أبو العميثل.

(٤) في الوفيات: صفاته كصفات عبد الله الح.

(٥) في الوفيات: فلا تصحكنك بالمشورة.. فاسمع أو دج.

(٦) في ١: مقنعا بدل مهيبا، والمهيج: البين، وقد وردت هذه الأبيات ماعداً الثالث في وفيات الأعيان
٢/٢٧٥، ٢٧٦، الذخيرة ١/٣٢٠، ورواية البيت الأخير فيهما:

فأقد نصحتك إن قبلت نصيحتي وهديت للنهج الأسد المهيع

فاستحسن طاهرُ الأبيات ، وقال : والله لقد أفدتني ، ما يجبُ به شكرك ،
فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكت أسدُ العرين ولم يكن لها خلفٌ في الغيلِ ساد الثعالبُ
كذا القمرُ السّارى إذا غاب لم يكن له خلفٌ في الجوِّ إلا الكواكبُ

قال بعض الحكماء : من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم .

باب حمدِ الحلمِ وذمِّ السّفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجج عبد القيس^(١): «يا أشجج^(٢) عبد القيس^(٣) أو يا منذر! فيك خصمتان يرضاها الله ورسوله: الحلم والأناة»، فقال: يا رسول الله! أشيء جبنى الله عليه أم شيء اخترعته من قبل^(٤) نفسي؟ . فقال: «بل شيء جبلك الله عليه». فقال: الحمد لله الذي جبنى على خلق^(٥) يرضاه الله ورسوله

قال الشعبي: زين العلم حلم أهله .

قال رجاء بن أبي سامة: الحلم أرفع من العقل، لأن الله تسمى به .

قال معاوية: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي .

وقال معاوية لعمر بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول، واقتصر

على الإيجاز . قال: فن أصبر الناس؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه قال: فن

أشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله بحلمه .

(١) اسمه المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي من عبد القيس أو من بني عبد الله بن دارم من تميم ، كان صاحب البحرين قبل الإسلام ، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوها فيها إلى الإسلام فأسلم فأثره على عمله ، وثمة خلاف في أمر وفوده على النبي ، انظره في الإصابة الترجمة ١٢١٢ ٢

(٢) ساقطة من ا ، م .

(٣) في - ، م : على شيء .

قال محمد بن أبي شحاذ^(١) :

إذا الحلم لم ينلب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمة ورواعد

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذل والصبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إني لأجد ما تجدون ، ولكنني صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم^(٢) أنصر^(٣) لي من الرجال^(٤) .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ، ومن

عمو إلى قدرته .

وقد روينا هذا الكلام لمن هو أسن من عمر وأكبر .

وقال بلعاء بن قيس :

أثبتت لنفسى الخسف لما رضوا به وأوليتهم سمى وما كنت مفتحاً

وقال شريح : الحلم كنز موقر ، والحليم مطية الجهول .

(١) في الأصول محمد بن صحر ، وفي - : بزيادة العبدى ، وقد وجدت البيت منسوبا في حاشية أبي تمام ٤٦/٢ لمحمد بن أبي شحاذ الضبى ، وسماه في معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبي شحاذ ، ولقد جهدت في البحث عن محمد بن صحر العبدى هذا فلم أجد إلا صحر بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان في أول العصر الأيوبي ، ويبدو أنه قد حدث تحريف من ناسخى النسختين أ ، م في اسم شحاذ حوله إلى صحر ثم زاد ناسخ النسخة ح العبدى ، وقد أثبت الاسم كما في الحاشية .

(٢) في ١ . الصبر .

(٣) ساقط من ح ،

قالوا : بالعقل استُخرج غورُ الحكمة ، وبالجمام استُخرج غورُ العقل .

قال أبو العتاهية :

فياربَّ هَبْ لِي مِنْكَ حِمًّا فَإِنِّي أرى الحِلْمَ لم يندَمْ عليه حلِيمُ
ويارب هب لي منك عزماً على التقى أقيم به ما عشتُ حيثُ أقيم
ألا إنَّ تقوى الله أكرمُ نسبةً تَسَامَى بها عند الفخارِ كَرِيمِ^(١)

قال الخريزي :

أرى الحِلْمَ في بعضِ المواطنِ ذِلَّةً وفي بعضها عِزًّا يُسَوِّدُ فاعِلُهُ

قال عُمارة^(٢) بن عقيل^(٢) :

إذا أغضبتَ ذا كرمٍ تَخَطَّى إليك يبعضُ أخلاقِ اللثيمِ
وإنَّ الله ذُو حِلْمٍ ولكنَّ بقدر الحِلْمِ مُنتَصِفُ الحِلْمِ^(٣)

وقال آخر :

بني هِلَالٍ أَلَا تَنهَوُا سَفِيهَ كُفْمُ إنَّ السَّفِيهَ إِذَا لم يُنْتَه مَأْمور^(٤)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف في الترتيب .

(٢) ساقط من أ .

(٣) نسب البيتان في عيون الأخبار ٣/٢٨٥ إلى عبارة كما هنا ، وقد وردا للبحراني في ديوانه ٣/٢٦٦ ،

نهاية الأرب ٣/٩٣ ، وفيهما : متى أخرجت .

(٤) البيت في البيان ٣/٢٦١ من غير نسبة ، وفيه : بني هدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

رب حلمٍ أضاعَهُ عدْمُ الما ل وجهلٍ غطَّى عليه النعيم^(١)

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تُعرِضْ عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحياء أخوخ
وما كنت أرضى الجهل خذناً ولا أخاً^(٣) ولكنني أرضى به حين أخرج
فإن قال بعضُ الناس في سماجة^(٤) فقد صدقوا والذلُّ بالحرِّ أسيج^(٥)

وقال أبو يعقوب الخريبي :

وإنك تلقى صاحبَ الجهلِ نادماً عليه ولا يأسى على الحلمِ صاحبه

وقال حبيبُ الطائي :

إذا جاريت في خلقٍ دنياً^(٥) فأنت ومن تجاربه سواء

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) نسب البيت في عيون الأخبار ٢٣١/٣ إلى كعب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ .
ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) في ١ : وصاحباً .

(٤) نسبت هذه الأبيات في عيون الأخبار ٢٨٩/٣ إلى محمد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩
إلى محمد بن حازم الباهل ، ووردت بدون نسبة في العقد الفريد ١٤/٣ ، محاضرات الأدباء ١١٧/١ :

(٥) في ١ : دنياً .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ ولىَّ بدأ لهم من الناسِ الجفاءُ^(١)

ولآخر :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمِ أحيانا من الجهلِ أقبحُ
إذا كان حلمُ المرءِ عونُ عدوِّه عليه فإن الجهلَ أعنى وأروحُ
وفي العفوِ ضعفٌ والمقوبةِ قوةٌ إذا كنتَ تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهانُ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا^(٢)

قال آخر :

إذا نُهيَ السفيةُ جرى إليه وخالف السفيةُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيهه^(٣) ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن
جاءنا سفيةٌ ردّ عنا سفيةً ؛ لأننا لا ندرى ما تقابل به السفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولكلِّ عقلٍ غفوةٌ أو سهوةٌ والحسْرُ محتاجٌ إلى التنبيةِ

(١) ديوانه ٤٣٣ .

(٢) البيت في الجمهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

(٣) فهو : سفية .

والعاقلُ النَّحْرِيُّ محتاجٌ إلى أن يستعينَ بِجَاهِلٍ مَعْتَوِهِ^(١)

وقال آخر :

وَلربما اعتضد الحليم بِجَاهِلٍ لا خير في اليمنى بِغير يسارِ

وقال آخر :

وليس الحليمُ الذي كلَّ ساعةٍ به غضبٌ في أنفه بتوقدُ
إذا أمِنَ^(٢) الجَهْلُ جهلك لم تزل عليك بوادي جهلهم تنوردُ
وإن عقاب^(٣) الجاهلين لنذهب بِحلمك فانظر أي هاتين تعمدُ

كان يقال : ليس الحليم من قذف فكظم ، ولكن من صدم فصبر .

قال البحري :

أرى الحلمُ بُؤساً في المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهل^(٤)

وقال آخر :

قل ما بدالك من زورٍ ومن كذبٍ حلمي أصمٌ وأذني غيرُ صمَاءٍ

وقال آخر :

ولا خيرَ في عرضِ امرئٍ لا يصونهُ ولا خيرَ في حلمِ امرئٍ ذلَّ جانبه °

(١) في ١ : سهوة أو غفلة ، وانظرها في ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ١ : أمر . (٣) = : عفاف

(٤) البيت في الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت في عيون الأخبار ٣/٢٢٩ .

وقال مروان بن الحكم :

إِذَا أَمِنَ الْجَهْلُ جَهْلَكَ مَرَّةً فَعَرَضَكَ لِلْجَهْلِ غُنْمٌ مِنَ الْغُنْمِ -
 وَإِنْ أَنْتَ بَأَذَيْتَ السَّفِيهَ إِذَا بَدَأَ (١) فَأَنْتَ سَفِيهٌ مِثْلَهُ غَيْرِ ذِي حِلْمٍ
 فَلَا تَقْرَضَنَّ عَرْضَ السَّفِيهِ وَدَارَهُ بِحِلْمٍ فَإِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ فَبِالصَّرْمِ
 وَمَنْ عَاتَبَ الْجَهْلَ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ وَلَكِنَّهُ يَزْدَادُ سُقْمًا إِلَى سُقْمِ (٢)
 فَدَعِ عَنْكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ عِتَابَهُ فَإِنَّكَ إِنْ عَاتَبْتَهُ صَارَ كَالْخَصْمِ -
 وَغَمٌّ عَلَيْهِ الْحِلْمَ وَالْجَهْلَ وَالْقَهَّ بِنَزْلَةٍ بَيْنَ الْعِدَاوَةِ وَالسَّلَامِ -
 فِيرْجُوكَ أحيانًا وَيَخْشَاكَ تَارَةً وَيَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحَزْمِ -
 فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنَ الْجَهْلِ فَاسْتَعِنِ عَلَيْهِ بِجَهَالٍ فَذَلِكَ مِنَ الْعَزْمِ

وقال أبو دهبيل الجُمحى (٣) :

وَكَانُوا أَنْاسًا كُنْتُ آمِنٌ غِيْبَهُمْ فَلَمْ يَنْهَهُمْ حِلْمٌ وَلَمْ يَتَحَرَّجُوا (٤)

(١) في ١ : وإن أنت جارت السفيه بجهله .

(٢) في ١ : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل إلى .

(٣) في ١ : أبو دعبيل ، وفي ح : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما في م ، وأبو دهبيل هو : وهب ابن زمعة بن أسد القرشي ، من أشرف جمع بن لؤي بن غالب ، أحد شعراء العشق المشهورين ، وله مدائح في معاوية وابن الزبير . انظر المؤلفات ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣٥ (الأعلام ١٤٩/٩) .

(٤) انظر البيت في عيون الأخبار ٢٢/٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورُ الفقيه :

إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابِ قَوْمٍ تَقَحَّحَتْ
تَدْخُلَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ
سَمَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا
حَلِيمٌ تَنْجَى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ^(١)

وقال آخر :

الْعَفْوُ عِنْدَ لَيْبِ الْقَوْمِ مَكْرُمَةٌ
وَبَعْضُهُ لِسَفِيهِ الرَّأْيِ تَدْرِيبٌ^(٢)

(١) قى ح : عن جوار .

(٢) البيت في الميوان ١٦/١ ، وفيه موعظة بدل مكرمة .

بابُ مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيمَةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَخْلِ فَبَخَلُوا ، وبالفجور فَنَجَبُوا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا ثلاثُ صلَحَ النَّاسُ : شحُّ مطاعٍ ، وهوى متَّبِع ، وإعجابُ المرءِ بنفسه » .

قال الزُّبَيْرُ بن العَوَّامِ في خطبة خطبها بالبصرة : أيها النَّاسُ ! إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ يَوْمًا بِعِمَامَتِي مِنْ وَرَائِي فَقَالَ : « يَا زُبَيْرُ ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ ^(١) ، وَلَا تُوكِئْ ^(٢) فَيُوكَأْ عَلَيْكَ . أَوْسِعْ يُوسِعْ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ فَيُضَيِّقْ عَلَيْكَ . واعلم يا زبيرُ أن الله يحبُّ الإنفاقَ ولا يحبُّ الإقتارَ ، وَيحبُّ السَّحَابَةَ ولو على فلقِ تمرَةٍ ، وَيحبُّ الشَّجَاعَةَ ولو على قتلِ ^(٣) حيةٍ أو عقربٍ ، واعلم يا زبيرُ أن الله كنوز ^(٤) أموالٍ سوى الأرزاقِ التي قسمها بين العبادِ ،

(١) ساقطة من أ .

(٢) توكئ : تبخل .

(٣) ساقطة من أ .

(٤) في ج : فضول ؛

محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله
من فضله . » .

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه : البخل جلاباب المسكنة ، وربما دخل
السحى بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل تركُّ حقٍّ قد وجب لخوفٍ^١ شيءٍ لم يقع .
روى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقبِلوا الكرامِ عثراتهم »
ويروى . « أقبِلوا ذوى الهَبَاتِ زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، والفاجر لثيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عزَّ وجل : أنا جواد كريم ، لا يجاورنى فى
جنتى لثيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القيرى^(٢) ، وكف الأذى . قيل : فما
البخل ؟ قال : طلبُ اليسرِ ومنعُ الحقير . وقد روى هذا من كلام أكشم بن صيفى
والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال . بذلُ الموجود .

(١) فى > : ترك شيءٍ قد وجب خوف .. الح .

(٢) فى ا : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالمعطية .

قال أحمد بن أبي دؤاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًا ، ولا وضع عدوًّا فليس بكريم .

قال شعيب بن حرب : ليس السخى من أخذ المال من غير حله فبذره ، وإنما السخى من عرض عليه ذلك المال فتركه ، أو جمع من حق ووضعه في حق^(١) .

كان زياد بن أبيه يقول : من منع ماله سبيل الحمد أورثه من لا يحمده .

قال إبراهيم بن أبي عبلة^(٢) : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان^(٣) ثوباً طريفاً^(٤) ما لبسته .

قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني^(٥) : إنكم معشر العبّاد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإننا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

(١) يأتي هذا الخبر في بعد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من أ .

(٣) إبراهيم بن (أبي عبلة) شعر بن يقظان بن عبد الله المرتجل الرملي وقيل الدمشقي ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر في التمهيد أن ابن أبي عبلة كان ثقة فاضلاً ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفي إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولاني ، أبو مسلم ، تابعي فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفي بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت غيرةً فلا موضع فيها للشر ، وأما السجّاحُ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ (١) .

قال أسماء بن خارجة (٢) : لو لم يَدْخُلْ على البخلاء في بُخْلِهِمْ إِلَّا سَوْءُ ظَنِّهِمْ بربِّهِمْ فِي الْخَلْفِ لَكَانَ ذَلِكَ عَظِيمًا .

قال زهير :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَنْغَنَ عَنْهُ وَيَذَمُّمَ (٣)

وقال محمد بن يسير :

كَمْ مَانِعٍ نَفْسَهُ لِنَاتِهَا حَذْرًا لِلْفَقْرِ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَالِهِ ذُخْرُ
إِنْ كَانَ إِمْسَاكُهُ لِلْفَقْرِ يَحْذَرُهُ فَقَدْ تَعَجَّلَ فَقْرًا قَبْلَ يَفْتَقَرُ

وقال آخر :

مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ لِلْبُخْلِ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّسَبِ

(١) سورة التَّحْرِيمِ ، الآية ٣ .

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفراري ، تابعي من رجال الطبقة الأولى في الحديث ، من أهل الكوفة ، وكان سيد قومه مقدما عند الحلفاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مطير الأسدي (١) :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى
ولكنه خيمُ الرجالِ وخيرُها (٢)

وقال آخر :

إني امرؤٌ أجزي الكريمَ بوُدِّهِ
وأصدُّ عن وصلِ اللئيمِ وأقطعُ

وقال منصور الفقيه :

جهلوا القياسَ للطفهِ فتوهموا
أن البخيلَ وكلبُهُ مثلانِ
والكلبُ يحفظُ أهله ويقيمهم
ويكفُّ طارقهم عن المدوانِ
والنذلُ يوحشُ أهله ويجمعهم
ويحضُّ ناصرهم على الخذلانِ
فها ومن جعل الكلابَ أعزةً
والباخلينَ أذلةً ضِدَّانِ (٣)

قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن
الكرام أصبرُ نفوساً ، واللثام أصبرُ أجساماً .

قال الشاعر :

إنَّ ذا اللُّومِ إذا أكرمتُهُ
حسب الإكرامِ حقاً لزمَكَ

(١) ساقطة من ١ ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدي ، مولاهم ، شاعر متقدم في الفصيح والرجز ،
وفد على معن بن زائدة حين ولي اليمن فمدحه ثم رثاه حين مات ، توفي ابن مطير سنة ١٦٩ هـ . انظر معجم الأدباء
٩٧/٤ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٤٨٥/٢) .

(٢) الميم : الطبيعة والسجية .

(٣) لى ج : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضلِ إذا أكرمتهُ لم يُصغِرْكَ ولكن عَظَمَكَ

قال أبو الطيب المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)

وقال آخر :

أراك تُؤمِّلُ حسنَ ائِثْنا ءِ ولم يرزُق الله ذاكَ البَخِيلَا

وقال آخر :

تريدن أن أرضى وأنت بخيلةٌ ومن ذا الذى يُرضى الأخلاءَ بالبُخْلِ^(٢)

وقال آخر :

ندبْتُكُمْ^(٣) لِنَفْعِي أَنْ قَدَرْتُمْ فلم أر فيكم حُرًّا كريماً
ومالِي عنْدكم ذنبٌ أراه سوى أنى عرفْتُكُمْ قديماً

وقال زيد بن عمرو النخعي :

لقد كذب المعاصِرُ حين قالوا عليٌّ والمُخَارِقُ سيِّدانِ
هما حِجرانِ من جِبلِ^(٤) صُلُودِ إذا قِيلَ ارشعَا لا يرشعَانِ

(١) ديوانه ٣٦١ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ١٠٩/٣ من غير نسبة .

(٣) في ح : فديتكم .

(٤) في أ : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عازُّ أبا عمرو إذا أعجبتاني

وقال ابن أبي فَنَن (١) :

وإن أحقَّ الناسَ باللَّومِ شاعرُهُ يلوُمُ عَلى البخلِ الرجالَ ويَبخلُ

قال الحطيئة (٢) :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعطِ طائلا فسيانَ لازمٌ عليك ولا حمدُ

وقال منصور الفقيه :

زادُ البخلِ إذا مضى لسبيلِهِ ذمُّ المِدا وقطيعَةُ الوراثِ

وأخو السباحِ فخطه من أهله ومن الغريبِ مدائحٌ ومراثِ

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيِفُ بنى السَّليِّ لِي فنُ حَمَامَاتِ الحَرَمِ

ما إن يُجسُّ ولا يُمسُّ (٣) ولا يُذاقُ ولا يُشمُ

فإذا نزلتَ بـدارهم فانزلْ بِشِدْقِ مُلتَمِّمِ

حتى تميشَ مُسَلِّمًا يا من يعيشُ بغيرِ فمِّ

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فَنَن) ، شاعر مجود نقي اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خاقان ، انظر في ترجمته تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ ، زهر الآداب ٦٢/٤ ، وانظر البيت في العقد ٤٦/٢ .

(٢) لم أعثر على البيت في ديوانه ، وانظره في محاضرات الأدباء ١٤٨/١ بدون نسبة .

ولنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَعَدَّوْا رُبُّوْا قَطَّهْمُ
بمُخْلًا بما تَطْرَحُهُ المَائِدَةُ
ما عَرَضَتْ قَطُّ لَهْمِ تَحْمَةٍ
ولا تَشْكُرُوا مَعِدَّةَ فَاسِدَةٍ (١)

قال الحسن بن هاني (٢) :

وباخِلِ جِئْتُهُ فِقْدَمِ لِي
كِسْرَةَ خَبِزٍ وَعَيْنُهُ عَبْرِي
فَقَالَ ما تَشْتَهِي فَقُلْتُ لَهُ
قِطْعَةً جُبْنٍ وَكِسْرَةَ أُخْرَى

وله أيضاً (٣) :

على خَبِزِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ البُخْلِ
فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الأَمَانِ مِنَ الأَكْلِ
وما خَبِزُهُ إِلا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ (٤)
ولم يَرِ آوَى فِي الحَزُونِ ولا السَّهْلِ
وما خَبِزُهُ إِلا كَعَنْقَاءِ مُغْرَبٍ (٥)
تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ المُلُوكِ وَفِي التَّمَثْلِ
يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرُوا (٦)
سَوَى صُورَةٍ ما إِنْ تَمِرُّ ولا تَحْلِي

(١) في ح : المعدة الفاسدة .

(٢) ديوانه ١٧١ .

(٣) الأبيات قالها في هجاء إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، أنظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان

١٢٩/٣ ، ١٣٠ .

(٤) يطلق على الثعلب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لا وجود له .

(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .

(٦) في ديوانه : من غير رؤية .

وما خبزُهُ إِلَّا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ لِيَالِي يَحْمَى (١) عَزُهُ مَنبِتَ الْبَقْلِ
 وَإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبُّ خَصْمَانِ عِنْدَهُ وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجِدِّ وَلَا هَزْلٍ
 فَإِنَّ خَبْزُ إِسْمَاعِيلَ حَلٌّ بِهِ الَّذِي أَصَابَ كَلِيبًا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنِ بَدَلٍ
 وَلَكِنْ قَضَاءٌ لَيْسَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ (٢)

قلت (٣) : أراد بقوله : وإذ هو لا يستبُّ خصمان عنده قول مَهْلِيل :

أَوْذَى الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلُّهُمْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
 وَتَنَازَعُوا فِي أَمْرٍ كُلٌّ عَظِيمَةٌ لَوْ قَدْ تَكُونُ شَهَادَتُهُمْ لَمْ يَنْبَسُوا (٤)

وَكَكَلِيبٍ هَذَا هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ النَّابِغَةُ الْجَعْدَى بِقَوْلِهِ :

كَلِيبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِاللِّدْمِ (٥)

قال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيْكَرَاشٍ ، وَيُرْوَى لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخَرِيمِيِّ :

وَإِنِّي لِأُرْثِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا عَلَى طَمِيعٍ عِنْدَ اللَّثِيمِ يُطَالِبُهُ

(١) في ديوانه : ومن كان يحمى .

(٢) في ديوانه : رده .

(٣) في ١ ، ٢ : قال أبو عمر .

(٤) ورد البيتان في الكامل ١/١٨٦ ، أمالي القالي ١/٩٥ ، حساسة ابن تمام ١/٣٩١ ، الحيوان ٣/١٢٨ ،
 والعقد الفريد ٣/٢٩٨ . ورواية الحماسة والأمل للبيت الأول : نبت أن النار بعدك أوقدت ، وفي الكامل
 والعقد : ذهب الخيار . والرواية للبيت الثاني في الكامل والعقد : وتناولوا بدل تنازعوا ، . . . لو كنت
 حاضر أمرهم . وفي الحماسة والأمل تسكروا بدل تنازعوا . . . لو كنت شاهدهم بها . واتفقت رواية الحيوان
 مع الأصل .

(٥) البيت في معجم الشعراء ٣٢١ ، العقد الفريد ٥/٢١٥ ، الحيوان ١/٣٢٢ ، التمهيلي والمهاضبة ٦٢ ،
 ويروى : ذنباً بدل جرماً .

وَأُرْتِي لَهُ مِنْ وَقْفَةٍ عِنْدَ أَبِيهِ كَمَرَهُ بَيْتِي لِلطَّرْفِ وَالْمَلِجِ رَاكِبُهُ (١)

وقال جرير :

إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرِيمَ ابْنُهَا وَإِنَّ التَّيْمَةَ لِلثَّامِ نَصُورُ (٢)

(٣) وقال آخر :

إِنَّ مَنْ عَضَّتْ الْكِلَابُ عَصَاهُ ثُمَّ أَثْرَى فَمُعْجِزٌ أَنْ يَجُودَا (٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْ لِلْكَرَامِ اعْرِفُوا حَقَّ الثَّامِ لِكَمْ
لَوْ لَا الثَّامُ لَمَا عُدُّوا الْكَرَامَ وَلَا
لَكُنْهُمْ جَنْحُوا لِلنَّقْصِ فَانْتَقَصُوا
جَادُوا فَسَادُوا وَضَنَّ الْآخَرُونَ فَمَا
قَدْ سَاءَ ظَنِّي بِمَا قَدْ كُنْتُ أُحْمَدُهُ
تَدَارَسُوا الْبُخْلَ حَتَّى دَقَّ مَذْهَبُهُمْ
فَاسْتَعْقَلُوا كُلٌّ مَنْ أَصْفَى الْبُخْلَهُمْ
إِنَّ الثَّامَ لَهُمْ عِنْدَ الْكَرَامِ يَدُ
بَانُوا بِفَضْلِ إِذَا مَا حُصِّلَ الْعَدُّ
وَزَادَ غَيْرُهُمْ فَضْلًا بَا اعْتَقَدُوا
يَعُدُّو عَلَى وَالِدٍ مِنْ لُؤْمِهِ وَلُدُ
لَمَّا رَأَيْتُ جَمِيعَ النَّاسِ قَدْ فَسَدُوا
فِيهِ وَدَانُوا بِإِخْلَافِ الَّذِي وَعَدُوا
وَاسْتَجْهَلُوا كُلٌّ مَنْ وَاسَى بِمَا يَجِدُ

(١) البيتان في عيون الأخبار ١/٨٩ ، البيان ٣/١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمع . والطرف : الجواد الكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفي ١ : ابن الكريم .

(٣) ساقط من ١ .

فصارَ للبخلِ حَقُّ الجودِ يَدِينُهُمْ وَأَلْزَمُوا الجودَ عَارَ البخلِ لَا رَشْدُوا

وقال آخر :

فإن سمعتَ بِهِ لِكِ للبخلِ فقلْ بُعْدًا وَسُحْقًا لَهُ من هَالِكِ مُودِي^(١)

قال محمود الوراق :

إذا أعطاكَ قتر^(٢) حين يُعطى وإن لم يُعطِ قال أبا القضاة
يُبخلُ ربّه سَنَفًا وظامًا ويعذرُ نفسه فيما يشاء
تَنَقَّلَ عن فعَالِ الخيرِ جهلاً وخافَةً أن يضرَّ به العناء

وقال الحسن بن هانئ^(٣) :

رأيتُ الفضلَ متكئًا يُنأغي الخبزَ والسَّمَكَا^(٤)
فقطَّبَ حين أبصرَني ونكسَ رأسَهُ وَبَسَكِي^(٥)

(١) البيت في الحيوان ٥٠/٣ من غير نسبة .

(٢) الأبيات في محاضرات الأدباء ٢٩٠/١ ، وفيها : قصر بدل قتر .

(٣) وردت الأبيات في ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت في ديوان أبي العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأشهر

أنها لأبي نواس .

(٤) في ديوان أبي العتاهية : ينأغي البحر .

(٥) رواية البيت في ديوان أبي نواس :

فأسبل دمه لما رأني قادمًا وبكي

وفي ديوان أبي العتاهية :

فأرسل عينه لما رأني مقبلًا وبكي

فلما أن حلفت له بأني صائمٌ ضحكاً

ولنصور الفقيه أيضاً :

أتيتُ عمرًا سحرًا فقال : إني صائمٌ

فقلت : إني قاعدٌ فقال : إني قائمٌ

فقلت : آتيتك غدًا فقال : صومي دائمٌ

قال جَحْظَةُ (١) :

دخلتُ على باخلٍ بالطعام فأت من الخوفِ لما دخلتُ

فقلتُ له : لا يرُعك اللُخُولُ فاجئتُ يديك حتى أكلتُ

وقال أبو نواس :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوماً (٢)

فكان كمن سقى الظمانَ آلاً وكنت كمن تغدّى في المنام (٣)

وقال منصور الفقيه :

إن لم يُصِيبك من الكدر يم الحُرُّ وابله فطلُّه

(١) جحظة هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد اليرمكي ، من بقايا البرامكة ، كان في عينيه نوء فلقيه ابن المعتز بجحظة ، وكان جحظة مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفاً بالموسيقى ، توفي سنة ٣٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ١/٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥ (الأعلام ١/١٠٣) .

(٢) في ١ : نزلت وسقطت منها كلمة يوماً .

(٣) لم أعتز على البيتين في الديوان ، وهما في عيون الأخبصار ٣/٢٦٤ ، وورد في العقد الفريد ٦/١٨٧

من غير نسبة .

إن الكريم له على معروفه نفس تده
يبدى مكارمه كما يبدى فرند السيف صقله

قال آخر:

وإن جمع الآفات فالبخل شرها
وشر من البخل المواعيد والمطل^(١)

وقال منصور الفقيه:

إذا كان في بخله محكماً وحل من المجد أعلى الدرج
وجاءك يخطب زنجية مشوهة الخلق فيها هوج
فلا تحفلن به خاطباً ولا تفرحن ولا تبتهج
وإن كان سمحاً جميل الفعالي كريماً جواداً فإن الحرج
وإن القطيعة في صرفه ولو جاء يخطب إحدى المهج
بغير صداق لإعساره وما عسر منتظر للفرج

قال حماد عجرد، وتروى للعتابي^(٢):

إن الكريم ليخفى عنك عسرتة
حتى تراه غنياً وهو مجهود^(٣)

(١) البيت في العقد ٢/٢٥٢

(٢) نسبت الأبيات لحماد في عيون الأخبار ٣/١٧٨، العقد المرید ١/٢٧٤، ١٩٤/٦، وسبت للعتابي في أمالي القالي ٢/١٣٥، وتعقبه البكري في التنبيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعتابي، وقد وردت الأبيات في ديوان بشار ٢/٢٣٦ كما وردت في ترجمة بشار في الأغاني ١/٣٠٢.

(٣) رواية العقد في الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا، وفي الجزء السادس أوردته بهذه الرواية:

إن الكريم ترى في الناس عفته حتى يقال غني وهو مجهود

وللبخيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ زُرُقُ العُيونِ عليها أوجهٌ سودٌ
 إذا تكرَّهتَ أنْ تعطى القليلَ (١) ولم تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لم يظهر الجودُ
 أُورِقٌ بخيرٍ تُرَجَى للنوالِ فما تُرَجَى الثمارُ إذا لم يُورِقِ العودُ
 بُثَّ النوالَ وَلَا تَمْنَعُكَ قَلْتُهُ فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودٌ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل اتفَاعُ والكلب ينفع أهْلَهُ
 فزَّهُ الكلب عن أن ترى أخا الكلب مثْلَهُ

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدني

ابن المعلم لعلى بن الجهم :

وإذا الكريمُ أتيتَه بخديعةٍ أفيته فيما ترومُ يُسارعُ
 ليس الكريمُ كما ظننتَ بجاهلٍ إن الكريمَ لفضله يتخادعُ (٢)

قال آخر :

لا تطلبنِ إلى لثيمِ حاجةً واقعدُ فإنك قائمٌ كالقاعدِ

(١) في الأ.ال: إذا تكرمت عن بذل .

(٢) ديوانه ١٣٢ .

يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم هيهاتَ تضربُ في حديدِ باردٍ^(١)

قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ
وخبزُهُ أبردُ من أمْسِهِ
كَأَنَّهُ في جوفِ مِرْآةٍ
يُرَى ولا يُطْمَعُ في لَمْسِهِ

قال آخر :

إن كنت تطمَعُ في كلامِهِ
فأرفَعِ يمينَكَ عن طعامِهِ
سَيَّانَ كَسْرُ رَغيفِهِ
أو كَسْرُ عَظْمٍ من عِظامِهِ^(٢)

وقال دِغْبِلُ بنُ علي الخَزاعي :

لَئِن كُنْتُ لا تُؤَلِّي يَدًا دونَ إمْرَةٍ
فَلَسْتُ بِعولٍ نائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
وأئى جوادٍ لم يَجِدْ في مامِيَّةٍ
وأى بخيلٍ لم يُنلْ سَاعَةَ الوَفْرِ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

راجي البخيلِ وضيعُ
كما البخيلُ وضيعُ

(١) البيتان في عيون الأخبار ١٣٥/٣ .

(٢) ورد البيتان بنفس الرواية في العقد الفريد ١٩١/٦ ، محاضرات الأدباء ٣١٦/١ ، وورد على خلاف هذا الترتيب في عيون الأخبار ٢٧/٢ ، وفيها : لا تكسرن رغيفه إن كنت الخ . وقد نسب البيتان في المحاضرات لليزیدی الحوی وكدالك في وفيات الأعيان ٢٣٥/٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سِرْوَى ذَا فِي ذَيْنِ إِلَّا رَقِيعٌ

للعَرَزِيِّ وَيُرْوَى لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيِّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَثِيمٍ حَاجَةً فَأَلْحَ فِي رَفْقٍ وَأَنْتَ مَدِيمٌ^(١)

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مُسَّتْ قَوْمًا فَاجْعَلِ الوُدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ تَأْمَنُ كُلُّ مَا تَتَخَوَّفُ
فَإِنْ خَفْتَ مِنْ أَهْوَاءِ قَوْمٍ تَشْتَتَا فَالْبِالْجُودِ فَاجْمَعْ بَيْنَهُمْ يَتَأَلَّفُوا
فَإِنْ كَشَفْتَ عَنْكَ المَلَمَاتُ عَوْرَةً كَفَاكَ غِطَاءَ الجُودِ مَا يَتَكَشَفُ^(٢)

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : الكَرِيمُ لَا تَبْخُلْهُ التَّجَارِبُ . وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ الكَرِيمَ لَا تَحْكِمُهُ التَّجَارِبُ .

وَسُئِلَ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ البَخْلِ ، فَقَالَ : هُوَ أَنْ يَرَى الرَّجُلَ مَا يَنْفَقُهُ تَلْفًا ، وَمَا أَمْسَكَ شَرَفًا .

قَالَ طَاوُوسٌ : البَخْلُ أَنْ يَبْخُلَ الْإِنْسَانُ بِمَا فِي يَدَيْهِ ، وَالشَّحُّ أَنْ يَشْحَ بِمَا^(٣)

(١) سبق البيتان في ص ٣٢٢ .

(٢) الأبيات في أمالي الغالي ١/٢٣٩ ، منسوبة إلى أعرابي قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .

(٣) = : على ما في .

في أيدي الناس ، ويجب أن يكونَ له ما في أيديهم بالحل* والحرام ولا يقنع

وقال أبو العتاهية^(١) :

وإن امرءاً لم يربح الناسُ نفعه ولم يأمنوا منه الأذى للثيمِ
وإن امرءاً لم يحمل البرَّ كنزَه وإن كانت الدنيا له لعمدِيمِ

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ ، وَكَرَمُهُ تَقْوَاهُ ،
وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ » . ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة
قال : الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم . فقال
عليه السلام : « هكذا هي عندنا ^(١) في حكمة آل داود » ^(١) .

تَذَاكَرُوا المروءةَ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكثرُوا فيها ، فقال :
« أَمَا مَرُوءَةٌ تَنَافَى نَعَفَوْا عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وَنُعْطِي مَنْ حَرَمْنَا ، وَنُصَلِّ مَنْ قَطَعْنَا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهَبُ كَرَمَهُ فِي وَصْلِهِ مِنْ صَرَمِهِ
وَعَفْوِهِ عَنِ كُلِّ مَنْ أَسْخَطَهُ أَوْ ظَلَمَهُ
وَبِرِّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ حَرَمِهِ ^(٢)
فَمَا يَرَاهُ مُعْظَمُهُ لِلْحَقِّ إِلَّا أَعْظَمَهُ

(١) ساقط من > .

(٢) ١ : حرمه .

أُبْقِيَ عَلَيْهِ اللهُ - مَا أَبْقَاهُ فِينَا - نِعْمَةٌ
 وَزَادَ فِيهَا عِنْدَهُ وَحَاطَهُ وَسَلَّمَهُ

(١) من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفِعَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ فِي جُرْمٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَمَاقِبَهُ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ لَهُ مَرْوَةَ ، فَقَالَ : اسْتَوْهَبُوهُ مِنْ صَاحِبِهِ (١) .

سئل عبد الله بن عمر، عن المروءة والكرم والنجدة . فقال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعتة^(٢) ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام . وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبيل السؤال ، والإمامام في المحل . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ، والإقدام على الكريمة .

[وفي رواية أخرى ، أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة^(٣) ، وكان بعد عفوه عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين ! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح

(١) سافط من ١ .

(٢) ١ : وضعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أبي المرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك ابن حجر في الإصابة ، وهاشم هو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع عمه حرب الفرس بالفاسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجالة في صفين مع علي ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم يجالس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقمة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٤٩/٩ .

في المال ، والمحاماة عن العجار . وأما النجدة فالجراة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام^(١) .

قال طلحة بن عبيدالله^(٢) : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة^(١) حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرُّ الوالدين ، والصبرُ على النوائب .

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لتأول ، ولا سوؤد لسبيء الخلق .

سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الرئيب ، وإصلاح المال ، والقيام بمحوائج الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللباس .

وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعي : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق .

(١) ساقط من أ .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان يقال له طلحة الجود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر المراجع الكثيرة عنه في هاشم الأعلام ٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمال المروءة أن تصون عِرْضَكَ ، وتكرم إخوانك ، وتقبل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فَارَقَ الصَّبْرَ وَالْمُرُوءَةَ أَمْسَكَ مِنْ نَفْسِهِ عَدُوَّةً

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . والمروءة في الحضر : إدمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل .

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لذي المرءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من نفاق المرءة وكسادها .

كان يقال : صن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطلب .

أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا ميمونة ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ،
 عن عبد يزيد بن هشام بن عبد^(١) المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن
 إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيانَ بن عيينة ، وقد سُئِلَ عن المروءة
 ما هي ؟ فقال : الإِنصافُ من نفسك ، والتفضيلُ على غيرك ، ألم تسمع قول الله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(٢) لَاتِمُّ المروءةُ إلاَّ بهما ، العدلُ هو الإِنصافُ ،
 والإِحسانُ التفضيلُ .

^(٣) روى عن القُضَيْلِ بن عياض رحمه الله ، أنه سُئِلَ عن الرجل الكامل التام المروءة
 فقال : الكامل من برِّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ،
 وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأتقى من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .

قال الشاعر :

وَإِذَا الْفَتَى جَمَعَ المروءَةَ وَالثَّقَى وَحَوَى مَعَ الأَدبِ الحَيَاءَ فَقَدْ كَمَلَ^(٤)

قال رجل من بني قُرَيْبٍ :

إِذَا المَرءُ أَعْيَتْهُ المروءَةُ نَاشِئًا فطَلَبَهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدٌ^(٥)

قال جعفر بن محمد : لاهين لمن لا مروءة له .

(١) ساقطة من أ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) البيت في البيان ١/٢٧٠ ، العقد الفرید ٢/٤٣٥ .

قال أحمد بن المَدَلِّ : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يُسمع له شعرٌ غيرَ هذين البيتين ، وهما :

فلو مُدَّ سَرَوِيٌّ^(١) بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجِدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذِلًّا
فإنَّ المَرُوَّةَ لَا تُسْتَطَاعُ إذا لم يكن مَالَهَا فَاصِلًا^(٢)

وقال آخر :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أَرْزُقْ مَرُوَّةً وما المَرُوَّةُ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ
إذا أردتُ مُسَامَاةَ تَعْدُنِي عما يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةَ الحَالِ^(٣)

^(٤) وقال منصور الفقيه :

كلُّ من فارق المَرُوَّةَ عاشا ونعا وفره وزاد ريشاً
وأخو الفضل والمَرُوَّةَ والدي بنِ مُقِلِّ أُمُورِهِ تتلاشى^(٥)

وقال سفيان الثوري : من لم يتَفَتَّى لم يُحَسِّنْ يَتَقَرَّأ^(٥) .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجور ،

(١) السرو : المَرُوَّةُ والصرف .

(٢) البيتان في البيان ١/١٨٤ ، وانظر الثاني في التمثيل والمهاضرة ٤٢٢ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٣/٢٣٩ ، البيان ٣/١٨٣ وفيه تعادني بدل تعدني .

(٤) ساقط من - .

(٥) تفتى : فعل ما يفعله الفتيان من اللهو ، وتقرأ : تنسك وتورع ،

ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع ، وحجاب مرفوع ، ونائل
مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى^(١) مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لابن هرمة^(٢) :

ولرب ليلة لذة قد نلتها وحرأماً بحلالها مدفوع

وقال صريع العواني^(٣) :

وما ذمى الأيام أن لست حامداً لعهد ليالي التي سلفت قبل
الأرب يوم صادق العيش نلتُهُ بها وندامأى العفافة والبذل

وقال منصور الفقيه :

فَضْلُ التَّقَى أَفْضَلُ مِنْ فَضْلِ اللِّسَانِ وَالْحَسَبِ
إِذَا هَا لَمْ يُجْمَعَا إِلَى الْعَفَافِ وَالْأَدَبِ

(١) في ١ : وإناه .

(٢) - هو إبراهيم بن هلي بن سامة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشى ، شاعر غزل من سكان المدينة ،
من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور
من بعد فلقى منه جفاء فاقطع إلى الطالبين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفى سنة ١٧٦ هـ . انظر
تاريخ بغداد ١٢٧/٦ .

(٣) ساقطة من ح . وفي زاد الناسخ بعد كلمة صريع : « الدلاء » ، على أساس أن البيت لصريع الدلاء
(محمد بن عبد الواحد القصار) ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريع العواني مسلم بن الوليد ، وهو في
ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فتى القتيان من راح واغتدى
لشرب صبوح أو لشرب غبوق^(١)
ولكن فتى القتيان من راح واغتدى
لضرب عدو أو لنفع صديق^(٢)

وقال جحظة :

ألا يا أهل بغدادٍ جميعاً
عصيتم في المروءة من برآكم
تذمّون الزمانَ بغيرِ جرمٍ
وما بزمانكم عيبٌ سواكم

(١) الصبوح : ما يعرب من الخمر بالفدأة فا دون الفائلة ، والغبوق التي تشرب بالعشي .
(٢) البيتان في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ١٧/٣ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجالِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواحُ أجنادٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائْتَلَفَ ، وما تناكرَ منها اُخْتَلَفَ » .

أخذه بعضُ الشعراءِ فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ لله في الأرضِ بالأهواءِ تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مُخْتَلَفٌ^(١)

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الناسُ كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلةً » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأميرَ إذا تجسس على الناسِ أفسدهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « وَجَدتُ الناسَ أخْبِرُ تَقْلَهُ » . وقد روى هذا مرفوعًا عن أبي الدرداءِ .

وفي خبر آخر : « إن الناسَ سواسيةٌ كَأَسنانِ المُشْطِ » .

(١) اليتان في العقد الفريد ٢/٣٢٩ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوسَ لأجنادٍ مُجَنَّدَةٌ بالإذن من ربنا تجرى وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساؤوا هلكوا .

قال الشاعر :

سَوَاءَ كَأْسِنَانَ الْحَمَارِ فَلَا تَرَى لَدَى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيءٍ فَضْلًا^(١)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خالطِ الْمُؤْمِنَ بِقَلْبِكَ ، وَخَالَطِ الْفَاجِرَ

بُخْلَانِكَ .

كان يقال : يُمْتَحَنُ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : عِنْدَ هَوَاهُ إِذَا هَوِيَ ، وَعِنْدَ غَضَبِهِ

إِذَا غَضِبَ ، وَعِنْدَ طَمَعِهِ إِذَا طَمِعَ .

قال أبو عمرو بن العلاء : إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَالِكَ عِنْدَ صَدِيقِكَ فَاعْرِفْ مَا كَانَ

لصديقك قبلك عنده .

قال سفيان الثوري : إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَالِكَ عِنْدَ صَدِيقِكَ فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ

أَنْصَفَكَ فِي غَضَبِهِ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْهُ .

قال الفضلُ بنُ عباس بن عُثْبَةَ بنِ أَبِي لَهَبٍ^(٢) :

إِذَا أُرِدْتَ وِدَادَ امْرِئٍ فَسَلِّ كَيْفَ كَانَ لِإِخْوَانِهِ

(١) البيت لسكثير عرة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد في الميوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل

سواء .

(٢) من فضحاء بني هاشم ، كان شديد السمرة وعرف لذلك بالأخضر وبالاهي نسبة إلى أبي لهب ، في

شعره رقة ، مات في خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإِذَا رَضِيتَ فَأُحْبِبْتَهُ وَإِذَا تَرَعَّبْتِ عَنْ شَأْنِهِ

قال الأحنف بن قيس : ما كشفتُ أحدًا قط إلا وجدته دون ما كنت أظن
قال تأبط شراً :

لتقرعن على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقى^(١)

وقال آخر :

إنَّ المودَّةَ بالتجاربِ قَضَتْ مِنَ النَّاسِ المَارِبِ
لم تترك لي صاحباً أصبو إليه ولا أعائب
متفرداً بتوحيدي دون الأبعد والأقارب
ارغب إلى الله الذي يُعْطِي الجَزِيلَ مِنَ المَوَاهِبِ
بالله تتسع الفجا ح إذا تضايقت المذاهب

كان سفيان الثوري يمثل بهذه الأبيات :

أبلى الرجال إذا أردت إخلاءهم وتوسمن أمورهم وتفقد
وإذا ظفرت بندى الأمانة والتقى فبه اليدين قرير عين فاشدد
ودع التذلل والتخضع تبتغي قرب الذي إن تدن منه يبعد^(٢)

(١) البيت في الشعر والشعراء ١٧٦ ، والحيوان ٦٣/١ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ .

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجمفري في حماسة البجتي ٧٨ ، ونسبت في أمال القائل للمنعن الكندي ، والرواية في حماسة البجتي : أخوا العفاة والنهي بدل ذى الأمانة والتقوى ، وفي الأمالي : توسمني فعملهم بدل أمورهم ، وذى اللبابة بدل الأمانة .

وقال آخر:

أَهْلَكَنِي بَرِيَادٌ ثَقِيٌّ وَظَنُّونُ بَرِيَادٍ حَسَنَةً
ليس يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ نلتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ سَنَةٍ^(١)

وقال يزيد بن محمد المهلب:

ومن ذا الذي تُرَضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كفى المرءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيَهُ^(٢)

وقال آخر:

إنَّ الرِّجَالَ إِذَا اخْتَبَرْتَ طِبَاعَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ شَتَى عَلَى الْأَخْبَارِ
لا تَعْجَلَنَّ إِلَى شَرِيعةٍ مَوْرِدٍ حَتَّى تَبَيَّنَ صَفْحَةَ الْإِصْدَارِ^(٣)

وقال آخر:

أترك مكاشفة الصديق إذا غطى على هفواته سِتْرٌ
وتجاف عنه بلا مُصَارَمَةٍ فلنعم صائِنُ عَرَضِكَ الْبَصِيرُ

وقال آخر:

لا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تَجْرِبَهُ وَلَا تَذَمَّنْهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيْبٍ^(٤)

(١) البيتان في عيون الأخبار ١٦٥/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٠/١ .

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ١٤٥/١ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ١٧٠/٣ وفيها خطة بدل صفحة .

(٤) نسب هذا البيت في حاسة الجحري ٣٦٩ لأنى الأسود الدؤلى ، ونسب في المؤتلف ١٩٢ للنايفه

وقال محمود الوراق :

لا يغلبنك غالبُ الحرصِ واعلمْ بأنَّ النَّاسَ في تقصِ
 والبس أخاك على تصنُّعِهِ فربُّ مُفتَضِحٍ على النَّصِّ
 ما كدتُ أخص عن أخى ثقةً إلا ذممتُ عواقبَ الفحصِ^(١)

وقال آخر :

إذا أنكرت أخلاقَ الصِّديقِ فلستَ من التَّحِيْزِ في مَضِيْقِ
 طريقاً كنتَ تسلكهُ سليماً فأستبِعَ فاجتنبهُ إلى طريقِ

وقال آخر :

لا تحمدنَّ امرءاً حتى تجرِّبهُ فربُّما لم يوافق خُبْرُهُ خَبْرَهُ

وقال آخر :

إذا أنت لم تستقبل الأمرَ لم تجدِ لكفُّك في إذبارِهِ مُتَعَلِّقاً
 إذا أنت لم تترك أخاك وزلَّةً إذا زلهاً أو شكمتاً أن تفرِّقاً

قال آخر :

قد كنتُ أحمدُ امرئٍ فيك مُبْتَدِئاً فقد ذممتُ الذي أحمَدْتُ في صدري

(١) هذا البيت سائط من ١ . وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٣/٨٥ ، أمالي الفاي ٢/١٣٨ ، والثالث في

لتبديل والمحاضرة ٨٥ .

فأذهب فأنت امرؤ لا شك أوله حلو وآخره مره على الخبر

قال معاذ بن جبل : إذا أحببت أخاً في الله ، فلا تماره ولا تشاره^(١) ولا تسلم عنه أحداً ، فربما أخبرك بما ليس فيه ، فإل بينك وبينه .

قال الشاعر :

أردت لكيمًا لا تُرى لي زلةً ومن ذا الذي يعطى الكمالَ فيكُم^(٢)

أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرّد بالكمال ، ولم يهرى أحداً من النقصان .

قال أبو بكر بن دريد :

إذا تصفحت أمور الناس لم تلتف امرئاً حاز الكمالَ فاكتفى^(١)
من لك بالمهذب النذب الذي لا يجحد العيب إليه مختطاً
كم من أخ مسخوطة أخلاقه أصفيته الود خلق مرتضى^(٢)

وقال النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب^(١)

(١) الكلمة ساقطة من ح ، ومعنى لا تشاره لا تجادله ولا تعيبه .

(٢) البيت لثروان العملي كما في أمالي القالي ٤٣/٢ .

(٣) انظر الأبيات في مقصورة ابن دريد ٥ .

(٤) البيت في ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مؤاخياً إلا الذي لا عيب فيه عاش فرداً في الوَرَى

وقال آخر :

ما بالمنازل من ضيقٍ ومن ضَجْرٍ بل الطَّبائِعُ منها الضيقُ والضَجْرُ

وقال آخر :

كل خليلٍ كنتُ خالتهُ لا ترك الله له واضِحَهُ^(١)

كلهم أروغٌ من ثعلبٍ ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة^(٢)

وقال آخر :

كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشيئتهِ وإن تخلَّقَ أخلاقاً إلى حينٍ^(٣)

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأخبره إلا بكيتُ على أمسٍ^(٤)

(١) الراضة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، ول الحيوان ٣/٣٠٥ وردت الرواية : وصاحبها قد كنت صاحبه .

(٣) البيت لدى الإصبع المدواني ، وقد ورد في الكامل ١١/١ ، حماسة البحتري ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٦/٣ ، والمؤانف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس في عيون الأخبار ٤/٢ .

وقال آخر :

عليك بالقصدِ فيما أنت فاعلهُ
ولا يواتيك فيما نابَ من حدَثِ
إن التخلُّقَ يَأبَى دُونَهُ الخَلْقُ
إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ فَاظْطَرُّ بِنِ تَشَقُّ^(١)

وقال زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ
وإن خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ^(٢)

وقال نُصَيْبُ الأَصْفَرِ ، مولى المهدي^(٣) :

إن البقاعَ إذا استسرَّ بها الندى
وإذا جهلتَ من امرئٍ وأخلاقهُ
أَنِسَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ المَرَبَعُ
وقديمةُ فَاظْطَرُّ إِلَى مَا يَصْنَعُ^(٤)

وقال محمود الوراق :

ذممتك أولاً حتى إذا ما
ولم أحمذك من خيرٍ ولكن
بلوتُ سِوَاكَ صَادَ اللُّومَ حَمْدًا
رَأَيْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جَدًّا

(١) نسب البيهقي لسالم بن وابصة الأسدي في الكامل ١١/١ ، البيان ٢٣٧/١ ، الحماسة لأبي تمام
٣٠١/١ ، الحيوان ١٢٨/٣ . ونسب الأول للمرجي في المقدم ٣/٣ ، وللي ذى الإصبع المدواني في حماسة
البحرئ ٢٥٩ ، عيون الأخبار ٦/٢ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول في كل مرجع عنها في الآخر حتى ليصعب
إثباتها هنا ، وإن كانت كلها تؤدي المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦ .

(٣) نصيب الأصغر : مولى المهدي ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامة ، عرض على المهدي
قبل أن يلى الخلافة فاستنشهده فأنشده من شعره فأعجب به فأشتراه ثم أعتقه ، له مدائح كثيرة في المهدي والهادي
وقهريهما ، توفي نحو سنة ٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٣٠٧/٢ (الأعلام ٣٥٦/٨) .

(٤) انظرهما في وفيات الأعيان ٢٠٣/٣ ، ٤ ، وفيها : أعرفه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتملاً خليلاً لأنى لم أجدُ من ذلك بُدّاً
كجهودٍ تحاينى أكل مَيِّتٍ فلما اضطرُّ عاد إليه شَدّاً^(١)

وقال أيضاً :

لَمْ أَبْكِ مِنْ خُبَيْثِ خَلٍّ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ
وَلَمْ أَمِلْ عَنْ صَدِيقٍ لِلزُّهُدِ فِيمَا لَدَيْهِ
إِلَى سِوَاهُ فَأَبْلُو إِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ
كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَبِدٌّ بِحِفْظِ مَا فِي يَدَيْهِ

ذكر ابن مقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن عليّ مودة ، ثم تنافرا . فكتب إليه عمارة :

سأترك ما بيني وبينك ساكناً فإن عدتَ عدنا والوصولُ سليمٌ
ولو قد خبرتَ الناسَ حقَّ اختبارهم رجعتَ إلى وصلى وأنت ذميمٌ^(٢)

أخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لعلى بن الجهم :

الناسُ إخوانُك حتى إذا عرَضتَ للإخوانِ بالدرهمِ

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١٥٠/١ ، وفيها : محتملاً ذليلاً بدل محتملاً خليلاً ، وتماسم بدل تحاينى .

(٢) انظرهما في محاضرات الأدباء ٥/٢ .

سَاءَ مَا سَرَّكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وصرتَ وسطَ الحلقِ كالمَلَقَمِ (١)

وقال آخر :

عنتُ على سَلَمٍ فلما فقدتهُ وجربتُ أقواماً بكيتُ على سَلَمِ (٢)

وقال آخر :

لم أبك من زمنٍ لم أرضَ خلَّتُهُ إلا بكيتُ عليه حينَ ينصرمُ

وقال آخر :

متى تحسبُ صديقكَ لمَ يقلُّوا وإن تخبرُ يقلُّوا في الحسابِ

وقال آخر :

ونعتبُ أحياناً عليه ولو منى لكننا على الباقي من الناسِ أعتبنا (٣)

وقال آخر :

سبكناهُ ونحسبهُ لَجِينَا فأبدي الكيرُ عن خبثِ الحديدِ (٤)

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن توسمة في عيون الأخبار ٤/٢ ، وورد في إعتاب الكتاب ١٧١ من غير نسبة ، وفيه : عنتت على عمرو الخ . ونسب في المستطرف ١/٢٣٣ لابن عرارة السعدي في سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٤/٢ .

(٤) عيون الأخبار ٤/٢ ، المقدم الفريد ٣/٤٥٥ .

وقال آخر :

ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه إلى النفس خيمها^(١)
وقال أبو دؤاد الأيادي :

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعمهم فريش والتمس نفع الذي بهم تري
وقال محمود الوراق :

أتم الناس أعرفهم بنقصه وأقمهم لشهوته وحمسه
فدان على السلامة من تداني ومن لم ترض صحبته فأقصه
وخل الفحص ما استغنيت عنه فكم من جالب غيظا بفحصه
ولا تستغل عافية بشيء ولا تسترخصن أذى لرخصه

وقال آخر :

ارض من المرء في مودته بما يؤدّي إليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا تصح منهم له سرايره^(٢)

(١) نسب هذا البيت في الكامل ١١/١ إلى أم البيه الكلابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر في حماسه البحري ٧٢ وفيه : ومن يتدع ما ليس فيه سجية ، ونسب إلى حاتم في حماسه أبي تمام ٢١١/٢ ، كما نسب إلى كثير في عون الأخبار ٥/٢ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والحميم معانها واحد وهو الطبيعة والأصل ، وانظره بالرواية التي هنا وبدون نسبة في العقد المرید ٣/٣ .

(٢) نسب البيت لابن حازم في العقد المرید ٣١٢/٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شواهدُ أمرهم
فإن امتحانَ القومِ يُوحِشُ بينهم
وإنك إن كَشَفْتَ لم ترَ طائلا
فخذُ عفوهم قبل امتحانِ السرائرِ
ومالك إلا ما ترى في الظواهرِ
وأبدى لك التكشيفُ خُبثَ الضمائرِ

وقال آخر :

ولا خيرَ في ودِّ إذا لم يكن له
على طولِ مرِّ الحادثاتِ بقاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إذا جَمَعَ الفتي حسبا ودينًا
ولا تسمعَ بحظك منه بل كنْ
فلا تعدلْ به أبداً قرينًا
بحظك من مودته ضنينًا

وقال آخر :

لعمرك ما مال الفتي بدخيرة
ولكن إخوان الثقاتِ الذخائرُ^(٢)

وقال ابن الرومي :

إذا شئتَ تعرف أصلَ الفتي
فإن لم يبنْ لك فانظرْ إلى
أجلْ لحظاً طرفك في منظره
أفاعيله فهي من جوهرة

(١) البيت في البيان ٣/١٨٤ ، وفيه : ولا خير في فضل .

(٢) عيون الأخبار ١/٣ ، وقال أنشده ابن الأعرابي ، والطره في العقد الفريد ٢/٣٠٤ ، وفيه : إخوان الصفاء بدل إخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهذا وذاً فلا تطلُبَنَّ سوى مُحَضَّرِهِ
 فإن المحاضرَ سرَّ الرجال بها يُعرَف النَّذلُ من خَيْرِهِ
 بلوتُ الرجالِ وأفعالهم فكلُّ يَعودُ إلى عُصْرِهِ^(١)

وقال ربيعةُ الرِّقِّي :

إن اللئيمَ وإن خلتَهُ كريماً يذودك عن عُرفِهِ
 ويرجعُ محصولُ أخلاقِهِ إلى أصلِهِ وإلى صنْفِهِ^(٢)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٢ .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٦٢/٥ .

باب التودد إلى الناس

قال رسول الله صل الله عليه وسلم : « مداراة الناس صدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربي بمدارة الناس ونهاني عن ملاحاتهم »^(١) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » .

وقد روى في خبر مرفوع : « التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن التدبير نصف المعيشة ، وما عَالَ من اقتصد » .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن مما يصفى لك وُدَّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه ، وأن توسع له في المجلس .

قال بعض الحكماء : رأس المداراة ترك المماراة^(٢) .

وفي الحديث المرفوع : « إذا أحبَّ الله عبداً أحبَّه الناس » .

(١) الملاحاة : المشاقمة ر: اسباب .

(٢) المماراة : الشك وسوء الظن . وفي ١ : المودات بعمل المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وإذا أحبَّ الله يوماً عبدهُ ألقى عليه حبةً في الناسِ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلكم^(٢) » قالوا : بلى . قال : « من يبغض الناس ويبغضونه » .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خالياً ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خالياً ؟ قال : هجرتُ الناسَ فيك . قال : أفلا أدلّك على شيء تبغض به رضى ؟ خالقِ الناسَ بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بينى وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمساحة طال استمتاعه بهم .

قال أكرم بن صيفى : من تشدّد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسروُرُ فى التغافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقالة العثرة ، ومساحة العشرة ، والمواساة فى العُسرة .

(١) فى ١ : عبداً واصطنى بدل يوماً عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره فى العقد الفريد ١/٣١٢ .

(٢) ١ : ذلك .

قيل للعتابي : إنك تلقى الناسَ كلَّهم بالبشر ا قال : دفعُ ضغينةَ بأيسر مؤونة ،
واكتساب^(١) إخوان بأيسر مبدول .

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمودٌ على كلِّ حالةٍ ولن يعدم البغضاء من كان عابساً
ويُسرعُ بخلُ المرء في هتكِ عِرْضه ولم أرَ مثل الجود للعِرْض حارساً
قال أعرابي يمدح رجلاً بساماً هو زياد الأعجم^(٢) يمدح عبد الله بن عامر
ابن كريز^(٣) .

أخُّ لك ما تراه الدهرَ إلا على العِلاتِ^(٤) بساماً جواداً
سألناه الجزيلَ فأتدكَّكا^(٥) وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وزاداً
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدنا فأحسنَ ثم عدتُ له فماداً

(١) في ١ : ولا كرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت في لسانه عجمة سمي بسببها الأعجم ، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وذم مخالفيهم (الأعلام وهامشه ٩١/٣) .

(٣) ابن ربيعة الأموي ، أمير فاع ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخياً وصولاً لقومه رحيماً ، قال عنه الإمام علي : ابن عامر سيد فتيان قريش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام ٢٢٨/٤) .

(٤) على العلات : أي على كل حال .

(٥) في حساسة أبي تمام ، والأغاني : تأبي .

مراراً ما أعودُ إليه إلاَّ تبسمَ ضاحكاً وَتَنَى الوِسادَا^(١)

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ
أريدُ له هَجْرًا لبعضِ خِلالِهِ
تَنَسَّرَ والأَيامُ جَمٌّ عَجيبُهَا
فَتَمَطَّفَنِي أُخْرَى له فَأَجيبُهَا^(٢)

وقال آخر :

أخ لي كأيام الحياة إخاؤُهُ
إذا عِبتُ منه خَلَّةٌ فَهَجْرَتُهُ
تَلَوْنُ أَلوانًا كَثِيرًا خَطوبُهَا
دَعَّتَنِي إليه خَلَّةٌ لا أُعِيبُهَا^(٣)

^(٤) وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناسَ غنَّ عِلْمُ بِهِمْ
انصرفوا وَكَلِمَتُهُمُ له عِدَا^(٤)

وقال كُثَيْبٌ^(٥) :

ومن لا يغمضُ عَيْنَهُ عن صديقِهِ
وعن بعضِ ما فيه يَمُتُ وهو عَاتِبٌ

(١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٧٤٦/٣ ، والبيتان الثالث والرابع في ١٥٢/٣ ، ووردت في الحاسة لأبي تمام ٣٤٩/٢ ، والأغاني ١٠٢/١٤ (بولاق) ، وورد بعضها في المصون ٦٧ ، وفيات الأعيان ٣٢٨/٥ ، وقد نسبت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد نسبت فيها للكثير ، وقال في العيون لأنها في مدح عمر بن عبد الله ابن معمر .

(٢) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٧/٣ .

(٤) ساقط من ١ .

(٥) ديوانه ٢١٠/١ .

ومن يتبع جاهداً كل عثرة
يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ
وقال آخر :

وكم من أُنْحَ لَمْ تُحْتَمَلْ مِنْهُ خَلَّةٌ
قَطَعْتَ وَلَمْ يُمَكِّنْكَ مِنْهُ بَدِيلُ
ومن لم يُرِدْ إِلَّا خَلِيلًا مُهَذَّبًا
فليس له في العالمين خَلِيلُ
قال آخر :

وأحب إذا أحببت حُبًّا مُقَارَبًا
فإنك لا تدري متى أنت نَازِعٌ^(١)
وأبغض إذا أبغضت بُغْضًا مُقَارَبًا
فإنك لا تدري متى أنت رَاجِعٌ^(٢)

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : « أحب حبيبك هوناً ما فعمى أن يكون
بغيبك يوماً ما ، وأبغض بغيبك هوناً^(٣) ما فعمى أن يكون حبيبك يوماً ما » .
وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية^(٤) :

قل لمن يعجب من
حُسنِ رُجوعي ومقالي
ربَّ صدِّ بعد ودِّ
وهوى بعد تقالي
قد رأينا ذا كغيراً
جارياً بين الرجالِ

(١) في - : راجع .

(٢) ساقط من - ، وقد نسب البيتان في أمالي القائل ٢٠٤/٢ لهدي بن الحشرم العذري ، وورد في العقد

٢٨٦/٢ من غير نسبة ، وفيه : وأبغض إذا أبغضت غير مبالغين .

(٣) في - : يوماً .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أَنشَدَ حَبِيبٌ لِلْفِنْدِ الزَّمَانِي - وَقَالَ الْجَاهِظُ لَا أَظُنُّهَا لَهُ (١) :

صفحنا عن بني ذهل وقلنا : القوم إخوانُ
عسى الأيام أن يُرجيه نَ قوما كالذي كانوا (٢)

قال آخر :

وكنْتُ إِذَا صَحَبْتُ رِجَالَ قَوْمٍ صَحِبْتُهُمْ وَشِيمَتِي الْوَفَاءُ
فَأَحْسِنُ حِينَ يَحْسَنُ مُحْسِنُومٍ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
وَأَبْصِرُ مَا يُنْقِصُنِي بِعَيْنٍ عَلَيْهَا مِنْ عِيُوبِهِمْ غِطَاءُ (٣)

قال آخر :

ما نالت النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ أَلَدَّ مِنْ وُدِّ صَدِيقٍ أَمِينٍ
مَنْ فَاتَهُ وَدُّ أَخِي صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ (٤)

[وقال آخر :

استوحشَ النَّاسُ عَلَيَّ جَدًّا وَلَا أَرَى لِي مِنْ أَنَاسٍ بُدًّا

(١) انظر الحيوان ٤١٥/٦ ، ٤١٦ .

(٢) ورد البيتان في حماسة أبي تمام ١٥/١ ، حماسة البحتري ٧٤ ، أمالي القالي ١/٢٦٠ مفسويين للفند الزماني ، وكذلك في الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التي نقلها عنه المصنف ، ولكن الجاهظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئاً عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة في هذه المراجع ففي حماسة البحتري والحيوان : نبي هند بدل ذهل ، وفي الأمالي وحماسة أبي تمام كما هنا ، كما ورد في حماسة البحتري ، أن ترجم قوما ، وفي الحيوان : ترجمهم جميعاً . الخ .

(٣) أي أبصر عيوني فأعالجها ، ولا أبصر عيوبهم فأتنبهها وأغفل عن معايبهم .

(٤) في - : المحروم بدل المغبون ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١٦/٣ .

إِن لَّمْ أَعَاشِرْتُمْ بَقَيْتُمْ فَرْدًا^(١)

وقال آخر :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي خِيفَةٌ أَنْ أَعِيشَ بِإِلصَادِ صَدِيقِي^(٢)

قال آخر :

أَغْمَضُ عَيْنِي عَنِ صَدِيقِي تَغَافُلًا كَأَنِّي بَمَا يَأْتِي^(٣) مِنَ الْأَمْرِ جَاهِلٌ
وَمَا بِي جَهْلٌ غَيْرُ أَنْ خَلِيقَتِي تُطَبِّقُ أَحْتِمَالَ الْكُرْهِ فِيمَا يَحَاوِلُ^(٤)
مَتَى مَا يُرْبِنِي مِفْصَلٌ فَفَقَطْمَتُهُ^(٥) بَقَيْتُ وَمَالِي فِي النَّهْوِضِ مَفَاصِلُ^(٥)

وقال آخر :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي فَأُشْرَقَنِي عَلَى حَنْقِ بَرِيئَتِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ خِيفَةٌ أَنْ أَعِيشَ بِإِلصَادِ صَدِيقِي^(٦)

وقال آخر :

إِذَا مَا خَلِيلِي رَابِنِي بَعْضُ خُلُقِهِ وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَنِي بِمُفِيقِي

(١) ساقط من >

(٢) عيون الأخبار ١٦/٣ .

(٣) في ١: آتي .

(٤) في ١: رمانى ... أحاول .

(٥) ساقط من ١ .

(٦) البيان في أمالي القالي ١١١/٣ .

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيْبُنْ . خِيفَةَ أَنْ أَبْقَى بَغِيْرَ صَدِيْقٍ^(١)

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ :

إِذَا مَا صَدِيْقِي سَاءَنِي بِفَعَالِهِ . وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَنِي بِمُفِيْقٍ

صَبَرْتُ عَلَى الضَّرَاءِ مِنْ سَوْءِ فَعْلِهِ . خِيفَةَ أَنْ أَبْقَى بَغِيْرَ صَدِيْقٍ^(٢)

(٣) قَالُوا : لَا خَيْرَ فِي النَّاسِ ، وَلَا بَدَّ مِنْ النَّاسِ^(٣)

(١) انظرها في عيون الأخبار ١٦/٣ ، وفيها : سوء فعله بدل بعض خله .

(٢) أمالي القائل ١١٨/٣ .

(٣) ساقط من أ .

ياب الاستيحاءُ من الناس والفرار منهم^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بمَنانِ فرسه في سبيلِ الله يخيف العدو ويخيفونه » . وفي رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذي يليه رجل معتزل في شِعْبٍ من الشُعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويتزلُّ شرور الناس » .

قال عمر بن الخطاب^(٢) رضي الله عنه^(٣) الطمع فقرٌ واليأسُ غنى ، والعزلة راحةٌ من جليسِ السوء ، وقرينُ الصديق خير من الوحدة .

قال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل^(٤) المؤمن يبتته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلعن وتلهى .

قال مكحول : إن كان في الجماعة فضل ، فإن في العزلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس في معاشكم ، وزايلوم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقًا لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله في الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطًا

وامش جانبًا .

(١) و ١ : عنهم .

(٢) ساقط من > .

(٣) ساقطة من ١ .

قال ابن المقفع^(١) : وحشة الانفراد أبقي على المرء من أنس التلاقي .

قال بعضُ العلماء : العزلة عن الناس توقي^(٢) العريض ، وتبقى الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستتر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإني رأيتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ	خفافَ العُهودِ يُكثِرُونَ التَّنَقُّلاً
بني أمّ ذى المالِ الكثيرِ يَرَوْنَهُ	وإن كان عبداً سيِّدَ القومِ جَحْفَلاً
وهم لَمُقَلُّ المِمالِ أولادُ عِلَّةٍ	وإن كان محضاً في العمومة مَخُولاً ^(٣)
وليس أخوك الدائمُ المهدِّ بالذي	يَسُوؤُكَ إن ولى ويُرْضِيكَ مقبلاً
ولكنَّ الأخَّ النَّائِي إذا كُنْتَ آمِنًا	وصاحبك الأذني إذا الأمرُ أَعْضَلَ ^(٤)

وقال الحسن بن عبد الرحمن^(٥) .

توحشتُ ولكنِّي أُسَرُّ بالوَخْشَةِ أحياناً

(١) في - : أبو الفتح .

(٢) في ١ : توفر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومعضا : خالصا .

(٤) انظر الأبيات في ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الراهزمزي ، محدث العجم في زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه الثعالبي في البيعة ، وكان الحسن محتصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر في ترجمته بقيمة الدهر ٣/٢٨٦ (الأعلام ٢/٢٠٩) .

وفى الوَحْشَةَ ما يُؤْ نِسُّ من صحبة من خَافاً

وقال أبيضاً :

يا حَبْذاً الوَحْشَةَ من أنيسٍ إِذا خَشِيتَ من أذى الجَلِيسِ

وقال أبو العتاهية^(١) :

برمتُ بالناسِ وأخلاقِهِمْ فَصِرْتُ أُسْتَأْنَسُ بالوَحْدَةِ
ما أَكثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وما أَقَلَّهُمْ في حَاصِلِ العِدَّةِ

كتب شيخ من أهل الرَّمي عَلَيَّ باب داره : جزي اللهُ عنا من لا نعرفه^(٢) ولا يعرفنا^(٣) خيراً ، وأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم اللهُ خيراً ، فإننا لم نُؤتَ إلا منهم .

قال سفيانُ : ما وجدتُ من يغفر لي ذنباً ، ولا يستر لي عيباً^(٣) ، فرأيت في الهرب من الناسِ السَّلَامَةَ .

قال الفضيلُ بن عياض لسُفيان الثوري : دُلَّنِي عَلَيَّ رَجُلٌ أَجْلَسُ إِلَيْهِ ، قال : تلك ضالَّةٌ لا توجد .

(١) ديوانه ٩٠ .

(٢) ساقط من > ، م .

(٣) ١ : على زلة .

(١) قال أكرم بن صيفي : الاتقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأناس
مكسبة لقرناء السوء (١) .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لئذا الناسِ قد بُدِّلوا فهم كذئابٌ عليها (٢) ثيابٌ
تواطئوا على كلِّ مستقبِحٍ فما لقبيحٍ لديهم مُعَابٌ
وخانوا الأمانة ما بينهم وهل بالأمانة تُوفى الذئابُ

قال الأضبط بن قريع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفعُنِي يا قومٍ من عاذِرِي من الخُدَعَة (٣)

أنشد الحريري (٤) لنفسه :

مخالطُ الناسِ في الدنيا على خطرٍ وفي بلاءٍ وصَفو شيبٍ بالكدرِ
كراكبِ البحرِ إن تسلم حُشاشَتَهُ فليس يسلم من خوفٍ ومن حذرِ

وقال قدامة بن إبراهيم الجعفي (٥) :

(١) ساقط من > .

(٢) في > : عليهم .

(٣) البيت في أمالي الفاي ١/١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) لم أتر على من تصدق عليه هذه النسبة في كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو باطبع الحريري صاحب المقامات فقد ولد هنا في سنة ٤٤٦ هـ وتوفي ٥١٦ هـ ، أي أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلمله الحريري (عبد الملك بن إدريس) انظر اليتيمة ٨٨/٢ .

(٥) المدني ، لم يذكر عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من رووا عنه .

العجزُ ضعفٌ وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوء الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم في أمرٍ تحاذرُهُ فإنَّ أصبت فما بالحزم من باسِ

أنشدني عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن
الزبيدي^(١) لنفسه :

أشعرن قلبك ياساً ليس هذا الناسُ ناساً
قد مضى الإبريزُ منهم وبقوا بعدُ مُحاساً
سامريينَ يُقُولو نَ جميعاً لا مساساً

لهلال بن العلاء^(٢) :

لما عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي من همِّ العداواتِ
إني أحبيّ عدويّ عند رؤيته لأدفع الشرَّ عنيّ بالتحجياتِ
وأحسنُ البشرَ للإنسانِ أبغضُهُ كأنه قد مَلَأ قلبي محبّاتِ
ولستُ أسلمُ ممن لستُ أعرفهُ فكيف أسلمُ من أهل الموداتِ

(١) الأندلسي الإشبيلي ، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلية ، وعاش في قرطبة مدة ، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء ، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة ، توفي سنة ٣٧٩ هـ . انظر بغية الملتبس ٥٦ ، معجم الأدباء ٥١٨/٦ (الأعلام ٣١٢/٦) .

(٢) أبو عمرو الرقي ، قال عنه ياقوت في المعجم ٢٩٤/١٩ : « كان من أهل العلم واللغة بالرقّة ، مات سنة ٢٨٠ هـ ، ولا أعلم من أمره غير هذا » .

وقال ابن الرومي (١) :

يا ذا الذي منه التغيُّ
رُ والتَّنكُّرُ والتَّبوُّ
إن كان أدركك الملا
ل فقد تداخلى السلوُّ

آخر :

قد كنت عبداً والهوى مالكي
فصرتُ حرّاً والهوى خادمي
وصرتُ بالوحدَةِ مستأنساً
من شرِّ أولادِ بني آدمِ
ما في اختلاطِ الناسِ خير ولا
ذو الجهلِ بالأشياءِ كالعالمِ
يا عاذلي في تركهم (٢) جاهلاً
عُذري منقوش على خاتمي

وكان في خاتمه منقوشاً : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ ﴾ (٣)

وقال منصور الفقيه :

نفرتُ من كلِّ من وثقتُ به
من لانَ لي جانباهُ لنتُ له
إذ كلُّهم خائني ولم أخنِ
ومن أبى أن يلين لم ألينِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخوانُهُ (٤)
يا معشرَ الناسِ يا إخوانِ

(١) ديوانه ٣٠١ .

(٢) في ١ : لومهم .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .

(٤) في ٢ : لي هله .

إخوانُ سوءٍ كلُّهم فأسقُ له لسانانِ ووجهانِ
 يلتقاهُ بالبشرِ وفي قلبه داءُ يواريه بكتمانِ
 حتى إذا ما غبتَ عن وجهه رماكَ في الغيبِ بهتانِ
 يأبى المرءُ فكنَّ واحدًا فردًا ولا تأنسُ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ والبُعدُ منهم سفينةُ
 وقد نصحتُك فانظرْ لنفسِكَ المسكينةُ^(١)

طرفة بن العبد :

كلُّ خليلٍ كنتَ خالتهُ لا تركَ الله له واضحَه
 كلُّهم أروغٌ من ثعلبٍ ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةُ^(٢)

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدهرِ إن وفا وأخا الدهرِ إن غدَرُ
 كن من الناسِ كيف شدت على غايةِ الحدَرُ

كان يقال : صحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيارِ .

(١) البيتان في معجم الأدباء ١٨٦/١٩ ، التمثيل والمهاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البيتان في ص ٦٥٤ .

وقال ابنُ وكيع .

فسد الناس كلهم وانقضى الودُّ (١) فما في الررى أخٌ ذو صفاء
وأرى طالبَ الفرارِ من النا سِ ومُرْتَادَ قَرَبِهِمْ فِي بِلَاءِ
ذَلِكَ بِالْإِنْتِبَاضِ (١) يَكْسِبُ الْمُقْتَدِرُ وَيُعْزَى بِهِ إِلَى الْكِبْرِيَاءِ
وَأَخْوَالِ الْإِنْبِسَاطِ يَخْشَى انْقِلَابًا
وَإِذَا مَا الصِّدِّيقُ عَادَ عَدُوًّا فَهُوَ مُسْتَفْرَعٌ (٢) مِنَ الْأَعْدَاءِ

وقال منصور الفقيه :

فِي النَّاسِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَالشَّرُّ فِي النَّاسِ أَكْثَرُ
وَقَدْ نَصَحْتِكَ حَهْدِي فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرُ
فَإِنْ وَثِقْتَ بِقَوْلِي فِيهِمْ وَإِلَّا فَتَرَّرُ

وله أيضاً :

إِنَّمَا النَّاسُ فَرْعَةٌ لَيْسَ فِي النَّاسِ مَفْزَعٌ
ذَمٌّ مِنْ شَتَّتْ مِنْهُمْ فَهُوَ لِلذَّمِّ مَوْضِعٌ

ولما حضرته الوفاة ، قال (٣) : أسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

(١) في ح : لا نقباس .

(٢) ١ : مستكره .

(٣) ساقطة من أ

قال سُوَيْدُ بْنُ مَنَجُوفٍ :

فبَلِّغْ مُصْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وهل تجرد النصيحَ بكلِّ وادٍ
تَعَلَّمْ أَنْ أَكْثَرَ مِنْ تُنَاجِي وإن ضحكوا إليك هم الأعدى^(١)

أنشد الزبير لأبي هَمَّامَةَ :

إخوة ما حضرت سرُّونَ برُّو ن^(٢) فَإِنْ غَبْتُ فَالسَّبَاعُ الْجِيَاعُ
باينونى حتى إذا عاينونى بَانَ مِنْهُمْ تَضَاوُلٌ وَاخْتِشَاعُ
^(٣) فهُمْ يَغْمَزُونَ مِنِّي قِنَاءً ليس يألون غمزها ما استطأوا^(٤)
ما كذا يفعلُ الكرامُ ولكن هكذا يفعل اللئام الوضاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبدالله غلام أبي العتاهية :^(٥) كنت عند أبي العتاهية^(٤)
قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشديد العلة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال :
يا أبا غسان !

لله دَرُّ أَيْكَ أَيْ زَمَانٍ أصبحتُ فيه وأَيَّ أَهْلِ زَمَانٍ
كَلِّ يُوَازِنُكَ المودَّةَ دَائِبًا^(٥) يُعْطِي وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ .

(١) البيتان في الحيوان ٥/٥٩٤ ، وفيه : فأباد مصعبا ، أكثر من تؤاخي .

(٢) في ١ : سروا وبروا فإذا .. الج .

(٣) ساقط من ج .

(٤) ساقط من ا .

(٥) في ١ : جاهدا .

فإذا رأى رُجْحَانَ حبةٍ خردلٍ مالت مودتهُ مع الرُجْحَانِ
في كلِّ يومٍ منه تبدو قِصَّةٌ تنعى إليك مودَّةَ الإخوانِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

أىَّ زمان نشأت فيه كذى ضلالٍ بأرضٍ تيه
ما شئت من عالم خبيثٍ فيه ومن جاهلٍ سفيه

وقال أبو العتاهية^(٢) :

إن الزمان يفرئني بأمانه ويذيقني المكروه من جذائنه
فأنا النذيرُ من الزمان لكلِّ من أمسى وأصبحَ واثقاً بزمانه
ما الناسُ إلا للكثير المال أو لمسلطٍ ما دام في سلطانه
فإذا الزمانُ رماهما^(٣) بعلمةٍ كان الثقاتُ هناك من أعوانه

قال إبراهيم بن العباس الصولي^(٤) :

بلوتُ الزمانَ وأهلَ الزمانِ فكلُّ بدمٍ ولومٍ حقيق
وأوحشني من صديقي الزمان وآنسني بالعدوِّ الصديق^(٥)

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط في ديوانه ٢٦١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٢٨٠ .

(٣) في الديوان : رى الفتى .

(٤) ساقطة من ج .

(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

وربّ أخٍ ناديتُهُ في ملاميةٍ فألفيتهُ منها أجلّ وأعظماً^(١)

أنشدني محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلبُ سبيلَ الهدى جاهداً ودعَ عنك مُشْتَبَهَاتِ السُّبُلِ
وأصبحَ من الناسِ مستوفزاً فأكثرهم راصدٌ للزَّلِّ
وأجبن من قد ترى منهمُ لعمرُك يُردى الشجاع البطلُ
وتُصمى المقاتِلَ أفعالهمُ بالسنةِ وقعها كالأسلِ
ومن حكّمَ الناسَ في عِرضه فمن جَارَ أكثرُ ممن عدل^(٢)

وقال آخر :

وإذا دعوتَ أخاً إخاً ثكَّ عندَ نائبةٍ تنوبُ
ألفيتهُ أحدَ الخطوبِ بٍ إذا تتابعت الخطوبُ

وهذا كله عندي - والله أعلم - مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار^(٣)

(١) ديوانه ٥٧ .

(٢) الأبيات في نفع الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وتري بدل تصمى .

(٣) البيت في عيون الأخبار ١/٧٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكنى نفسى وَصَيَّرَ فِي الْإِيحَاشِ مِنْ خَلْقِهِ أُنْسِي
وباعد دارى عاجلاً عن ديارهم كَبُعدِ مَغِيبِ الشَّمْسِ عَنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ
لعلّى أن أمتى من الشر آمنّا وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِذَلِكَ كَمَا أَمِي
فما نكّدت الدنيا على طيب ظلها وَقَرَّبَ جَنَاهَا الْعَذْبَ شَيْءَ سِوَى الْإِنْسِ

قال أعرابي ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وَصَوَّتْ إِنْسَانٌ فَكَدْتُ أُطِيرُ
درى الله أنى للأئیس لشانى وَتَبْغِضُهُمْ لِي مُقَلَّةٌ وَضَعِيرٌ^(١)

وقال آخر :

قد بلوتُ النَّاسَ طُرًّا لَمْ أَجِدْ فِي الْأَرْضِ حُرًّا
صارَ أَخْلَى النَّاسِ فِي عَيْ نِي إِذَا مَا ذِيْقُ مُرًّا
ووجدتُ الحلوَ منهم عِنْدَمَا جَرَّبْتُ صَبْرًا^(٢)

وقال منصور الفقيه :

إِنَّ بَنِي دَهْرِنَا أَفَاعُ لَيْسَ لِمَنْ سَاوَرَتْ طَيْبُ

(١) البيتان في الحيوان ٣٧٩/١ ، المؤلفات ٣٦ ، ٣٧ ونسبها فيه للأخير السعدي ، وفيه : لوح بدل صوت ، ويرى بدل درى .

(٢) نسبت الأبيات لابن أبي حازم في العيون ٣٨٤/٢ ، ووردت في العقد الفريد ٣/٢١٤ بدون نسبة .

فلا يكن فيك بعد هذا لواحدٍ منهم نصيبٌ

وقال آخر :

قد لزمتُ السكوتَ من غيرِ عِيٍّ ولزمتُ الفراشَ من غيرِ علةٍ
وهجرتُ الإخوانَ لما أتتني عنهمُ كلُّ خَصْلةٍ مضمحلَّةٍ
فعلَى أهلِ ذَا الزمانِ جميعاً ضِعْفُ قطرِ السَّمَاءِ من لعنةِ اللهِ

وقال آخر :

لا تعرفنَّ أحداً فليستَ بواجِدٍ أحداً أضرتَّ عليكِ ممن تعرفنَّ
أما نظيرُك فهو حاسدٌ نعمةٍ أو دونِ ذاكِ فذو سؤالٍ ملحفٍ
أو فوقِ ذلكِ حالِ دونِ لقائه بوابِ سوءِ واليَقاعِ المشرفِ

وللشافعي الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهي :

ليت السباعَ لنا كانت مجاورَةً وليتنا لا نرى مما نرى أحداً
إن السباعَ تهدأ في مراتبها والناسَ ليس بهادٍ شرُّهم أبداً
فاهربْ بنفسك واستأنس بوحدتها تعيش سليماً إذا ما كنت منفرداً

وقال منصور الفقيه :

أحذرْكَ الناسَ إلا قليلاً فلا تبغينَّ إليهم سبيلاً

وفارقهم عن قلى واتخذ
من الجن والجن إن تلقهم
من الإنس؛ لا كان مستأنسا
إذا ما خشيت انفرادا خليلا
تجدهم أبرّ فعالا وقليلًا
بهم طالب من سواهم بديلا

وقال أبو العتاهية :

أيارب إن الناس لا ينصفونني
وإن كان لى شيء تصدوا لأخذه
وإن نالهم بذى فلا شكرَ عندهم
وإن طرقتنى نكبة فرحوا بها
سأمنع قلى أن يحن إليهم
وإن أنا لم أنصفهم ظلمونى
وإن جئت أبغى شيتهم منعونى
وإن أنا لم أبذل لهم شتمونى
وإن صحبتى نعمة حسدونى
وأحجب عنهم ناظرى وجفونى^(١)

أنشدنى حكيم بن المنذر لنفسه :

وكنتم أخلاى الذين أعدهم
فأخلفتم ظى بكم فقليتكم
لصرف زمان إن ألم بداهية
فنفسى عنكم آخر الدهر ساليه

وقال آخر :

ولما رأيت الناس لا عهدَ عندهم
وصرت جليس الكُتبِ ما عشتُ فيهم
صدقتُ - وبيت الله - عن صحبة الناس
وأعماتُ حسن الصبر عنهم مع الياس

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : رفدى بدل بدلى فى البيت الثالث ، وفكها بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رأيت لهم كأسًا من الفانيِرِ بينهم تُدارُ وما بالقومِ صبرٌ عن الكاسِ
وهذا الباب وما جانسه من معاني صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان
والزهد فيهم ، قد أكثر الناس فيه جدا ، وقد جمع فيه ابنُ وكيع فتقصى وكثر
وجود وغزر ، وغرضنا في الكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من
غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد
والحول والقوة^(١) .

(١) في ١ : وبالله العون لاشريك له .

بابُ الصِّديقِ والعدو

قال جعفرُ بن محمد : لقد عَظمتُ منزلةُ الصِّديقِ حتى عند أهل النار ، ألم
تسمع إلى قول الله تعالى حاكياً عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴾^(١) .

قال عليُّ بن أبي طالب رضی الله عنه : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ
صديقه في غيبته وبعد وفاته .

قال سويدُ بن الصَّامت^(٢) :

أالرَّبُّ من تدعو صديقاً ولو ترى مقالتهُ بالغيبِ ساءك ما يَفِرِّي
مقالتهُ كالشَّهيدِ ما كان شاهداً وبالغيبِ مأثورٌ على نُغرةِ النَّحرِ
تُبِينُ لك العَيْنانُ ما هو كاتمٌ من الشرِّ بالبغضاء والنظرِ الشَّرِّ
يَسْرُكُ بأديهِ وتحتَ أديمِهِ تيمهُ غشٌّ تبتري عَقَبَ الظَّهِرِ
فَرَشَنِي بِخَيْرِ طالما قد بريتني وخيرُ الموالى من يریشُ ولا يَبْرِي^(٣)

(١) سررة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدى المزرجي الأنصاري ، شاعر من أهل المدينة في سوق ، كان يسميه قومه الكائل ، اشتهر
والجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق ذي الحجاز ، فدعاه إلى الإسلام ،
وقرأ عليه : يثا من القرآن فاستحسنه ، ثم انصرف عائداً إلى المدينة ولم يلبث أن قتل ، وإن كان ابن سعد والطبري
يقولان إنه شهد أحداً . انظر الإصابة الترجمة ٣٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها في البيان ٣/٣٥٦ ، الأمل ٢/١٩٨ ، وماعدا الرابع في عيون الأخبار ٣/٨١ ، =

كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطائنه لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً ، وإن كان عدّلاً ، ويقول : (١) العداوة تزيل العدالة .

كان يقال (١) : لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويماريك في صوابك .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ابدلْ لصديقك كلَّ المودة ، ولا تبذل له كلَّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلَّ المواساة ، ولا تُفضي إليه بكلِّ الأسرار .

رَوَى عن عليّ بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكونُ الصديقُ صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديقه صديقاً ، ولعدوّ صديقه عدواً .

منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى في اللسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناب ، وهي في الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية في الأمالي : لسانه بدل مقالته .

المأثور : السيف في متنه أثر ، وقد فسره في العيون بأنه الذي يؤثر عنه شر وطمه ، وأحسبه ليس دقيقاً ، نغرة النجر : نقرته . والرواية في العيون : كالشحم بدل الشهيد ، وفي البيان : مادام بدل ما كان ، وفي الأمالي : حاضر / بدل شاهداً ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشرر : النظر فيه إعراس ، أو هو نظر الغضبان أو الحاقد بمؤخرة العين ، والرواية في العيون : من الضمن والشجاء بالنظر الشرر ، وفي البيان من الغل والبغضاء .

تبرى : تقطع .

راش الصديق : أصاح حاله وضده براه .

(١) ساقط من أ .

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

تصافح من لا قيمت لي ذا عداوةٍ وأنت صديق ليس ذاك بمُسْتَوِي

في أبيات قد ذكرتها في باب البغى والحسد وغيره ، وفي رواية أخرى :

عدوك يَخْشَى صولتي إن لقيته وأنت صديقي ليس ذاك بمُسْتَوِي

وقال آخر :

عدو صديقي داخلٌ في عداوتي وإني لمن ودَّ الصديقُ ودُّودُ
فلا تقرب مني وأنت عدو من أصادقه فالخيرُ منك بعيدٌ^(١)

^(٢) وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا^(٣) عيسى

عن ابن مقسم ، قال : أنشدني أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ، قال : أنشدني
أبو العباس المبرد :

صديقٌ عدوى داخل في عداوتي وإني على ودِّ الصديقِ صديقٌ
أعدى الذي عادى وأهوى له الهوى كأنني منه في هَوَاهُ شَقِيقٌ^(٤)

(١) البيتان في العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، ورواية البت الثاني فيه :

فلا تقرب مني وأنت صديقه فإن الذي بين القلوب بعيد

(٢) في ١ : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) في ١ : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية في أمالي القالي ٨٣/١ .

وقال العتّابي :

تودّ عدوّي ثمّ تزعمُ أنّي صديقك إنَّ الرأىَ عنك لمازبُ
وليس أخى من ودّني رأىَ عينه ولكن أخى من ودّني وهو غائبٌ^(١)

قال آخر :

إذا وّالى صديقك من تُعادي فقد عاداك وانقطع الكلامُ

قال معاوية : النبيل مؤاخاة الأَكفاء ، ومداجاة^(٢) الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنّما أحب أخى إذا كان صديقي .

قال بعضُ علماء أهل المدينة : من ثقل على صديقه خفَّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلا ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أصدقاتك ، فلا تزدهم في أعدائك^(٣) ، فإن الصديق يحوّل بالجفاء^(٤) عدوا ، وكذلك العدو يحول بالصلة صديقا^(٥) .

(١) نسب البيتان في حساسة البحترى لصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد وردا في أمالي القالي ٨٣/١ ، المقدم الفريد ٣٠٧/٢ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٦/٣ وفيها : ولكن أخى من صدقته الغائب .

(٢) المداجاة : المدارة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) في ١ : لإفرائك .

(٤) ساقط من ح .

(٥) في ١ : صديقا بالصلة .

كان يقال : لا تجترى على عداوة رجل بصدقة ألف .

قال الشاعر :

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم بطون^١ إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرًا ألف خلّ وصاحب وإن عدواً واحداً لكثير^(١)
ومما أنشده المبرد :

ترفع عن مخاشنة الصديق ولا تلج العدو إلى مضيق
وإن يسئح من المعروف شيء فبادر خوف إمكان الطريق
وأحسن من مجاهدة الأعدى مجاهدة النفوس على الحقوق

كان المغيرة بن شعبه يقول : إن أنكأ لعدوك ألا تعلمه أنك اتخذته عدواً .

سئل أعرابي عن ابن العم ، فقال : عدوك وعدو عدوك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوه خلفه في حياته ، ويقدمه أمامه

في وفاته .

كان يقال : لا تلتمس معاونة ذي عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك

في مخالفتك .

جمع كسرى يوماً مرارته وعيون أصحابه ، فقال لهم : من أي شيء أنتم أشد

حذراً؟ قالوا : من العدو الفاجر ، والصديق الغادر .

(١) نسب البيتان في محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر: اتقى العدو، وكن من الصديقِ على حذر، فإن القلوب
إنما سميت قلوباً لتقلُّبِها .

منصور الفقيه :

احذر مودةَ ماذقٍ^(١) مزجَ المرارةَ بالحلاوةِ
يُحْصِي الذنوبَ عليك أَيَّامَ الصداقةِ للعداوةِ^(٢)

وقال جحظة البرامكي :

لا تُعدِّنْ للزمانِ صديقاً وأعدِّ الزمانَ للأصدقاءِ^(٣)

قال آخر :

دار الصديق إذا استشاطَ تَغَضُّباً^(٤) فالنغيظُ يُخْرِجُ كامنَ الأحقادِ
ولربما كان التغيظُ باحثاً^(٥) لمعائب الآباء والأجدادِ

استعدى أعرابي على بلال بن جرير بن الخطفي إلى قثم بن العباس فقال :

أعوذُ بعبّاسٍ وَحَقْوَى مُحَمَّدٍ وَحَقْوَيْكَ^(٦) من طولِ الأذى والنوائِلِ

(١) الماذق : غير خالص الود .

(٢) البنتان في عيون الأخبار ١٠٧/٣ من غير نسبة وفيه : والمدارة ، وانظرهما في الصداقة والصديق ٤١ .

(٣) البيت في التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٩٩/٣ .

(٤) في التغيظ .

(٥) في ا : باديا .

(٦) ساقط من ج ، والمقو : الكشح ، وهو ما بين المحاصرة الى الضلع الخلف .

فإنّ بلاّ يابن عمّ محمدٍ
 إذا نال يوماً رشوةً من خاصمٍ
 عدوّه إذا جاملته لم يُجاملِ
 رى كل حقّ أدعيه يبطلِ

قال ابن وكيع :

ليس بالْمُنْكَرِ انْقِلَابُ صَدِيقِ
 وتلاقى الإخوانِ بعد فسادِ
 ربما غصّ شاربٌ بالشَّرَابِ
 كتلاقي^(١) الأرواحِ بعد الذهبِ
 لا تضيّعُ مودةً من صديقِ
 فانقلابُ الصديقِ شرٌّ انقلابِ

قال آخر:

وَرُوِّعْتُ حَتَّى مَا أُرَاعَ مِنَ النَّوَى
 قَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي
 وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَى كَرَامِ
 وَعَيْنِي عَلَى هَجْرِ الصَّدِيقِ تَنَامُ^(٢)

وقال صالح بن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتِ امْرَأًا فَاحْذَرُ عِدَاوَتَهُ
 إِنْ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبَدَى بِشَاشَتِهِ
 مِنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَحْصِدُ بِهِ عِنَبًا
 إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فَرَصَةً وَثَبًا^(٣)

(١) في ١ : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان في وفيات الأعيان ٣٩٠/٤ ، وهامش الحماسة ١٠٣/١ إلى عبد الصمد بن المعذل والرواية

في الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان في نهاية الأرب ٧٩/٣ ، التمهيل والمحاضرة ٧٨ .

قال الصحابُ بن عبّاد :

لقد صدقوا - والراقصاتِ إلى منى -
بأنّ مُدْرَاةَ العدى ليس تنفعُ
ولو أننى دارأتُ عمريَ حياةً
إذا استمكنت يوماً من اللسعِ تلسعُ^(١)

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذى إن زلَّ صاحبهُ
يوماً رأى ذاك ذنباً غيرَ مغفورِ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعتذرُ فى
ما ليس صاحبهُ فيه بمذورِ^(٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خالِصتى
أيامَ تجرى مجارى السُّوقِ^(٣)

قال أبو تمام الطائى :

وحسبك حَسرةً لك من صديقِ
رأيتَ زمامه بيدي عَدُوِّ^(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنكرت أخلاقَ الصديقِ
فلستَ من التحيرِ فى مضيقِ

(١) البيتان فى التمثيل والمحاصرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ١٠٩/٣ ، يقيمة الدهر ٢٧٨/٣ ، وفيها : إذا مكنت بدل استمكنت ، وفى ١ : من السم بدل اللسع .

(٢) ساقطان من ١ ، وانظرها فى العقد الفريد ٣٠٧/٢ .

(٣) السوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديق أيام كنا فردين من عامة الناس ، وقد ورد البيت ضمن أربعة أبيات فى عيون الأخبار ٧٤/٣ منسوبة لمحمد بن مهدي ، وبعد البيت الوارد هنا فى العيون :

حتى إذا راح والملوك معاً
عد اطراحي من صالح الخلق

(٤) البيت ساقط من ١ ، وانظره فى ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زمامه .

طريقاً كنتَ تسلكه سليماً فأسمعُ فاجتنبه إلى طريقِ
فإنَّ قابلتَ يُسرَى منه عُسرَى فراجعُ من قطعتَ من الصديقِ

وقال عبدُ بنى الحَسْحَاسِ (١) :

رأيتُ الحبيبَ لا يُملُ حديثه ولا ينفَعُ المشنوءَ أن يتوددَا

وقال زيادُ الأعجمُ :

عدوكُ مسرورٌ وذو الودِّ بالذي أتى منك من غيظِ عليٍّ كظيظِ
تلينُ لأهلِ الغلِّ والنعزِ منهمُ وأنتَ على أهلِ الصفاءِ غليظُ
نسيُّ لما أوليتُ من صالحِ مَضَى وأنتَ لتأنيبِ عليٍّ حفيظُ
وسُميتَ غيَاطًا ولستَ بغائظِ عدواً ولكنَّ الصديقَ يَغِيظُ (٢)

وقال أبو الطيبِ :

وأرحمُ أقوامًا من العبيِّ والغبا وأَعذِرُ في بُغضِي لأَنهمُ ضِدُّ
ومن نكَدِ الدُّنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ (٣)

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نون ، أعجمي اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ،
وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده في أوائل عصر النوبة ، ورآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعجب
بشعره ، قيل : قتله بنو الحسحاس في آخر خلافة عثمان حوالي سنة ٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشبيبه بنسائهم . انظر
نوات الوفيات ١/١٦٦ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ٣/١٢٤) .

(٢) نسبت الآيات في أمالي القائل ٢/١٩٨ ، المؤلف ٨٨ للحضين بن المنذر يقولها في ابنة « غياظ » .

(٣) البيت الأول في الديوان ١٦٩ ، والثاني في ص ١٦٨ ، أي أن الثاني يرد في الترتيب قبل الأول

(١) وقال آخر:

وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يصمُّ^(٢) به شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ به

وقال منصور الفقيه :

إذا تخلَّفتَ عن صديقٍ فلم يعاتبك في التخلفِ

فلا تعد بعدها إليه فإنما وده تكلفِ

وإن تعد بعدها إليه فلا تلمه على التصلفِ^(٣)

وقال آخر :

إذا كتم الصديقُ أخاه سراً فما فضلُ الصديقِ على العدوِّ^(١)

وقال ابن الرومي :

عدوُّكَ من صديقِكَ مستفادٌ فأقليلُ ما استطعتَ من الصَّحَابِ

فإن الداءَ أكثرَ ما تراه يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

وإنَّكَ قلماً استكثرتَ إلا وقعتَ على ذئابٍ في ثيابِ

فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثيرِ يُعابُ وكم قليلِ مستطابِ

وما اللُّجَجُ المِلاحُ بِمُروياتِ وتلقى الرئی في النطف العذابِ

(١) ساقط من ج .

(٢) البيت للعتبي أيضاً ، انظر ديوانه ٢٧٧ .

(٣) البيتان الأول والثاني في خاص الخاص ١٠٧ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ ، معجم الأدباء ١٨٩/١٩ .

إذا انقلبَ الصديقَ غدا عدوًّا مُبينًا والأُمورُ إلى انقلابٍ^(١)

وقال منصور الفقيه :

احذِرْ عدوَّكَ مرةً واحذرْ صديقَكَ ألفَ مرةٍ
فلربَّما انقلبَ الصديقُ قُ فكانَ أَعْلَمَ بالْمُضِرَّةِ^(٢)

قال آخر :

كُنْ من صديقِكَ خائفًا فلربَّما حالَ الصديقُ^(٣)

وقال آخر :

احذرْ صديقَكَ لا عدوَّكَ إنما مَسْتُورٌ سرُّكَ عندَ كلِّ صديقٍ^(٤)

قال أبو بكر الخالدي^(٥) :

ما في زمانِكَ ما يعزُّ وجودُهُ إن رمتَهُ إلاَّ صديقٌ مُخلصٌ^(٦)

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيت في محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى علي بن عيسى .

(٣) في ١ وردت الشطره الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدق .

(٤) في ١ : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هاشم بن وعلة ، شاعر أديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخالدين ، وكا من خواص سيف الدولة ولاهما خزانة كتبه ، ولهما عدة مؤلفات في الأدب ، انصر فوات الوفيات ٢٧١/٢ الأعلام ٢٥٣/٧ .

(٦) بيت في نهاية الأرب / ١٠٣ ، لتمثيل والمحاضرة ١١٣ ، بشبهه الدهر ١٩٨/٢ .

وقال الكُمَيْتُ يخاطبُ بنى العباس^(١) :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانِ عَدُوِّكُمْ وَخَفْنَاكُمْ إِنْ الْبَلَاءُ لَرَاكِدٌ^(٢)

وقال آخر :

وَبَغْضُوكَ لِلتَّقِيِّ أَقْلُهُ ضُرًّا وَأَسْلَمُ مِنْ مَوَدَّةِ ذِي الْفُسُوقِ ،
وَلَنْ تَنْفَكَ تُحْسَدُ أَوْ تُعَادَى فَأَكْثَرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ^(٣)

خالفه ابن الرومي فقال :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مَسْتَفَادٌ فَأَقِيلُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَحَلُّوْا فِي الْحُلُوقِ^(٤)

أكثر رجل على رجل بالسلام وقال له : أنا صديقك . قال : وكيف ؟ قال : لأنني
أسلم عليك . فأنشأ يقول :

لَنْ كَانَ مِنْ قَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَمُدُّ صَدِيقًا فَالصَّدِيقُ كَثِيرٌ

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكميت بن زيد الأسدي ، كما في عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن
الكميت مات سنة ١٢٦ هـ ، أي قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبي العباس
السفاح بالأنبار ، فأخذته الحرس فحبسوه ، فكتب إلى أبي العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته .
انظر الأغاني ١١٧/١٥ : ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ١٠٧/٨ .

(٢) في ج : لواحد وانظر البيت في عيون الأخبار ٣/٢٠ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٣/٢ ، وفيها : وبغضاء التقي أقل ضيرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٤٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لا تُهِنَنَّ لِلصِّدِّيقِ تَكْرِمُهُ نَفْسَكَ حَتَّى تَعُدَّ مِنْ خَوْلِهِ
يَحْمِلُ أَثْقَالَه عَلَيْكَ كَمَا يَحْمِلُ أَثْقَالَه عَلَى جَمَلِهِ
لَيْسَ الْفَتَى بِالَّذِي يَحْمُولُ عَنِ الْإِ مَهْدٍ وَيُؤْتِي الصِّدِّيقُ مِنْ قِبَلِهِ
وَلَسْتُ مُسْتَبْقِيًا أَخَا لَكَ لَا تَصْفَحُ عَنْ جَهْلِهِ رَعْنُ زَلَلِهِ^(١)

وقال آخر :

إِنَّ الصِّدِّيقَ فَلَا تَأْمَنُ بِوَأْتِقَهُ أَسْوَأَ الْعَدُوِّ إِذَا مَا سُؤْتَهُ أَثَرًا

وقال رجل من بني سليم :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَاحٍ عَلَى حَالِ التَّكَاشُرِ مِنْذُ حِينِ
فَأَبْغَضُهُ وَيَبْغُضُنِي وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي
فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَّانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ

وقال المُتَمَسِّس :

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ نُشَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايَلُنَّ حَتَّى لَا يَمَسُّ دَمٌ دَمًا^(٢)

(١) الأبيات في عبون الأخبار ١٧/٣ ، حساسة البحري ١٧/٣ ، والبيت الأول فيها : لا تهين لنفسك ، وتصفح مما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تسفك وتختلط ، وروى : تشاط وهما عسى ، تزايلن : افترقن ، والبيت في العقد الفريد ٣٥٩/٥ ، البيان والتبيين ٥٧/٣ ، الحيوان ١٣٦/٣ ، فصل المال ١٣٢ م

وقال آخر :

إذا كنت ممن لا تُرى نافعاً صديقاً ولا بعدوً تضره
فسيان إن متَّ أو إن حييت فلا ذا يسوء ولا ذا يسره

لأبي عينة المهلبى،^(١) أو على بن جبلة^(١) :

ولما رأيتك لا فاجراً قوياً ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوك بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ^(٢)
دخلتُ بك السوقَ الرقيقِ وناديتُ هل فيك من زائدٍ؟^(٣)
فأجأني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحدِ
^(٤) سوى رجل حان منه الشقا وحلت به دعوة الوالدِ^(٤)
مُحاطٍ به^(٥) معه درهمٌ ردىءٌ فأقبل كالراصدِ
فبعثتُ منه بلا شاهدِ مخافةً ردك بالشاهدِ

(١) زيادة في > .

(٢) يرد بدل هذا البيت في العقد بيت آخر هو :

ولا أنت بالرجل المتقى ولا أنت بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت في العقد :

على رجل خائن الصديق كفور بأئسه جاحد

(٤) ساقط من > ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذي بعده في العقد بل ورد مكانهما بيت آخر هو :

سوى رجل رادني داقا ولم يك في ذاك بالجاهد

(٥) في > : سوى رجل .

وَأَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي غَانِمًا وَحَلَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّاقِدِ^(١)
وقال آخر^(٢):

سَأَصْبِرُ مِنْ صَدِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهُوَآنَا
فَإِنَّ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خَلَاءِ^(٣) وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يُهَانَا
قال العَطَوِيُّ :

إِذَا مَا الْحَرْثُ فَازَ^(٤) بِحُسْنِ حَالِ أَجَازَ صَدِيقَهُ مِنْ سُوءِ حَالِ
إِذَا أَثْرَى رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ لَهُ الْإِفْضَالَ مِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ
لِعَمْرُكَ مَا رَأَيْتُ فَتَى كَرِيمًا يَحِبُّ الْمَالَ إِلَّا لِلنَّوَالِ
أَبَا حَسَنِ تَكَلَّمْتُ الْحَزَمَ فِيهَا أَحَاوَلْتُ مِنْ مَقَالِي أَوْ فَعَالِي
لَقَدْ كَذَبْتَ ظَنُونِي فَيْكَ أَنْ لَمْ أَتُبُّ مِنْ حُسْنِ ظَنِّي بِالرِّجَالِ^(٥)
وقال آخر:

إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ فَبِرُّ صَدِيقِهِ فَرَضٌ عَلَيْهِ

(١) انظر الأبيات كما هنا في الصداقة والصدق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذي أوضحت في العقد الفريد ٤٥٢/٣ ، ولم تنسب في كليهما .

(٢) هو عمير بن جميل التلمبي كما في معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماه في العقد الفريد ٣١١/٢ عمر بن جميل التلمبي وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفي الكامل ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) في ح : في هوان .

(٤) ١ : إذا ما المرء جاز بحسن حال .

(٥) ساقط من ١ .

فَإِزَّ عَنْهُ الصَّدِيقُ أَقَامَ يَوْمًا فَوَجَّهُ الْبِرَّ أَنْ يَسْمَعَ إِلَيْهِ
وإن كَانَ الصَّدِيقُ قَلِيلَ مَالٍ يَضِيقُ بِذَرَعِهِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ أَسْنَى فَعَالٍ الْمَرْءِ أَلَا يَضُنُّ عَلَى الصَّدِيقِ بِمَا لَدَيْهِ

وقال آخر :

مَا ضَاقَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ أَلَّذِ مِنْ وَدِّ صَدِيقٍ أَمِينٍ
مَنْ فَاتَهُ وَدَّ أَخٍ صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ

(١) عبد الله بن طاهر ، و يروى لعلى بن الجهم ، وهى له لا غيره (١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرنى يحيى بن المعلم ، قال : مررت بعللى بن الجهم ، وقد أذن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع (٢) ، فسلمتُ عليه وقلت له : لا يمكننى أن أقيم حتى تصلى لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأكفى به صديقا له قبلى يد . قال : فلم أمش إلا قليلا حتى ردنى ، فقال لى : اكتب وأنشدنى (٣) :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَحْتَمِلُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ (٤)

(١) ساقط من ا ، م .

(٢) فى ا : ابن وكيم وهو تحريف .

(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبة الأبيات إلى على بن الجهم ، والواقع أنها تنسب أيضا إلى أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك فى عيون الأخبار ١/٢٦٦ ، أمانى القال ٢/٣١٤ ، أولى إبراهيم بن العباس الصدولى كما ورد فى الأغانى ٩/٢٣ (بولاق) ، زهر الآداب ٤/١٥٦ ، ٥٧ ، مجمع الأدباء ١/١٧٤ .

(٤) فى أمانى و"عون : أميل مع الزمام ، وفى العيون : وأحتمل الصديق .

وإن ألفتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق^(١)
أفرق بين معروف ومي وأجمع بين مالى والحقوق

قالوا : احذر من وترته وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تشق به .

قال الشاعر^(٢) :

إذا وترت امرئاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عبناً
إن العدو وإن أبدى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصة وثباً

وقد تقدم في باب التودد إلى الناس أبيات تصلح في هذا الباب ، فلم أروجهاً

لتكرارها .

(١) في معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بدل ملكا .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق في ص ٩٦٠ .

بابُ جامعٌ متخَيَّرٌ في الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فليَنظر امرؤ من يخالل » .

« قال الأوزاعي : الصاحبُ للصاحب كالرقعةٍ للشوب ؛ إن لم تكن مثله شاتئه ^(١) .

قال الشاعر :

وما صاحبُ الإنسان إلا كرقعةٍ على ثوبه فليَنخذهُ مُشاً كلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ في صحبةٍ من لا يَرى لك كالذى يرى لنفسه » .

وفي الخبر المرفوع أيضاً « شيطانٌ لا يزدادانِ إلا قلته : درهمٌ حلال ، وأخٌ في الله ^(٢) تسكن إليه » .

وقد روى مرفوعاً : « المرءُ كثيرٌ بأخيه » .

قال عليُّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه : لا خيرَ في صحبةٍ من تجتمع فيه هذه

(١) ساقط من ج .

(٢) ساقط من ا .

الخلال : من إذا حدّثك كذبتك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنتك اتهمك ،
(١) وإذا أنمت عليه كفرك (١) ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبي الدرداء : معاتبه الأخ أهون من فقده ، ومن لك بأخيك كله ،
فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أحبب في الله ، وأبغض في الله ، وعاد في الله ، فإنه
لا تُنال موالاة الله إلا بذلك ، ولن يجد عبده طعم الإيمان — ولو كثرت صلواته
وصومته — حتى يكون كذلك . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر
الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله (٢) ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدوٌّ إلا المتقين﴾ (٣) ، وقرأ : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حادّ الله ورسوله﴾ (٤) الآية .

قال المنيرة بن شعبة : التازل للإخوان منزول .

قال المنصور لإسحق بن مسلم العقيلي : ما بقي من لذتك ؟ قال : أخ أشتهى معه
طول السهر ، ودابة أشتهى معها طول السفر .

قال جعفر بن محمد : حفظ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كرم .

(١) ساقط من ١ .

(٢) في ١ : وذلك لا يجرى على أهلها .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كان يقال : أنصحُ الناسَ لك^(١) من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كله ، لا تستقص^(٢) عليه فتبقى بلا أخ .

كان يقال : الأخوة قرابةٌ مستفادة .

كان يقال : ما شئٌ أسرع في فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشي ، عن الأصمعي ، قال : ما رأيت شعراً أشبه بالسنة من قول

عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه
وصاحب أولي التقوى تنل من تقاهم^(٣)
فكل قرين بالمقارن مقتدي
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي^(٤)

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذي يخفي عليّ
ك إذا نظرت إلى قرينه^(٤)

قال الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجاته
كم صالح بفسادٍ آخر يفسدُ

(١) في ح : فيك .

(٢) في أ : لا تستقص .

(٣) ورد البيتان معاً في : شعراء النصرانية ٤٦٦ ، جبهة أشعار العرب ١٠٢ ، وورد الأول في : معجم الشعراء ٢٥ ، عيون الأخبار ٧٩/٣ ، حاسة البحري ٣٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، وقد نسب البيت لطرفة وورد في ديوانه ، ولكن الراجح أنها لعدى .

(٤) ديوانه ٢٨٢ ، وفيه : خدينه بدل قرينه .

عدوى البليدِ إلى الجليدِ سريمةً^١ والجرُّ يُوضَعُ في الرمادِ فيخمدُ^(١)

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينه^(٢) وقرّة عينِ الفسَلِ أن يصحبَ الفسَلَا^(٣)

وقال صالح بن جناح :

وصاحبٌ إذا صاحبتَ حُرّاً مُبرِّزاً^(٤) يَزِينُ وَيُزِرِي بِالْفَتَى قِرْنَاوَه^(٥)

وقال سهل الوراق :

تخيّرُ قريناً لا يعيبُ^(٦) فإنه يقاسرُ لعمري بالقرين قرينه
وشرُّ خدينِ قاطعٌ لخدينه إذا حادَ يوماً عن هواه خدينه

وقال آخر :

إن النديمَ وإن الكأسَ صيرني كما تراني سليبَ العقلِ والدينِ^(٧)

^(٦) قالوا : من أراد أن يدوم له ودُّ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعداً

فيخلفه^(٦) .

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٢) البيت في البيان والتبيين ٣/١٧٥ ، الحيوان ٧/١٥٨ . والفعل : النذل الذي لا مروءة له .

(٣) في ١ : وزراؤه .

(٤) في ٥ : لا يعاب .

(٥) في محاضرات الأدباء ١/٣٢٠ ، ورد الشطر الأول من البيت : لاني غفلت عن الساق فصرني .

(٦) ساقط من ١ .

أوصى رجلٌ ابنه فقال : يا بني ! اصحب من إذا غبت عنه خلفك ، وإن
حضرت كنفك ، وإن لقي صديقك استزاده لك ، وإن لقي عندوك
كفَّهُ عنك .

وقال بعضهم : لا تؤاخ شاعراً ؛ فإنه يمدحك بضمن ، ويهجوك مجاناً .

لابن أخى زرِّ بن حُبَيْش^(١) :

وما استخبأت في رجل خبيثاً كدين الصدقِ أو حسبِ عتيقِ

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ،
وإن أصابتك فاقة مانك^(٢) ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتتها وسترها ،
لا تخاف بوائقه ، ولا تختلف طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي ناصِحٌ لَكَ فَاسْمِعْ طمعت من الإنسان في غير مطمع
ألا ليس يصفو ذو طبائع أربع طمعت من الإنسان في صفو ودّه

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي ، من جلة التابعين ، وقد عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام
ولسكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان زر عالماً بالقرآن فاضلاً ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات
في وقعة بدر الجاهم سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ٥٧٧/٩ (الأعلام ٧٤/٣) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه
هذا الذي نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب في حاشية البحري ٢٥٦ ليزيد بن الحكم الثقفي ومن المؤكد أن
يزيد ليس ابن أخى زر ، فيزيد ثقفي من الطائفة ، وزر أسدي كوفي .

(٢) مانك : احتمال مؤوتك .

خذ العفو من كل امرئ شئت وده وإن ضاق عما شئت فتوسع^(١)

ولأبي العتاهية أيضا :

يارب خدن كنت آمن غيبه
أصبحت تنطف في يديه جراحه
سأحته ليرد بأس عدوه
فعدا على فبزني بسلاحي^(١)

وقال العاقولي^(٢) :

من يكرم الناس يكرموه
ومن يهينهم يجد هوانا
ومن يقل عثرة يقلها
ومن يعين لم يزل معانا
كان أخا صاحبنا زمانا
فقال عن وصلنا وخانا
تاه علينا ، وصدنا
فا نراه ولا يرانا

وقيل لخالد بن صفوان : أي إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذي يغفر زللي ،
ويقبل عليلي ، ويسد خللي .

قال المأمون : الإخوان على ثلاث طبقات : فإخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم
أبدا ، وهم إخوان الصفاء ، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات ، وهم

(١) لا توجد هذه الأبيات في ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة إلى دير العاقول وهي بلدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الأثير في اللباب ٢/ ١٠٥ ، ٦
بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات إلى أحدهم لجرد أنه عاقولي ، هذا وقد ورد
في ديوان ابن المعتز ٢/ ٢٣ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

النفهاء ، وإخوان كالداء لا يُحتاج إليهم أبداً ، وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اصْحَبْ من ينسى معروفه عندك ، ويذكر حقوقك عليه .

كان (١) ابن عيينة ماشياً بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداثٌ يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلاسى اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنت ابنَ عشرين سنة وما كنتُ أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنت أجالس الشيوخ والكهول ، ألم تسمع إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيدُ الله :

ألا أبلغاً عنى عِرَاكَ بنِ مَالِكٍ فَإِنِ اتَّمَا لَمْ تَقْعَلَا فَأَبَا بَكْرٍ (٢)

ويروى : ولا تدعَا أن تُثَنِّيَا بأبى بكرٍ

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبي الأسود الدؤلى فى الصفحة التالية زيادة فى ١ .
 (٢) أما عراك بن مالك الفغارى السكناى المدينى ، تابعى جليل ومحدث ثقة ، كان من أشبه أصحاب عمر بن عبد العزيز على بن مروان فى انتزاع ما حازوا من العمى والمظالم من أيديهم ، فلما ولى يزيد ابن عبد الملك ففاه إلى دهلك على حدود اليمن ، ومات بها فى خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/٧ ، ١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الحزرجى . فاضى المدينة وأميرها لعمر بن عبد العزيز ، كان عابداً ثقة كثير الحديث ، ويقال : إنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفى عن سن عالية نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٥٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٨/١٢ . هذا وقد ورد البيتان ضمن أربعة أبيات لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة النقيه فى أمالى المرتضى ٣٩٨/١٢ ، ٣٩٩ ، وذكر هناك القصة الأصلية لها ، كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة فى الأغاني ٩١/٨ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً ، ثم ان ابن حزم ولى لمرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يبران بعبيد الله فلا يسمان ولا يقنان ، وكان صريراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات انظر البيهقي أيضاً عيون الأخبار ١/٣ ، ٨ ، الحيوان ١٥٨/٧ .

فكيف تُلومَانِ ابنَ سبعينَ حِجَةً على مائتي وهو ابنُ عشرين أو عشرين

وقال آخر :

أبن لي فكن مثلي، أو ابتغِ صاحبًا كشكِّكِ إني مبتغِ صاحبًا مثلي
ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا إذا لم يؤلَّفَ روحَ شكلٍ إلى شكلٍ

قيل لبعض المدنين : أى الهوى أغلب ؟ قال : هوى مُتَشَاكِلَيْنِ .

ولعبد الصمد بن المعدل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرئٍ يعرفُه الناسُ بمتابِهِ
لا تسألنَّ المرءَ عن حالِهِ ما أشبهَ المرءَ بأصحابِهِ

وقال أبو الأسود الدؤلى :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناسِ مثلهُ وكلُّ امرئٍ يَهْوَى إلى من يُشَاكِلُهُ
ومالكٌ بُدٌّ من نزيلٍ فلا تكن نزيلًا لمن يسعى به من يُنَازِلُهُ
وإن أنت نازلتَ الكريمِ فلا فيهُ بما أنت من أهلِ المروءةِ قائِلُهُ
وإن أنت نازلتَ اللئيمِ فكنِ فتيً تزياله في فـهـه وتـحـامِلُهُ
إذا لم تُدَاخِلْ دُرًّا من كان ذا حجباً وعزمٍ وحزمٍ لم تجذ من تُدَاخِلُهُ
وما الناسُ إلا بالأصـولِ فإنما يُنَبِّتُ أعلى كلِّ بيتٍ أسافلُهُ (١)

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٢ .

وقال جرير^(١) :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا

وفي هذا الشعر يقول جرير :

أَلَا تَخَافَا نَبَوْتِي فِي مُلِمَّةٍ وَخَافَا الْمَنَايَا أَنْ تَقْوَتْ كَمَا يِيَا
تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَّرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي فَخَالَكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
وَإِنِّي لَمُرُورٍ أَعْلَلُّ بِالْمُنَى لِيَا لِيَا أَرْجُو أَنْ مَالِكَ مَا لِيَا
فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَّضْتُ أَيْقَنْتُ أَلَّا أَخَالِيَا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية^(٢) بن عبد الله

بن جعفر^(٢) في أبياته التي يقول فيها ، فلا أدري من تقدم صاحبه إليه :

رَأَيْتَ فَضِيلاً كَانَ شَيْئًا مَلْفًا فَكَشَفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَا لِيَا
فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَّضْتُ أَيْقَنْتُ أَلَّا أَخَالِيَا
فَلَا زَادَ مَا يَنْفِي وَيُبْدِنُكَ بَعْدَ مَا بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمْنَأِيَا
وَلَسْتَ بِرَأٍ عَيْبَ ذِي الْوَدِّ كُلِّهِ وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتَ رَاحِيَا
فَمَعِينُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

(١) - الأبيات الآتية في ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طوبلة في النفاثر ١٧٧ ط أوربا ، وفيها :

مأنت. أبي ... لا أباليا .

(٢) - ساطط من ا ،

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيَا (١)

وقد أدخل بعضهم في هذه الأبيات بيتين ، وهما :

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يهَابُني ولستُ أرى للمرءَ ما لا يرى ليَا
متى تَدُنُّ مِنِّي تَدُنُّ مِنْكَ مَوَدَّتِي وإن تَنَا عَنِّي تُلْفِنِي عَنْكَ نَائِيَا (٢)

(٣) وقال روح أبو همام :

فَعَيْنُ السَّخَطِ تُظْهِرُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى (٤)

وقال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصَفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
سَتَقَطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي عَيْنُكَ فَانظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ (٥)

(١) هذا البيت وارد في القلط ، وانظر الأبيات لجد الله بن معاوية في عيون الأخبار ٧٥/٣ ، الكامل ١٢٥/١ ، زهر الأدب ١٢٥/١ ،

(٢) نسب هذا البيت في حماسة أبي تمام ١٢٤/٠ لأبي بن سمام العبدي ، وورد في بيت جرير الأول :
وَأَبِي لَأَسْتَحْيِي ، وَالْبَيْتُ الْآخِرُ مِنْ أَيْتَاتِ عَبْدِ اللَّهِ : كَلَانَا غِي . . في قصيدة طويلة في أمالي القالي ٧٣/٣ ، ٧٤ ،
لسيار بن هبيرة أحمد بن ربيعة الجوع بن مالك ؛ زيد مناة في عتاب أخويه خالد وزيد ، كما نسب البيت
المذكوران في التمثيل والمحاضرة ٣١٠ للمتنبى ولا يوجد في ديوانه .

(٣) ساقط من ح ، وفي أ : قال أبو العتامة وهو خناً فالبيت ليس له ولم يرد في ديوانه ، ومياني
بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره في الصداقة والصدق ٩٠ .

(٤) ورد البيت في حماسة أبي تمام ٣/٢ ، ٤ ، الكامل ٣٦٤/١ السواد ٢١٨ ، حماسة
البحري ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤٤٤/٤ ، ونسب في الميون ١٨/٣ لجرير وليسا في ديوانه .

كتب ابن عمار^(١) إلى برجوان كتاباً فيه قول الشاعر :

بستقطع في الدنيا إذا ما قطعته
يمينك فانظر أي كف تبديل

فدعا برجوان شاعراً كان قد استخضه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن

هذا البيت ، فقال :

ومازلت أهدى النصيح حتى أطرحته
وأقبلت عن سبل الهداية تعدل
فهبك يميني استخبثت فقطعتها
لتسلم لي نفسي أم الهلك أوجل

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المرء تدوى يمينه
فيقطعها عمداً ليسلم سائرته
فكيف تراه بعد يمانه فأعلا
بما ليس منه حين تدوى سائرته^(٢)

أنشدني أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد^(٣) قاسم

ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي خيثمة لأبي الشيبان محمد^(٤) بن عبد الله

ابن رزين^(٤) :

(١) لعلاء إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدي ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان هجاء مرأ ، ولقد اتهمه والي الكوفة بأنه من الشعراء ، وأنه من دعاة الخنار بن أبي عبيد النخعي ، فسجنه ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة للحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفي ابن عمار حوالي سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغاني ١١/٣٦٤ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدي من مراجع .

(٢) تدوى : تمرض ، وانظر البيهقي في المثل والحاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٣/٩٦ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر الأبيات في الصفحة التالية في الصداقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف في الترميز في عمون الأخبار ٣/٨١ ،

ووردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، في العمدة الفريدي ٢/٣٤٧ منسوبة لابن أبي حارم ، وانظر المحاسن والأصداق ٤١ .

صاحبٍ كان لي وكنتُ لهُ
 كنا كساق تَسعى بها قدمُ
 وكان لي مُؤنِسًا وكنتُ له
 حتى إذا حلت الحوادثُ مِن
 أحولٍ عني وكان ينظرُ مِن
 أشفقٍ من والدٍ علي ولدٍ
 أو كذراعٍ نيطتُ إلى عَضُدٍ
 ليست بنا حاجةٌ إلى أحدٍ
 ساحتِي وحلّ الزمانُ من عُقَدِي
 عيني ويرمي بساعدي ويدي
 كنتُ كستر فدي يد الأسدِ^(١)
 إذا استر فدت يدي يده

وقال آخر :

وإني لأستحي أخى أن أبره
 قريباً وأن أجفوه وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرقدين إذ طال ليلى
 [ابقيا كيف شئتما عن قليل]
 وهما في السماء مُقترنانِ
 سوف تُطوى السما وتفرقانِ^(١)

قيل لأعرابي : لم قطعت أخاك من أيك ؟ فقال : إني لأقطع الفاسد من جسدي
 الذي هو أقرب إليّ من أبي وأمي وأعز فقدا .

قال ابن ميادة :

ألم تك في يميني يدك جماتي
 فلا تجعلني بعدها في شمالي

(١) ساطع من نجم .

وقال آخر :

لا تُهني بعد أن أكرمَ مني فشدِيدٌ عادةٌ منتزَعَةٌ^(١)

وقال آخر :

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخوه لعمْرُ أيبك إلا الفَرْقَدَانِ^(٢)

وقال آخر^(٣) :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارٌ

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لم يك من شكلي ففارقته والناسُ أشْكالٌ وألأف^(٤)

وقال ابن الرومي^(٥) :

* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض *

^(١) نسب البيت في هذين الأخبار ١٩٥/٣ لأبي العياد ، ونسب في حساسة البحرى ٩٠٩ ، إلى أنس بن أبي أنس اللخمي ، وليهما ؛ بعد إكرامك لي ، ونسب في زهر الأذنان ٣٢٦/١ إلى أبي الأسود ، وورد في إعتاب الكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

(٢) ورد البيت في المؤلف ٨٥ ، حساسة البحرى ٢٣٤ منسوباً إلى حضرمي بن عامر ، ونسب إلى عمرو ابن معد يكرب في الكامل ٢/٢٩٨ ، البيان والتبيين ١/٢٣٣ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

(٣) هو جزير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

(٤) في : لم يك لي شكلا ، وانظر البيت في المؤلف والمختاب ٨٥ ، المحاسن والمساوي ٢/٢٠٦ ،

(٥) لم ترد هذه الشطره فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

ولن تنظّم العقْدَ الكعابُ لزينةٍ كما ينظّمُ الشمْلَ الشَّتيتَ الشَّمالُ^(١)

وقال المُساحِقِي :

تُزَهِّدُنِي فِي وُدِّكَ ابْنَ مُسَافِحٍ مودُتِكَ الأَرْدَالَ دُونَ ذَوِي الفَضْلِ
وَأَنَّ سِرَّارِ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُمْ زَمَانِكَ إِنْ الرَّذْلُ لِلزَّمَنِ الرَّذْلُ^(٢)
قال أكرم بن صيفي : أحقُّ من يَشْرَكَكَ في النعمة شرَكَؤُك في المكاره .

أخذه دعبل فقال ، ويروى لحبيب :

وإن أُولَى البرايا أن تواسِيَهُ عند السُّرورِ لمن واساك في الحَزَنِ
إن الكرامَ إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألُفُهُمْ في المنزلِ الخَسِينِ^(٣)

وقال آخر :

إذا ما خيلِي أَسَا مَرَّةً وقد كان من قبلها مُجْمَلًا
شَكَرْتُ المَقْدَمَ من فعلِهِ ولم يُفْسِدِ الأَخْرُ الأَوَّلَا^(٤)

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٨/٣ .

(٣) نسب البيتان لأبي تمام في خاص الحاص ٩٥ ، عيون الأخبار ٢٠/٣ ، وانظرهما في ديوانه ٣١٤ ، ونسبا للصولي ووردا في ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٢٩/١ ، معجم الأدباء ١٩٢/١ ، ويروى لمن والاك بدل واساك ، وانظر التحقيق في ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان في العقد الفريد ٢٧٧/٢ ، مسوونين لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا في محامير الأدهم .
٥/٢ إلى منصور النقيب .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندي^(١) :

إِنِّي بِمُحَبَّتِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وَبِرَيْشِ نَبْلِكَ رَأْسٌ نَبْلِي
وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَمَا نَبَحَتْ كَلَابُكَ طَارِقًا مَثَلِي

قال عبيد^(٢) :

لَا أَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُمِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي
الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِي

قال آخر :

وَإِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يَحْأَسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جَنْدَبُ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ وَيَحْمِلُ مِنْكَ الْحَقَّ فَالْتَرُكُ^(٤) أَجْمَلُ

(١) مطبوع ترجمته لها سبق ، وانظر البيتين في الأغاني ١/٣١٣

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرس في التمثيل والمحاضرة ٥٠ ، الشعر والشعراء = ١٤٥ ، اللسان ١٥/٣٦٧ ، والأول في البيان والبيان ٣/١٠٥ ، فصل المال ٢٠٥ ، الصداقة والصدق ٨١ ، وورد التائي في المقام القريب ٢/٣٠ إلى النابغة ، هذا وقد فصل ناسخ اللسخة ج بين البيتين بكلماتي : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم يندس منه نواه ، وربما جعل فيه صويق ، هذا وقد ورد البيت وحده ومع أبيات في كثير من كتب الأدب ، واختافت نسبه فيها . ففي حماسة البحري ١٠٩ قال : لعمركم بن جوين الطائي أو منقذ بن مرة السكتاني ، وفي المؤلفات ٢٨ ، أمالي القالي ٣/٨٥ نسب لابن أحمر السكتاني أو زرارة الباهلي ، ونقل هذه النسبة بنصها في اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات في عيون الأخبار ٣/١٨ ، ١٩ ، وانظر التحقيق في هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) في ح : فالصبر .

وفي البعد منجاةٌ وفي الصرم راحةٌ
وفي الأرضِ عمن لا يواتيك مَرَحِلٌ^(١)
وقال آخر :

لَهُ حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ
وَمَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقاً
عليه لأهلها وهو الرسول^(٢)

قال آخر :

وددُّتُك لما كان وُدُّكَ خالصاً
وأعرضتُ لما صار نهباً مُقسِّماً
ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناوئُهُ
على كُرهِ الوُرَادِ أن يتهدِّمًا^(٣)

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

نعم الزمانُ زمانِي
والشأنُ في إخوانِي
ممن زمانِي لَمَّا
رأى الزمانُ زمانِي^(٤)
لو قيل لي خذ أماناً
من أعظم الحدانِ

(١) ويروي : مزحل وما يعني ، وانظر البيهقي في مهون الأخبار ١٩/٣ ، وفيها : وفي العيش منجاة
وفي المهجر راحة .

(٢) نسب البيهقي في الكامل ٣٢٢/١ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، وورد في عيون الأخبار ٣٠/٣
بدون نسبة ، وفيها : عليه لقبه بدل أهلها ، وفي زهر الآداب ١٢٦/١ أنهما لأبي عاصم محمد بن حمزة الأسدي
في الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٣) البيهقي في زهر الآداب ٢٦/٤ ، محاضرات الأدباء ١٠٥/٢ وفيها : تبعثك لا كنت عند مني مما يدل
الشرطة الأولى .

(٤) ساقط مني ا .

لما أخذت أماناً إلا من الإخوان^(١)

وقال أيضاً :

وكنت أخى بإخاء الزمانِ فلما نبأ صرت حرباً عواناً
وكنت أذمُّ إليك الزمانَ ^(٢) فأصبحت فيك أذم الزماناً
وكنت أعدك للنائبات^٢ فها أنا أطلب منك الأماناً^(٣)

وقال آخر - وهو كثير عزّة^(٤) :

خير إخوانك المشارك في المرّ (م) وأين الشريك في المرّ أينا
الذي إن حضرت زانك في الحى (م) وإن غبت كان أذننا وعيننا
أنت في معشرٍ إذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزينك شيننا
وإذا ما حضرت قالوا جميعاً : أنت من أكرم العباد علينا

وقال آخر :

لحاً لله وصلّا إن تغيبت ساعةً فأنت وأقصى الناس فيه سواء
وخيلاً إذا لم تأته بهديّة^(٥) بدت لك منه غفلةً وجفاءً

(١) الأبيات في ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة في العقد الفريد ٣٠٨/٢ ، وانظرها في ديوان كثير ١٩٤/٢ .

(٥) ساقطة من ١ .

وقال المَثَقِبُ العَبْدِيُّ (١) :

تَوَاعِدُنِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَاخُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَيَعْرِفَ مِنْكَ غَيًّا مِنْ سَمِينِي (٢)
وَإِلَّا فَاطْرِحْنِي (٣) وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي
فَإِنِّي لَوْ تَعَانِدُنِي شِمَالِي عِنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذَا لَقَطَطْتُمَهَا وَلَقَلَّتْ يَدِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مِنْ يَحْتَوِينِي

وقال آخر :

أَفَأَنْتَ وَتَفَأً لِمَنْ مَوَدَّتُهُ إِنَّ زُلْتَ عَنْهُ سُوءِ بَعَّةٍ زَالَتْ
إِنْ مَالَتِ الرِّيحُ هَكَذَا وَكَذَا مَالَ مَعَ الرِّيحِ حَيْمًا مَالَتْ (٤)

وقال صالح بن عبد القدوس (٥) :

قُلْ لِلذِّي لَسْتُ أُدْرِى مِنْ تَلَوْنِهِ أَنْاصِحْ أُمَّ عَلَى غَشٍّ يُدَاجِينِي

(١) ديوانه ٢٩ .

(٢) في عيون الأخبار ٧٧/٣ حماسة البحرى ٧٩ : فأعرف منك غيًّا من سميني .

(٣) في ديوانه وفي الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركوني ، وفي عيون الأخبار : فاجتنبني .

(٤) انظر البيتين في التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .

(٥) وردت أبيات صالح في حماسة البحرى ٧٩ ، ٨٠ ما عدا الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦

ووردت كلها في تهذيب ابن عساكر ٤٥/٣ مفسوبة للأسماء بن خارجة ، ووردت مفرقة في محاضرات الأدباء ١٤١/١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصديق ١٢١ (٤ أبيات) ، فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إني لأكثرُ مما سُمتي عَجَبًا يد تشجُّ وأخرى منك تأسوني
تغتَابني عند أقوامٍ وتمدحني في آخرين ، وكلُّ عنك يأتيني
هذان أمران شتى البونُ بينهما فاكفف لسانك عن ذمي وتزيني
لو كنتُ أعلمُ منك الودَّ هان إذا عليَّ بعضُ الذي أصبحتَ توليني
لا أسألُ الناسَ عما في ضمائرهم ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني
أرضى عن المرء ما أصفى مودتهُ وليس شيء من البغضاء يُرضيني
والله لو كرهتُ كفى مصاحبتي لقلتُ إذ كرهتُ قرُبي لها بيني
ثم انثيتُ على الأخرى فقلتُ لها : إن تسنديني وإلا مثلها كوني
لا أبتغي وُدَّ من يبغى مقاطعتي ولا أئينُ لمن لا يتبغى ليني
إني كذلك إذا أمرتُ تعرّض لي خشيتُ منه على دنياي أو ديني
خرجتُ منه وَعَرَضِي ما أدّسه ولم أقم غرضًا للنذلِ يرميني
رُبَّ امرئ أجنبيٍّ عن مُلاطفتي مخضِ المودّةِ في البلوى يواسيني
ومُلفٍ بي مدارٍ ذي مكالفة مُغضٍ عليَّ وَغَرٍ في الصدرِ مكنونِ
ليس الصّديقُ الذي تُخشى بواده ولا العمدو على حالٍ بأمونِ
يُلومني الناسُ فيما لو أخبرهم بالعذرِ متى فيه لم يُلوموني

وقال آخر :

لسانك معسولٌ ونفسك شحَّةٌ ودون الثريا من صديقك ما لكأ

وقال آخر :

بنو عبسٍ أشدُّ الناس بغضاً لنا وأشدُّهم بغضاً إلينا

فلا تقبل شهادتنا عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا

قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرفُ الحليمُ إلا عند

الغضب ، ولا الشجاعُ إلا عند الحرب ، ولا الأخُ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بمنزلة النار ؛ قليلها متاع ، وكثيرها بوار ، فلا

تسرّن بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخياراً .

قال أسماء بن خارجة : إذا قدّمت المودةُ سُمجِ الشاء .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عن صا حبيكَ الدهرَ أخوه

فإذا احتجت إليه ساعةً مجك فوه

لو رأى الناس نبيّاً سائلاً ما رحموه^(١)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصره بدل ما رحموه .

وقال سويد بن منجوف :

فأبلغ مُصعباً عنى رسولا وهل تجدُ التصيح بكل وادٍ
تعلّم أن أكثر من تناجي وإن ضحكوا إليك هم الأمادي

وقال آخر :

لعمرك ما وُدّ اللسانِ بنافعٍ إذالم يكن أصلُ المودّة في القلب^(١)

كان يقال : تناس مساوى الإخوان ، يدّم لك ودم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو م بجعله وسط السباح
ومحضناً بيض القطأ تحت الحدّ الرجا الفراح
إن الذين تودّهم هم ناصبو شبك الفخاخ
ذهب الزمان بأهله فانظر لنفسك من تَوَاح^(٢)

وقال عبدة بن الطبيب :

إن الذين تروّفتهم إخوانكم يشفي صداع رؤوسهم أن تُصرعوا

(١) البيت في عيون الأخبار ٧٨/٣ ، البيان والتبيين ٢٢٢/١ ، وفيه : في الصدر بدل القلب .

(٢) وردت أبيات قريبة من هذه في ديوان أبي نواس ١٥٤ هـ :

يا واضحا بيض القطا	تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها	لم تخل من فقر الصاخ
فسد الخلائق كلام	فانظر لنفسك من تَوَاح

فَضَّلْتُ عِدَاؤَهُمْ عَلَى إِخْلَامِهِمْ وَأَبَتْ ضِيَابَ صَدُورِهِمْ مَا تُتْرَعُ
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشُبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعِدَاوَةِ يَرْضَعُ^(١)

قال لقمان لابنه : يا بني ! إياك وصاحبَ السوء ، فإنه كالسيفِ المسلول ، يعمجيك
منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقَّبُ العبدي^(٢) :

وصاحبُ السَّوِّءِ كالدَّاءِ العِمَاءِ إِذَا مَا رَفَضَ فِي الجُوفِ يَجْرِي هَامُنَا وَهَمْنَا^(٣)
يُنْبِي وَيُخْبِرُ عَن عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِن صَالِحٍ دَفَنَّا^(٤)
كَهَرِ سَوِّءٍ إِذَا رَفَعَتْ سِيرَتَهُ رَامَ العِجَامَ وَإِن أَخْفَضَتْهُ حَرَنَّا^(٥)
إِن يَحَى ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمِزْلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَقْرُبْ لَهُ جَنَنَّا^(٦)

ولقمنب بن أم صاحب ، وهو قمنب بن حمزة ، أحد بني عبد الله بن غطفان ،
^(٧) يهجو بني ضبة - حتى من غطفان -^(٧) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِن ذُكِرْتُ بِسَوِّءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢١/٢ ، حماسة البحري ٢٤١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت في أمالي القالي ١٨٢/٢ إلى رافع بن إبراهيم البربعي ، ولسبت في البيان والتبيين ١٣٩/٣ إلى المفتح الكندي .

(٣) ورد هذا البيت في نسخة - على هيئة كلام نثرى - والرواية في الأمالي الغميص بدل العياء .

(٤) في ١ : يفتي بدل ينبي ، وفي الأمالي : يبدي ويظهر . . وما رأى من فعال صالح . . الخ .

(٥) في ١ : راحت مسرته بدل رفعت سيرته ، وفي الأمالي : سكنت بدل رفعت ، ورفعت بدل أخفضته .

(٦) الجن : القبر ، والرواية في الأمالي : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله . . الخ .

(٧) ساقط من ١ وانظر الأبيات التالية في حماسة أبي تمام ١٧٩/٢ ، عيون الأخبار ٨٤/٣ .

فَطَّاءَةٌ فَطَنُوهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ مَرُوعَةٌ أَوْ تُتَّقَى اللَّهُ مَا فَطَنُوا
 إِنْ يَسْمَعُوا سَيْئًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا مِثِّي ، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
 جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُهِنًا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِثْتُ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
 فَلَنْ يَرَاكَ وَوَدَى وَدَهْمٌ أَبَدًا وَكَنتَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِثْلَ الَّذِي زَكَنُوا^(١)

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخا في الله فلا تماره
 ولا تشاره ولا تسلم عنه أحدا ، فرما صادفت له عدوا فأخبرك بما ليس فيه ، خال
 بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وَصِلَهُ مَا اسْتَقَامَ الْوَصْلُ مِنْهُ وَلَا تَسْمَعْ بِهِ قِيْلًا وَقَالَ^(٢)

قال محمود الوراق :

لَسْتُ مِمَّنْ يَمَازِقُ الصَّاحِبَ إِذَا أَظْهَرَ الْجَفَاءَ الصَّرِيحًا
 أَنَا أَنَاهَا مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنْ لَاحَجَّ أَعْرَتُ الْفَوَادِ يَا سَامُرِيحًا
 غَيْرَ أَنِي عَلَى الْقَطِيعَةِ لَا أَظْهَرُ هُجْرًا وَلَا أَقُولُ قَبِيحًا

(١) زكنوا : ظنوا عن يقين ، ويروى : قلبى بدل ودى ، وأمرهم بدل بعضهم ،

(٢) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

بابُ العتاب

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أعقلُ الناسُ أَعذَرُهم لهم .

قال الأحنف : العتابُ مفتاحُ التَّقالي ، والعتابُ قرينُ الحقد .

وعن الأصمعيّ قال : قال أعرابي : طابُ من ترجو رجوعه .

قال بعضُ الحكماء : العتابُ علامةُ الوفاء ، وسلاحُ الأَكفاء ، وحاصدُ الجفاء^(١) .

قال العتّابي : ظاهرُ العتابِ خيرُ من مكنونِ الحقد ، وضربةُ الناصحِ خيرُ من محبةِ الشّاني .

قال بعضُ الحكماء : من كثر حقدُه قلَّ عتابُه .

قال محمدُ بن داود : من لم يعاتب على الزّلة ، فليس بِمُحافظٍ لِلخَلَّةِ .

قال أسماءُ بنُ خارجة : الإكثارُ من العتاب ، داعيةٌ إلى الملل .

قيل لبعضِ الأعراب : من الأديبِ العاقلُ ؟ قال : الفطِنُ المتغافل .

قال بعضُ الأدباء : من أحب أن يسلمَ له صديقه ، فليقبلْ عُذْرَه ، وليقلِّ عتابَه ؛

فإنَّ العتابَ يجرُّ الملل^(٢) .

(١) في ١ : سلاحُ الأَكفاء ، وعاضدُ الجفاء .

(٢) في ٢ : يجرُّ العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرو بن بحر : العتاب رَأْدُ الإِنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرياشي ، وهي لهشام الرقاشي ^(١) :

أبلغ أبا مِسْمَعٍ عني مُغْلَغَلَةً وفي العتاب حياةً بين أقوامٍ ^(٢)
 قدّمت قبلي رجلاً لم يكن لهم في الحق أن يلجوا الأبواب قدّامي ^(٣)
 لو عدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمهم قبراً ، وأبعدهم من منزل الدّام ^(٤)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أحاتبُ من يملؤ بقلبي عتابه وأتركُ من لأشتمى ، لا أحاتبُه

وقال آخر :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لبُّ يعاتبُه ^(٥)

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشي في البيان والتبيين ٣/٣٢٤ ، العقد الفريد ١/٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبد الزمان في معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حساسة أبي تمام ١/٤٧٥ ، واسبت إلى أبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التنثيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . والرواية في العيون : أبا مالك بدل أبا مسمع .

(٣) رواية الحنابلة : قوماً بدل رجلاً . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلفت رواية هذا البيت في المراجع ، فقد وردت كما هنا في البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففي العقد : لوعد قوم وقوم كنت أقربهم قربي . وفي العيون : ... بيت وبيت كنت أقربهم بيتاً ، وفي الحنابلة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتاً ... إلخ .

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المروفة : إذا كنت في كل الأمور معاتباً ، انظره في ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر:

أعابُ من أحببتُ في كلِّ زلَّةٍ ليحتمى الأمرُ الذي معه العتبُ
فإني أرى التأديبَ عند وجوبه بمنزلة العيث الذي قبله الجذبُ^(١)

وقال على بن الجهم:

أعابُ ذا المودة من صديقٍ إذا ما رأيتُ منه اجتنابُ
إذا ذهب العتابُ فليس وُدُّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ^(٢)

وقال آخر:

لولا محبتكم لما عاتبتمكم ولما كنتم عندي كعص الناسِ^(٣)

وقال نصر بن أحمد:

وتعابُ الإخوان فيما بينهم بعث على الإجلالِ والإكرامِ
لولا اعترافي باعترافك في الذي تأتي وتترك ما أتاك ملامِي

وهذا يشبه قول البحتري^(٤):

أباحسن ما كان عتبيك دونهم لو احدة إلا لأنك تفهم

(١) في ١: فإني رأيت العتب ، وانظر البيتين في التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ .

(٢) انظر البيتين في ديوانه ٧ .

(٣) نسب البيت في وفيات الأعيان ٢/٢٣٠ إلى العباس بن الأحنف ولم أعثر عليه في ديوانه .

(٤) ديوانه ٢/١٤٦ .

وقال نصر بن أحمد :

إن كان لفظي كريها فاصطبرْ فعَلَى
لولا العوارض ما طاب العتابُ لنا
إني أعاتب إخواني وهم ثقتي
هي الذنوب إذا ما كُشِّفَت دَرَسَتْ
كُره العلاج يُصحُّ الله أبداناً
لولا قِصَارُ تَنَادٍ للشوب ما زاناً (١)
طوراً وقد تُصَقِّلُ (٢) الأسياف أحياناً
من القلوب وإلا صِرْنَ أضغاناً

وقال ابنُ وكيع :

عتابي أخى في كل ذنب أتى به
ولست أرى وجهاً لترك عتابه
وقال ابن بسام :

نخوفٌ على حال الأخوة في الودِّ
على ما جنى إذ كان خيراً من الحقد

عاتبُ أخاك إذا هَفَا
وإذا أتاك بغيبه
من ناقش الإخوان لم
واعطفُ بودك واستعده
واشٍ فقل لم يعتمده
يُمِدُّ العتابَ ولم يُعِدْهُ

وقال محمد بن أبي حازم :

خلُّ عنك العتابَ إن
خان ذو الودِّ أو هَفَا

(١) قصارة التوب : ضله وتبويضه .

(٢) في ١ : تقتل .

عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصَ لَكَ تُبْدَى لَكَ الْجَفَاءُ^(١)

وقال بشار العقيلي :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تُعَابِئُهُ
فمَن واحدًا أو صل أخاك فإنه مُقَارَف ذنب مرة ومجانبُهُ
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئتَ وأى الناس تصفو مشاربُهُ^(٢)

وقال آخر :

البس الناس ما استطعت على النَّقْصِ وإلَّا لم تستقم لك خُلَّةٌ
عش وحيداً إن كنت لا تقبل العُدَّ رَ وإن كنت لا تجاوز زَلَّهُ^(٣)

وقال آخر :

خذ من صديقك ما صَفَا لَكَ لا تكن جَمَّ المعايِبِ
إن الكثير عتابُهُ أَلْ إخوان ليس لهم بصاحبُ

وقال أحمد بن يوسف^(٤) :

رَأْيُكَ لا تَمِيلُ إلى صوابٍ ولا تَرْضَى الصوابَ من الجوابِ

(١) عيون الأخبار ٣/١١٠ ، العقد الفريد ٣/١٣٤ ، والثاني في فصل المقال ٢٨٤ .

(٢) الأبيات في الديوان ١/٢٠٩ .

(٣) البيتان لأبي العتاهية ، انظر الديوان ٢٣٦ .

(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار السكتاب ، ولي ديوان الرسائل للأماون

ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحا قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد . انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ،
لوزراء والسكتاب ٣٠٤ (الأعلام ١/٢٥٨) .

وتركك ما يريُّبك في كثيرٍ
ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليليّ لو كان الزمانُ مساعديّ
فأما إذا كان الزمانُ معانديّ
وعاتبْتُماني لم يضقْ عنكما صدريّ
فالكما أن تؤذياني مع الدهرِ

وقال آخر :

إن الظنّين من الإخوان يُبرمه
وذو الصفاء إذا مسته معتبةٌ
طولُ العتاب وتغنيه المعاذيرُ
كانت له عظةٌ منها وتذكيرُ

وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نَفْطَوَيْه :

وكم من مُليم لم يُصِبْ بِمَلامَةٍ
وكم من محبّ صد من غيرِ بَغْضَةٍ
ومُتَّبِع بالذنب ليس له ذنبُ
وان لم يكن في ودّ خُلّته عَتَبٌ^(١)

وقال أبو العباس الناشي :

ولست معاتباً خِلاًّ لِأَنِّي
ولو أَنِّي أُوقِفُ لى صَدِيقَتِي
رَأَيْتُ العَتَبَ يُغْرِي بِالْعُقُوقِ
على ذنبٍ بَقِيْتُ بلا صَدِيقِ

(١) انظر البيتين في أمالي القالي ١٦/١ .

وله :

إني ليهجرني الصديقُ تجنيًا فأريه أن لهجره أسبابًا
وأخاف إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابًا^(١)

وقال آخر :

عتبت عليّ ولا ذنبَ لي بما الذنبُ فيه بلا شكّ لك
وحاذرت لومي فيادرتني إلى اللوم من قبل أن أدرك^(٢)
فكنا كما قيل فيما مضى خذ اللص من قبل أن يأخذك^(٣)

(١) البيان في وفيات الأعيان ٣/٥٣ .

(٢) و ١ . وبأدرت بدل حاذرت ، وى العيون : قبل أن أبدرك .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٣/١٠٨ .

بابُ الثَّقَلَاءِ وَالطُّفِيلِيَّيْنِ

سئل جعفر بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً ؟ قال : لا يكون بغيضاً ،
ولكن يكون ثقيلاً .

قال سفيان بن عيينة : قلت لأيوب السخيتاني^(١) : لِمَ^(٢) لَمْ تَكْتُبْ عَنْ
طاووس^(٣) ؟ قال : أتيتُه فوجدته بين ثقلين ؛ عبد الكريم بن أبي المخارق^(٤) ،
وليث بن أبي سليم^(٥) .

(١) هو أيوب بن (أبي تيمية) كيسان السخيتاني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من الساك الرهاد ،
ومن أجل حفاظ الحديث الثقات . توفى سنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٩٧/١ ، اللباب
٥٣٦/١ .

(٢) و ١ : مالك لم تكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان الحولاني ، من كبار التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وقشما والعيش ،
وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، ومولده وشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفى حاجا بالمرادفة
أومى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٨/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٣٣/١ (الأعلام
٣٢٢/٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هابن الكنيتين) قيس ويقال طارق ،
وعبد الكريم معلم بصري ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : ما رأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبد الكريم
أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لقد سأنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .
وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : يجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب
٣٧٦/٦ وما بعدها .

(٥) ابن ريم القرشي ، مولاهم ، روى عن طاووس ومجاهد وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد
ابن حنبل عن أبيه إنه مصطبب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد مثل ليث
ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه وليثه . انظر : تهذيب التهذيب ٨/٤٦٥ وما بعدها .

قال الحسن البصرى ، فى قوله عز وجل : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾^(١) ، قال :
نزلت فى الثقلاء .

وقال السرى^(٢) : ذكر الله تعالى الثقلاء فى القرآن ، فى قوله : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فانتشروا ﴾ .

وقال أبو أسامة^(٣) : كنا عند الأعمش^(٤) ، جاء زائدة بن قدامة^(٥) ، فقال
الأعمش حين رآه :

وما الفيلُ تحمله مَيِّتًا بأثقلَ من بعضِ جُلَّاسِنَا^٦

كان أبو هريرة إذا استنقل رجلا ، قال : اللهم اغفر لنا وله ، وَأَرِحْنَا مِنْهُ .
رواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه ، عن أبى هريرة .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٢) ابن يحيى بن إياس الشيبانى ، أحد رجال الحديث الثقات ، توفى حاجا بمسكة سنة ١٦٧ هـ . تهذيب
التهذيب ٤٦١/٣ .

(٣) الكوفى ، حماد بن سلمة بن ريد القرشى ولاء ، محدث ثقة ، كان أعلم الناس بأمر الناس وأخبار
أهل الكوفة ، توفى سنة ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٣ وما بعدها .

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الملقب بالأعمش ، أبى مشهور ، كان عالما بالقرآن
والحديث والقرائن ، توفى ١٤٨ هـ . انظر ابن سعد ٦/٢٣٨ .

(٥) الثقفى ، أبو الصامت الكوفى ، محدث ثقة ، صدوق من أهل العلم ، مات غازيا فى أرض الروم سنة
١٦٦ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٣٠٠ .

(٦) البيت فى القدر الفريد ٢/٢٩٦ ، عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

[كان حمادُ بن سَلَمَةَ^(١) إذا رأى من يستنقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

وعن حماد بن سامة أيضاً ، أنه قال : الصوم في البستان من الثقل [^(٣)] .

كان يقال . مجالسة الثقل تُحمي الروح .

قيل لأبي عمرو الشيباني : لأي شيء يكون الثقل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقل ؟ فقال : لأن الثقل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفة الهند يقولون : النظرُ إلى الثقل يورث موت الفجأة .

قال ثقل لمريض : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي ألا أراك .

مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يشقل عليك ، لعدتكَ كل يوم . فقال الأعمش : والله إنك على لثقل وأنت في بيتك ، فكيف إذا عدتني ؟

قال معمر^(٤) : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وحك الجرب ،

(١) ابن ديار البصري ، محدث صحيح الدجاج ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله في الفصل والعلم والعلابة و السنة والقمع لأهل البدع ، توفي سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٣/٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) ابن راشد بن أبي عمرو الأزوي ، أبو عروة ، فقيه - فظ . للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوقعة في الثقلاء ، وهي أفضل الثلاث .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، قال : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكل الفديد ، وحك الجرب . وأزيدكم واحدة : الوقعة في الثقلاء ، وأنشد :

ليتي كنت ساعة مَلَكَ المُوْتِ تِ فَأَقْبَى الثَّقَالِ حَتَّى يَبِيدُوا

قال : وسمعت معمرًا يقول : رحم الله عبد الكريم أبا أمية ، إن كان لتقيلا غير ثقة .

قيل لأبي النضر^(١) : لم تكثر عن شعبة^(٢) ؟ قال : كان يستثقلني ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مَشْتَمَلٌ بِالْبَغْضِ لَا تَنْشِينِي إِلَيْهِ طَوْعًا مُقْلَةً الرَّامِقِ

(١) اليمين ولما أراد العودة كره أهل صماء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخي الحديث أول من صاف باليمن ، بوزن سنة ١٥٣ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ (الأعلام ٨/١٩٠) .

(٢) اليميني ، هاشم بن القاسم بن مسام اللبي الحافظ ، سمع من شعبة جميع ما أملى ببغداد ، وهو أرملة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو النضر شيخنا من الأمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١١/١٨/١٩ .

(٣) ابن الحجاج بن الورد العتكي ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودراية وثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفى ، قال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨ (الأعلام ٣/٢٤٢) .

يَظُلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِ سِدًّا أَمَقَلَّ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ (١)

كان الأعمش إذا قام من مجلسه ثقیلاً يتمثل :

إِنْ غَابَ عَنْكَ ثَقِيلٌ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِمَّنْ يَشُوبُ حَدِيثَهُ بِجِرَآءِ
فَهِنَاكَ طَابَ لَكَ الْجَدِيثُ وَإِنَّمَا طَيَّبَ الْحَدِيثَ بِخَفَّةِ الْجَلَسَاءِ (٢)

وقال آخر :

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْدِيًّا نَوَاتِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلٌ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ صَدَيْتُ بِقَرَبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يَفْقَهُونَ مَقَالَتِي وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ (٣)

وقال آخر :

إِذَا جَلَسَ الثَّقِيلُ إِلَيْكَ يَوْمًا أَتَتْكَ عُقُوبَةٌ مِنْ كُلِّ بَابٍ
فَهَلْ لَكَ يَا ثَقِيلٌ إِلَى خِصَالٍ تَنَالُ بَعْضَهَا كَرَمَ الْمَاءِ
إِلَى مَالِي فَتَأْخُذُهُ جَمِيمًا أَحَلَّ لَدَيْكَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ
وَتَلْتَفِ لِحِيَّتِي وَتَدِقُّ أُنْفِي وَمَا فِي فِيٍّ مِنْ ضِرْسٍ وَنَابِ

(١) البيتان في زهر الآداب ١٣٦/٢ ، وفيه : لخطا بدل طوعا .

(٢) في ١ : لحنفة الثقلاء .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفرید ٢٩٩/٢ للشعبي ، وانظرها في عبون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألا أراك ولا تراني مقاطعةً إلى يوم الحساب^(١)

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وييل .

قال عبد الأعلى بن مسهر^(٢) : كان نقش خاتم أبي : « أبرمت فقم » فكان إذا

استثقل جلسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيى :

كان نقش خاتم أبيك . . . فذكر الخبر^(٣) .

سلم ثقيل على إبراهيم بن عبد الله القاري^(٤) صاحب هرون ، فقال له :

يا هذا ! قد - والله - بلغت منى غاية الأذى ، أسلّفتنى سلام شهر
وأرحنى منك .

قال معمر : كنت جالساً مع سماك بن الفضل^(٥) في مجلس بصنعاء ، فدخل

(١) في ١ : بدل الشطرة الأخيرة ورد : على حال لي شيب الغراب .

(٢) النسائي الدهشقي ، من حفاظ الحديث ويعد شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة وأكرمه على القول بحق القرآن ، فامتنع ، فوضعه في النطع وجرّد السيف ولكنّه لم يأبه بهذا وأبى أن يجيب ، فسجنه فكث في السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٦ ، تاريخ بغداد ٧٢/١١ (الأعلام ٤٢/٤) .

(٣) يختلف هذا الخبر في محاضرات الأدباء ١/٣٣٤ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاووس . فلم يعلم الرجل ما عناه . فقال له ثعلب : إن طاووساً نقش على خاتمه : « أبرمت فقم » ، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القاري المدني ، عمه ابن حبان في الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة في تهذيب التهذيب ١٣٤/١ .

(٥) سماك بن الفضل الحولاني اليماني الصنعائي ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الثوري : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٣٥ .

علينا صاحبٌ له ثقيلٌ فلما جلس قال لى سماك : يا معمر اتعال حتى ندعوك على كل
ثقيل بصنعاء .

قال الشاعر :

أنت يا هذا ثقيلٌ وثقيلٌ لى وثقيلٌ
أنت فى المنظر إنسا نٌ وفى الميزان فيل^(١)

وقال ابن أمية^(٢) :

شهدت الرقاشى فى مجلس وكان إلى بغيضاً مقيتاً
قال : اقترح بعض ما تشتهى فقلت : اقترحت عليك السكوتاً

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر على الجلبس السوء ؛ فإنه لا يكاد يخطئك .
قال الهيثم بن عدى : كنت يوماً عند مسعر بن كدام ، فأثار رقبة بن مصقلة
العبدى ، فقال له مسعر : مالك يا ابن مصقلة ؟ قال : صريع فالزوج . قال : وأين ؟ قال :
عند من قضى أبوه فى الجماعة^(٣) ، وحكم فى الفرقة .

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

وقد ورد البيتان بهذه النسبة فى البيان والتبيين ١/٣٧٩ ، ونسباً لك أبى نواس فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ ،
وقد وردا فى ديوانه ٣١٢ .

(٣) ١ : فى الحماقة ، وهو يقصد بهذه العبارة أباً موسى الأشعري ، فقد كان قاضى الكوفة فى عهد على ،
وأتابه فى قضية التحكيم المشهورة بينه وبين معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري^(١) ، فأئتنا بخوان
كجوبة من الأرض ، وأئتنا برقاق كأذان الفيلة ، وجرجير كأذان المعزى ، ثم
أئتنا بساكنة الماء كأن ظهرها ظهر طائر قيراطى ، ثم أئتنا بفالودج عديد ، كأن
الزئبق والجادى^(٢) ينبعان من خلاله ، يرى نقش الدرهم من تحته ، فوضع على رأس
حُب^(٣) فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيلياً .
فقال : يا أبا محمد ! كل من ترى طفيلياً إلا أنهم يتكاثرون ، فوالله ما برحنا حتى
طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقبة : انظروا إلى
هذا وكيف يمشى !؟ لو كان أبوه جدد أنف^(٤) عمرو بن العاص ما زاد على هذا .

(١) الراجع أنه بلال بن عامر بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، أما الاسم الذى أورده له المؤلف :
الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث في بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه
الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فإما أن يكون زيادة من النسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك في
مس الجبر : الحارث ، وإما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسماً آخر هو الوليد ، وإما أن يكون هناك ابن آخر
للحارث أو عامر بن أبي بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبي بردة ، وذلك
لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقبة ومسعر وبلال كانوا متعاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثانى
سنة ١٥٢ هـ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ هـ وهو زمن بعيد لحدوث هذه
العصه نوعاً ، السبب الثانى أن بلال هو الذى تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : السكرم
وخفة العقل أو النرق ، أما الأول فهو بمدوح ذى الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالسكرم سائرة مشهورة
وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولى قضاء الكوفة لم يحمده سيرته ، وكان يقول : لئى ليأينى الخصمان
فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبى فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضياً . وعلى
ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسماً آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من
الجبر سهواً إما من المؤلف أو من النسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : الجرة العظيمة ولعل المعنى أنهم في لذة من أكل الفالودج وعلى يقين من أنهم سيحسرون
بما في الحب من شراب .

(٤) و : ا : جد عمرو بن العاص .

قال له مسعر : أجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره (١) .

وقال حبيب بن أوس (٢) :

يا مَنْ تَبَرَّمتِ الدُّنيا بطلعتِه كما تَبَرَّمتِ الأَجفانُ بالسَّهَدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبُه لبعض طلعتِه يمشى على كبدِ

وقال آخر :

لخرطُ قتادةٍ ولحُلِّ فيلٍ وماء البحرِ يعرفُ في زَيْلِ (٣)
وفكُّ الماضِغينِ وقلعُ ضرسٍ لأهونُ من مجالسةِ الثَّقيلِ

ولأبي الحسن علي بن العباس الرُّومى :

ولى أصدقاؤك كغيرو السَّلامِ علىَّ وما فيهمُ نافعُ
إذا أنا أدلجتُ فى حاجةٍ لها مطلبٌ نازحٌ شاسِعُ
فلِى أبداً معهمُ وقفةٌ وتسليمةٌ وقتها ضائعُ
وفى موقفِ المرءِ عن حاجةٍ يُتممها شاغلٌ قاطعُ
ترى كلَّ غثٍّ كثيرِ الفضولِ ومصحفُهُ مصحفٌ جامعُ

(١) فى ١ : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .

(٢) ديوانه ٥٢ ، معجم الأدباء ٦/٢٦٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفى الديوان مجازاً بدل مختالاً .

(٣) الزيل : الفقة أو الرعاء .

يقول الضميرُ إذا ما بدا : ألا تُبِح الرجلُ الطُّالعُ
يحدُّثني من أحاديثه بما لا يلدُّ به السامِعُ
أحاديث هنَّ مثال الصَّريع فأَكله أبدأ جائعُ
غدوتُ وفي الوقتِ لى فسحةُ فضاقَ بي المنهلُ الواسعُ
تقدّمتُ فاعتاقني أسرهُ إلى أن تقدّمَني التابعُ
وقالت بلقيانُه حاجتي : ألا هكذا النكدُ البارِعُ
أولئك لاجئهم مؤنسُ صديقاً ولا ميسمهم فاجعُ

دق طفيليُّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : من هذا ؟ قتال : أنا الذي كفاكم
مؤونة الرسول .

لطفيلي :

نحن قومٌ إذا دُعينا أجبنا ومتى نُنسَ يدعنا التطفيلُ
فَنَقُلُ : عَلْنَا دُعِينَا فَعَبْنَا أو أَنَا نَأْفَلُمُ يَحْدُنَا الرَّسُولُ^(١)

دخل طفيليُّ دارَ قومٍ بغيرِ إذنٍ ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ
له الطفيليُّ في الجواب ، وقال : والله إن قمتُ لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) البيهقي في عبون الأخبار ٣/٢٣٢ ، العقد الفريد ٦/٢١٢ ، وفيها . متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجك من حيث دخلت . وأخذ يده فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مُطَرِّفُ بن مَازِن ، قاضي اليمن : قال لي الرشيد يوماً : من عبد الرزاقِ ابن همام الصنعاني^(١) ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبتني فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أستمثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتي ، وطول عنق بغلتي . فضحك هرون ، فما خرجتُ من عنده حتى أمر لي بكسوة وحملان .

ولطفيلي^(٢) :

كل يومٍ أدور في عَرَصَةِ الْحَيِّ أَشْمُ الْقَتَارِ شَمَّ الدُّبَابِ^(٣)
فإذا ما رأيت نار عَرُوسٍ أو خِتَانًا أو دعوةً لصحاب^(٤)

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الجبيري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبي : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٣٠٣ (الأعلام ٤/١٢٦) .

(٢) الأبيات التالية في العقد الفريد ٦/٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها في كتاب الطفيل ٣٥ ، ٤٠ .

(٣) في العقد والطفيل ٣٥ : في عرصة الدار ، والقنار : رائحة القندر والشواء .

(٤) في العقد : آثار عرس أو دخاناً .

لم أعرج دون التقمّ لآرّه ب شتاً ووكرزة البواب^(١)
 مستخفاً بمن دخلتُ عليهم غير مُستأذنٍ ولا هيّابِ
 فتراني ألفُ بالرغم منهم كلّ ماقدّموا كلف العُقابِ
 ذاك أهنا من العر م وغيظ البقالِ والقصابِ^(٢)

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذهاب إلى مائدة لم يدع
 إليها ، والمتأمر على ربّ البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتامها في جامع النوادر
 من هذا الكتاب .

(١) في العقد : لا أرمب طعنا ولكزة البواب .
 (٢) ساقط من - .

بَابُ الشَّمَاتَةِ

قال الله عزّ وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ،
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

وقيل لأيوّب عليه السلام : أىّ شىء من بلائك كان أشدّ عليك ؟ قال : شماتة
الأعداء .

قال ابن الكلبي : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساء كندة
وحضرموت ، وخضبن أيديهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ،
فقال شاعر منهم :

أَبْلُغْ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ أَنْ الْبَعَايَا رُؤْمُنَ شَرِّ مَرَامِ
أَظْهَرْنَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ شِمَاتَةً وَخَضَبْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعَنَامِ^(٢)
فَأَقْطَعُ هُدَيْتَ أَكْفَهْنَ بِصَارِمٍ كَالْبَرْقِ أَوْمِضُ فِي مَتُونِ غَمَامِ^(٣)

قال النبي عليه السلام : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعاقبه الله ويبتليك » .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) الغم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : بان معنم أى مخضوب ، والرواية
في عيون الأخبار : بالعلام أى الحناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات في عيون الأخبار ١١٦/٣ ، وبقية فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامله ،
فأخذهن وقطع أيديهن .

من مُنتقى الدعاء : اللهم اجعل رزقي رَغداً ، ولا تشمتُ بيَ أحداً .
ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن
جَهْدِ البلاء ، ومن شماتة الأعداء » .

قال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أيها الشامتُ الميِّرُ بالدهرِ ر أنت المبرأُ الموفورُ
أم لديك العهدَ الوثيق من الأيامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنونَ خَلَدنَ أمَ مَنْ ذَا عليه من أَلَّا يُضَامُ خفيرُ^(٢)

وقال أبو ذؤيب :

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع^(٣)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد
ابن إدريس الشافعي^(٤) بالموت ، أظنه قال في سجوده ، فذكرتُ ذلك للشافعي رحمه
الله^(٤) ، فنمثل :

تمنى رجالٌ أن أموتَ وإن أممتُ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة في معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسة البحرى ١٢٢ ، عيون
الأخبار ١١٥/٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢٢٤/٢ .

(٢) في العيون : أم بدل بل في البيت الثاني ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت في ديوان الهذليين ٣/١ .

(٤) ساقط من ١ .

فُقل للذي يبغي خلافَ الذي مضى تهباً لأخرى مثلها فكانَ قد^(١)
قال محمدٌ : فأت الشافعي رحمه الله ، واشترى أشهب من تركته مملوكاً ، ثم
مات أشهب بعده بنحو من شهر ، أو قال : خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر
يوماً ، واشترت أنا ذلك المملوك من تركه أشهب^(٢) ، والبيتان الذي تمثل بهما
الشافعي لطرفة .

قال مهلهل :

كأن الشامتين بقبر جدِّي على مُلكِ الخورنق والسديرِ
كأن رماحنا فينا وفيهم إذا ما أشرعت أَسْطان ييرِ
وقال العلاء بن قرظَة ، خال الفرزدق :

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حوادثه أناخ بأخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا^(٣)

وقال نصيب :

أتصيرُ مني عند الألى همُّ لنا العدا فقسمتهم بي أم تدومُ على العهدِ^(٤)

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرفة ، انظر ديوانه ٤٥ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه في وفيات الأعيان ١/٢١٦ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق في عيون الأخبار ٣/١١٤ ، ولم أعرّ عليهم في ديوانه ، ونسباً في حماسية
البحرئى ١٤٩ ، ١٥٠ لملك بن عمر الأسدي ، وانظرهما بالنسبة التي هنا في العقد الفريد ٢/٣٢٢ .

(٤) انظره في الشعر والشعراء ١١٤ ، معجم الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عدى بن زيد ، وتثّل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلكنّا وهل بالموت يا للناسِ عارُ

عبد الله بن أبي عيينة :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على العتّى فتهونُ غيرَ شماتةِ الحُسّادِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسرِّ بموتِي إذا أتاه البشيرُ

إن البشيرَ بموتِي — فلا تُسرِّ — نذيرُ

واسمعْ فما أنت ممن تنخفِ عليه الأمورُ

ألّيسَ من كانَ مثلي إلى مصيري يصيرُ

وله :

أيُّها المُظهِرُ الشَّمَا تةٌ إن متُّ قبلَه

عَنْ قَلِيلٍ يصيرُ مثي لي مَنْ كُنْتُ مثله

وله :

يا شامتينَ بمصرعي اليومُ لي ولكم غَدُ

(١) البيت في محاضرات الأدباء ١/١٢٢ .

وله :

يا شامتاً بى إن هلكت لكلِّ حىٍّ مدى ووقتُ
 وللمنـايا وإن تراخت فى السير - يا ذا الشماتِ - بعتُ^(١)
 وأنتَ فى قبضةِ الليالى تخافُ منها الذى أمنتُ
 والكأسُ مَلأى فعن قريبٍ تشربُ منها كما شربتُ

وقال أيضاً :

ما بينَ يومِ المهنياتِ وبينَ يومِ المعزياتِ
 وإن توهمتَه طويلاً إلا كما بينَ ها وهاتِ

ومما يُنسب لابن المبارك - وليست له - وإنما هى للمبارك الطبرى :

لولا شماتةُ أعداءِ ذوى حسدٍ أو اغتنامِ صديقٍ كان يرجونى
 لما طلبت من الدنيا مراتبها ولا بذلت لها عرضى ولادينى^(٢)

وقال آخر :

فن يكُ عنى سائلاً لشماتةٍ بما نالتى أو شامتاً غيرَ سائلٍ

(١) فى ١ : الدهر بدل السير .

(٢) وردت الأبيات فى العقد الفريد ١٩/٣ بدون نسبة .

فقد أبرزت مني الخطوبُ ابنَ حُرّةٍ صبورًا على ضراءِ تلك الزلازلِ
 إذا سرّ لم يفرحْ وليس لِنكبةٍ إذا نزلت بالخاشع المتضائلِ
 لأعرابيٍّ وقد أُغِيرَ على إبله :
 لا — والذي أنا عبدٌ في عبادته — لولا شماتةُ أعداءِ ذوى إحَنِ
 ما سرّني أن إبلى في مَبَارِكِهَا وأن شيتًا قضاءً الله لم يكن^(١)

(١) البيتان في عيون الأخبار ٣/١١٤ ، المقدم الفرید ٣/٤٢٩ ، الصداقة والصدیق ٩٤ ، البيان والتبيين ٣/٢١٤ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدنى أو الشماتة في قوم ذوى إحن

باب مؤاخاة من ليس على دينك

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « المرءُ على دين خليله ، فليُنظر امرؤ من يخالل . وهذا معناه - والله أعلم - « أن المرء ^(١) يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحبَ إلا من يرى منه ما يحلّ ويجمّل ، فإن الخير عادة . وفي معنى ^(١) هذا الحديث قولُ عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكلُّ قرين بالمقارنِ مُقتدي
وقول أبي العتاهية :

من ذا الذي يخفى عليّ
ك إذا نظرت إلى خدينه

وهذا كثيرٌ جدا ، والمعنى في ذلك : ألا يخالط ^(٢) الإنسانُ من يحمله على غير ما يُحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يؤمنُ منه ذلك فلا حرج في صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لي فرعونُ خيراً لرددت عليه مقاله .

قال الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ ^(٣)

(١) ساقط من - .

(٢) في ١ : أن يخالط .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١) وجاء في التفسير: أحسن منها لأهل الإسلام، أو ردها لأهل الذمة (١).

وقيل لسعيد بن جبير: المجوسى يولبنى خيراً فأشكره؟ قال: نعم. قيل: فإن سلم على أفرد عليه؟ قال: نعم.

وأما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال في أهل الذمة: «لا تبدؤهم بالسلام، وإذا لقيتهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقة» فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله. روى بشير بن عمر الزهرانى، عن مالك، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلهم. قال بسير: فقلت: أترى أن يُبدؤوا بالسلام؟ قال: معاذ الله! أما سمعت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٢).

وقال مالك: أكره مؤاكلة أهل الذمة، لأن المؤاكلة تُوجب المودة.

وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، أنهم كانوا يبدؤون بالسلام كل من لقوه (٣) من مسلم أو ذمى. فالعنى في ذلك، والله أعلم، أنه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المار القاعد الذمى، والراكب المسلم الذمى الماشى، كما يجب ذلك بالسنة على من كان على دينه، فإن فعل فلا حرج عليه. فكأنه قال

(١) ساقط من - .

(٢) سورة المتخنة، الآية ١ .

(٣) في - : يلقوه .

صلى الله عليه وسلم : « ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام » بدليل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمامة الباهلي^(١) يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، وأمان لأهل ذمتنا ، واسم من أسماء الله نفسيه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمامة السُّنَّة ، لو صححت في ذلك . بل المعنى على تأويلنا^(٢) - والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوهها .

ذكر ابن أبي شبيب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، وشرحيل بن مسلم ، عن أبي أمامة ، أنه كان لا يمرُّ بمسلم ولا يهودي ولا بنصراني إلا بدأه بالسلام .

وروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء ، وفضالة بن عبيد^(٣) ، أنهم^(٤) كانوا يبدؤون أهل الذمة بالسلام .

وقال ابن مسعود : إنَّ من التواضع أن تبدأ بالسلام كلَّ من لقيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السلام عليك .

(١) هو مسرى بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، صحابي جليل ، كان مع علي رضي الله عنه في صهيون سكن الشام ووث بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤/٤٤٠ ، (الأعلام ٣/٢٩١)

(٢) و١ : على ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافع بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي من الدين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك في فتح الشام ومصر ، ثم ولاء معاوية قضاء الشام ، وتوفى بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩ ، تهذيب التهذيب ٨/٢٦٧ .

(٤) ساقط من ج .

وسئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصراني ، فقال :
 أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا
 لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١) .

وقيل لمحمد بن كعب القرظي : إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة
 بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى
 بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ
 وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ (٢) .

ومن حجة من ذهب إلى هذا قوله عز وجل : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
 لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (٣) الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه
 عمر بن عبد العزيز في ذلك .

وَرَوَى ابن المبارك عن شريك عن أبي إسحاق ، قال : كان يقال : من الحمق (١)
 أن تؤا كل غير أهل دينك .

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة المتحنة ، الآية ٨ .

(٤) في ١ : الجفاء .

قال أبو الطمجان الأَسَدِيُّ^(١) :

كأن لم يكن بالقصرِ قصرٍ مُقاتلٍ وزورةَ ظلُّ ناعمٌ وصديقُ
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاحُ قلبي نحوهم وَيَتَوَقُّ

ولبعضهم في مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأَقِشِر الأَسَدِي :

شهدتُ عليك بطيب المُشاشِ^(٢) وأنتك حُرٌّ جَوَادٌ خِضَمٌ
وأنتك سيّد أهلِ الجحيمِ إذا ما تردّيت فيمن ظلمَ
كفاني المجوسِيُّ مهرَ الرَّبَابِ فدنى للمجوسى خالٌ وَعَمٌ^(٣)

روى إسماعيلُ بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبي أُوَيْسَ^(٤) ، يقول : سُئِلَ مالك ، أترى بأساً إذا أهدى اليهودى أو النصرانى للمسلم أن يكافئه ، فقال : معاذَ الله ! وما للمسلم أن يقبلَ هديته حتى يكافئه .

وقال آخر :

وجدنا في اليهودِ رجالَ صِدْقٍ على ما كان من دينِ يريبُ

(١) ورد البيتان بهذه النسبة في الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ ، وورد في الكامل ٢٦/١ ضمن خمسة أبيات منسوبة لطنخيم بن أبي الطمخاء الأَسَدِي ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد بن مناة ابن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد المبادي ، وكذلك وردت بهذه النسبة في المؤلف ١٥٠ ، وقد وفق الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمجان هي كنية طنخيم ، انظر هامش الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ٢٩٦/٢ ، الحيوان ١٥٩/٥ .

(٤) ابن أبي أُوَيْسَ : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أُوَيْسَ بن مالك الأصبجى ، أبو عبد الله

خيلان اکتسبتُهما وإني لخُلَّةٌ ماجدٍ أبداً كسوبٌ^(١).

للمري الشاعر، وهو القاسم بن يحيى، من ولد أبي مريم السلمي صاحب النبي عليه السلام، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العبادي عند إسلام الوليد ابن أخيه، وكان إسحاق هذا كاتب أبي الجيش بن طولون صاحب مصر^(٢):

تَمَزَّ فَإِنَّ الْحَرَّ لَا بَدَّ يُخَلِّقُ	وَكُلُّ أَمْرٍ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ يُخَلِّقُ
وَمَا فُرَجُ الْأَيَّامِ إِلَّا مَوَاهِبٌ	فَمَنْ بَيْنَ مَحْرُومٍ وَآخِرَ رِزْقٍ
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ يُنَزَّهُ نَفْسَهُ	قَتَى كَادَ فِي بَحْرِ مِنَ الْهَمِّ يَنْفِرُقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي رَدِّ مَا فَاتَ حِيلَةً	فَإِنْ الْفَتَى بِالصَّبْرِ أَحْرَى وَأَخْلَقُ
أَتَانِي غَمٌّ مِنْ سُرُورٍ سَمِعْتُهُ	فَلَا أَنَا مَأْسُورٌ وَلَا أَنَا مُطْلَقُ
سَرَرْتُ بِإِسْلَامِ الْوَلِيدِ دِيَانَةً	وَأَقْلَقْنِي عَسَلِي بِأَنَّكَ مُتْلَقُ
فَقَلْبِي بِهِ شَطْرَانِ جَذْلَانُ وَاحِدٌ	وَآخِرُ مَحْزُونٌ مِنْ أَجْلِكَ مَحْرَقُ
أَنَارَ لَكُمْ فِينَا وَأَشْرَقَ كَوْكَبٌ	لَنَا مِثْلُهُ فَيْكُمْ يَنْيرُ وَيَشْرُقُ
فَكَمْ رَاعِنًا مِنْ مُسْلِمٍ مَتَنَصِّرٍ	فَهَذَا بِهِذَا وَالسَّعِيدُ ^(٣) الْمَوْفِقُ

= ابن أبي أويس، ابن أخت الإمام مالك ونسيبه، محدث روى عنه الشيخان، توفي سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١١/١ وما بعدها.
(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في الحيوان ١٥٧/٥ منسوبة لأبي صالح مسعود بن قند الفزاري وبعد البيت الأول:

لعمرك إني وإبني غريضي لئيل الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من ح.

(٣) في ١: والمعيد.

(١) لزيبيا النصراني - وكان يثشيع :-

عدىٌ وتيم لا أحاول ذكركم
وما تعتريني في عليٍّ ورهطه
يقولون ما بال نصارى تحبهم
فقلت لهم : إني لأحسب حُبهم
بسوءٍ ولكني محبٌ لهاشم-
إذا ذكروا في الله لومة لأئم-
وأهلُ النهى من أعربٍ وأعاجم-
سرى في قلوب الخلق حتى البهايم (٢)

وله أيضاً :

عليٌّ أميرُ المؤمنين خليفةٌ
فلو كنت أبغى ملة غير ملتي
وما لسواه في الخلافة مطمعُ
لما كنتُ إلا مسلماً أنشيعُ (١)

(١) ساقط من ج .

(٢) وردت الأبيات في المحاسن والمساوي . ٥٠/١ منسوبة (نوصلي النصراني ، وفيها : عدى وتيم ،
هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا في كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت في نفع الطبيب
منسوبة إلى زيبيا بنت إسحاق النصراني .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبرُّ يا رسول الله ؟ قال : « أمك »
قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبك ثم أدناك »
ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة
لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسن الجوار ، عمارةُ الديار وزيادة
في الأعمار » .

وقال الحسن : البرُّ أن تطيِّبهما في كلِّ ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ،
والمعقوق هجرانُهما ، وأن تحرمَهما خيرك .

قال عروة في قوله تعالى : ﴿ واخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (١) . هو آلا
يعنَّهما من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبي خُبَيْب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حق الأب ،
ولكلِّ حق .

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

رأى ابنُ عمر رجلاً يطوفُ بالبيتِ حاملاً أمَّهُ ، وهو يقولُ لها : أترينى جزيتُك يا أمَّهُ ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلقةٌ واحدة ، أو قال : ولا زَفرةٌ واحدة .

وروى في الخبر المرفوع : « ما برَّ أباه من سدّد النظرَ إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصل إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوُدُّ يُتَوَارَثُ ، والبُغْضُ يُتَوَارَثُ » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئن نورَ العبد : أن يقطع ودَّ أهلِ بيته ، ويبدل سنّةَ صالحه ، ويرى بصره في الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلُ الجنةَ عاقٌّ ، ولا منانٌ ، ولا مُدْمِنٌ خمرٌ ، ولا مدمنٌ سِخِرٌ ، ولا قَتَاتٌ ^(١) » .

للرَّبِيعِ بْنِ صَبَّعٍ ^(٢) :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِيَّ بَنِي رُبَيْعٍ فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاءُ

(١) القنات : التام ، أو هو الذى يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نعمها أم لم ينمها .

(٢) ابن وهب بن بغيض الفزارى النديانى ، شاعر جاهلى معبر من الفرسان ، كان أحكم العرب وزمانه ، ومن أثرهم وأنظمتهم ، وأدرك الإسلام وقد كبر وخرف ، فقيل : أسلم ، وقيل : منعه قومه من الإسلام ، انظر خزائن البغدادي ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته في : حراسة البحترى ٣٢٢ ، العقد الفريد ٣/٥٥ ، النوادر ٢١٥ .

بِأَنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَرَقَّ جِلْدِي^(١) فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النَّسَاءُ
 إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفَأُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْرُمُ مَعَهُ الشِّتَاءُ^(٢)
 وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ مُرٍّ^(٣) فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِداءُ
 إِذَا بَلَغَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا^(٤) فَقَدْ ذَهَبَ الْبِشَاشَةُ وَالْفَتَاءُ

وسئل ابن عباس ، عن رجل قتل امرأته^(٥) ما توبُّته ؟ قال : إن كان له أبوان
 فليبرهما ماداما حيَّين ، فلعل الله أن يتجاوز عنه .^(٦) وقد جاء عنه مثل ذلك في المرأة التي
 تعلمت السحر ثم جاءت تطلب التوبة^(٦)

قال مكحول^(٧) : برُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر .

قال محمد بن المنكدر : بتُّ أغمزُ رجل أُمِّي ، وبت عمي يصلي ليلته ، فماتسرنى^(٨)
 ليلته بليتي .

(١) في حماسة البحرى : وذق عظمى .

(٢) وفيها أيضا : يهدمه .

(٣) في ١ : إذا ما تذهبوا في كل فن .

(٤) في العقد الفريد : سبعين عاما ، وفي ج : ستين .

(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الدية لا التفصا .

(٦) ساقط من ج .

(٧) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الهذلي ولاء ، فقيه الشام في عصره ، أصله من فارس ،
 وصار مربى لامرأة في مصر من هذيل فنسب لآبها ، ثم أعتق وتفرقه ورحل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة
 واستقر في دمشق ، قال الزهري : لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا . انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٩ ،

(٨) في ج : فما سررتني .

قال الشاعر في ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيه
ولو ميتً بانَتْ للعدوِّ مقاتلُهُ
إذا مارآنى مقبلاً غضَّ طرفُهُ
كأنَّ شمعاعَ الشمسِ دونى يقابله^(١)

ومثله :

إذا أبصرتنى أعرضت عني
ولعبد الله بن بكر السهمى^(٣) :
كأنَّ الشمسَ من قبلى تدور^(٢)

خاللٌ خليلٌ أخيك وارع إخاءهُ
وإعلمُ بأنَّ أخا أخيك أخوكا
وبنيك هم بني بنيك فكن لهم
براً فإنَّ بني بنيك بنوكا
والطفُّ بجدك رحمةٌ وتعطفاً
واعلم بأنَّ أبا أهلك أبوكا

روى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةً سليمان بن داود عن الهدهد لبره
كان بأته .

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طيء ، اختلف في اسمه ، في المؤلفات ١٥٢ أنه عنده بن كبرة الطائي ، وفي حساسة
أبي تمام ٨٠/١ أنه عنده بن الأحرش المعنى الطائي ، وفي حماسة البحري ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكبرة الطائي ،
وانظر البيت في الحيوان ٣/١١٣ ، عيون الأخبار ٣/١١٠ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى الباهلي ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سميد بن
سام الباهلي ، وعرض عليه سوار قضاء الأبله فأبى ، ولم يزل في بغداد حتى توفي سنة ٨٨ هـ . انظر تهذيب
التهذيب ٥/١٦٢ .

رأى أبو هريرة رجلاً يمشى خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبى . قال :
لا تدعُه باسمه ولا تجلسُ قَبْلَه ، ولا تمشُ أمامه .

مكتوب في كتب الله عز وجل : لا تقطع ما كان أبوك يصلُّه فيطفأ نورك

قال كعب : مكتوب في التوراة ، اتق ربك ، وبرِّ والديك ، وصلِّ رحمتك ، يمدك
لك في عمرك ، وييسر لك يسرك ، ويصرف عنك عسرك .

والآثار في بر الوالدين كثيرة جداً ، وقد نص^(١) الله في كتابه من خفض
الجناح لهما ، والخص على برهما ما يكفي .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الوالد الصالح من ریحان الجنة » .

ونظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فقال : « إنكم لتجبنون
وتبخلون ، وإنكم لمن ریحان الجنة » .

دخل عمرو بن العاص على معاوية ، وعنده بنت له^(٢) ، فقال : ابعدا عنك
يا أمير المؤمنين ، فوالله ما علمت إلا أنهن يلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ،
ويورثن الضنائن . قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فوالله ما مرض المرضى ،

(١) في ١ : ذكر .

(٢) في عيون الأخبار ٩٩/٣ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه
تفاحة القلب . فقال : ابعدا ... الخ .

ولا ندب الموتى ، ولا اعول على الأحران^(١) مثلهن ، ولربّ ابنِ أختٍ قد
نفع خاله .

قال محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنة ، والله عز وجل يحاسب
على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بناتي وسَيَّاتي لذبتُ شوقاً إلى الماتِ
لأننى فى جوارِ قومٍ نفصنى قربهم حَيَّاتى^(٢)

وله أيضاً :

أحبُّ البناتِ ، فحبُّ البنا تِ فرضُ على كلِّ نفسٍ كريمه
لأنَّ شُعبياً لأجل البنا تِ أخذمه اللهُ موسى كليمه

وقال آخر^(٣) :

لقد زاد الحياة إلى حبِّا بناتى إنهن من الضعافِ

(١) فى ١ : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٩/١٨٧ ، وفيه : بغضنى بدل نفصنى ، وفى ١ : اطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٢٥٨ لى عيسى بن فالك أو عانك الخطمى ، وفى الكامل أوردتهما ضمن
خسة أبيات ، وقال : لأنها لأبى خالد القناني الخارجى ، وقد أرسل لايه قطرى بن العجاءة يعتب عليه فموده عن
الخروج معهم فكتب لايه بها . الكامل ٢/١٠٧ ، ١٠٨ ، وانظر عيون الأخبار ٣/٩٤ .

مخافة أن ين البرؤس بعدى وأن يشربن رنقاً بعد صافٍ^(١)

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحانى :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ
هن للنسل والأنس وهن الشجراتُ
وبإحسانٍ إليهنّ تكون البركاتُ
إنما الأهلون أرضون لنا محترثاتُ
فعلينا الزرعُ فيها وعلى الله النباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابى^(٢) زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزّ عليه ، واجتنبها
وصار فى بيت ضررتها إلى جنبها فأحست به يوماً فى بيت صاحبته^(٣) ، فجعلت
ترقصُ ابنتها الطفلة^(٣) وتقول :

مالِ أبى حمزة لا يأتينا يظلُّ فى البيت الذى يلينا
غضباناً ألا نلد البنينا^(٢) تا لله ما ذلك فى أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا يلبث ما قد زرعه فىنا
وإنما نأخذ ما أعطينا^(٣)

(١) فى الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفى ج : مخافة أن ترى البرؤس عليهم ، والرنق : الكدر .

(٢) سماء فى البيان أبا حمزة الضبى ، وانظر الرجز فى البيان والتبيين ١/١٩٥ ، العقد الفريد ٣/٣٤٢ ، ٤٨٢ ، مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

(٣) ساقط من أ .

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوب لم أكن يرُوعني ذكرُ الحنوطِ والسكَّفنِ^(١)

وقال آخر^(٢) :

لولا أُميمةٌ لم أجزع من المَدمِ ولم أَجُبْ في الليالي حنْدِسَ الظلمِ^(٣)
 وزادني رغبةً في العيش معرفتي ذلِ اليتيمةِ يَحْفُوها ذُوو الرِّحمِ
 أحاذرُ الفقرَ أن يُلمِمَ بساحتها فيَهتِكَ الستَرَ من لحمِ على وضمِ^(٤)
 أخشى إضاعة عِمٍ أو جفاء أخٍ وكنتُ أحنُّ عليها من أذى السكلمِ^(٥)
 ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تودعني والدمعُ يجري على الخدين ذا مَسْجَمِ
 لا تبرحن فإن متنا فإن لنا رباً تكفل بالأرزاق والتسَمِ
 تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموتُ أكرم نزال على الحُرَمِ

(١) في ١ : ما رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهراني ، الحماسة لأبي تمام ١٠٧/١ ، عيون الأخبار ٩٣/٣ ، زهر الآداب ١٧٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٥٧/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٢٣/٥ .

(٣) في الحماسة : ولم أقاس ، وحنديس الظلمة شدتها .

(٤) الرضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هتك الستر عن الأهم :

النل والضباع .

(٥) في ١ : ففاظلة عم ، وفي الحماسة أبقى بدل أخني .

وقال آخر (١) :

أحب بَنِيَّ وَوَدِدْتُ أَنِّي سترتُ^(٢) بَنِيَّ فِي قَعْرِ أَحَدِ
وما إنْ ذاك من بُغْضٍ وَلَكِنْ^(٣) مخافة أن تذوق البؤس بعدى

رأى ابنُ عباس رجلاً ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنَّه لو عاش فتنك ، ولو
مات أحزنك .

قال محمد بن علي بن حسن لابنه جعفر : يا بنيّ ! إن الله رضىني لك وحدّرتني منك ،
ولم يرضك لي فأوصاك بي ، يا بنيّ ! إن خيرَ الأبناء من لم يدعهُ البر إلى الإفراط ، ولم
يدعهُ التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولدُ ريجانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو
عدوك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين !
أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليّة ، وبهم
نصولُ عند كل جليّة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودمهم ،

(١) انظر البيهقي في عيون الأخبار ٩٣/٣ ، وقال : أنشدتهما ابن الأعرابي .

(٢) في العيون : دفنت .

(٣) في ١ ، وفي العيون : وما بي أن تهون علي لسكرتي .

ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم قفلا^(١) فيتمنوا موتك ويكرهوا قربك ويعملوا حياتك . فقال له معاوية : لله أنت ! لقد دخلت على وإني لملوء غيظا على يزيد ولقد أصلحت من قلبي له^(٢) ما كان فسد^(٣) . فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية^(٤) إلى يزيد بمائتي ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها .

قال علي بن أبي طالب : ينبغي لأحدكم أن يتخير أولده إذا ولد الاسم الحسن .

وفي الخبر المرفوع : من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يُشبهه^(١) ولده .

قال عمر بن الخطاب : عجلوا بكني أولادكم لا تُسرع إليهم الألقاب الشوء .

قال أبو جعفر محمد بن علي : بادروا بالكني قبل الألقاب . قال : وإنا لنكني أولادنا في الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم .

قال قتادة : رب جارية خير من غلام ،^(٢) ورُب غلام^(٣) قد هلك أهله على يديه .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيرا من أدب حسن » .

(١) في ١ : قفلا .

(٢) ساقط من > .

(٣) ساقطة من > .

(٤) ج : يشهد .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاث بناتٍ ، أو ثلاث أخوات أو ابنتين أو أختين كُنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوجهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلنت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

« وكما لا يصبح الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج . »

كان عقيل بن علفة^(٢) غيوراً ، فحمل يوماً ابنةً له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعُبدانٌ وذوُدٌ عشرُ

أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبك لبنتك ؟ قال : إني لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويتقربن البعداء ، وهن عددٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علموا أولادكم العوم والفروسيّة ،

(١) ساقط من ١ .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعي ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف في قومه ، ترغب فريش في مصاهرته ، ولكنه كان ذا خبلاء وخطرسه ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد ، توفي نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغاني ١١/٨٩-٨٩ (الأعلام ٤٠/٥) وانظر الأبيات في زهر الآداب ١٧٤/٢ .

ورودهم ما سار^(١) من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجاج لمعلم ولده : علم وُلدي السباحة قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرٌ ما ورث الرجالُ بنبيهم أدبٌ صالحٌ وحسنُ الثناء
ذاك خيرٌ من الدنانيرِ والأو راقٍ في يومِ شدةٍ أو رخاءِ

وهي أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف في قائلها في باب التعليم في الصغر ، من كتاب العلم . وفي ذلك الباب كثير من معاني هذا الباب ، والله الموفق للصواب .

قال أعرابي ، وهو حِطَّانُ بنُ المَعْلَى^(٢) :

أبكاني الدهرُ وياربما أضحكني الدهرُ بما يُرضي

(١) في ١ : وزودوهم ما صار من المثل .

(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(٣) شاعر إسلامي ، قامت شهرته على هذه القصيدة التي نوردتها ، انظرها في الحماسة ١/١٨٩ ، ووردت

بعض مخالفة في أمالي القالي ٢/١٨٩ ، المقدم الفريد ٢/٤٣٨ .

أنزلني الدهرُ على حكمه من شاق عالٍ إلى خفضٍ^(١)
 وابتزني الدهرُ ثياب الغنى فليس لي ثوبٌ سوى عرضي^(٢)
 لولا بُنياتٌ كزُعبِ القَطَا ينهَضن^(٣) من بعضٍ إلى بعضٍ
 إن هبَّت الریحُ على بعضهم لم تطعممُ العينُ من الغمضِ^(٤)
 لكان لي مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذاتِ الطولِ والعرضِ
 وإنمّا أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرضِ

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أبيضٌ من آل أبي عتيقٍ مباركٌ من ولد الصّدِّيقِ
 ألذُّ كما ألذُّ ريقِ^(٥)

قالوا : من كان له صبيٌّ فليستصب له .

كانت أعرابية ترقص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أحبه حبَّ شحيج ماله قد ذاق طعام الفقير ثم ناله

(١) في العيون : من مرقب عال ، وفي الحماسة : من شامخ .

(٢) رواية الحماسة : غالى الدهر بوفر الغنى ، وفيها وفي العيون : فليس لي مال بدل ثوب .

(٣) في الأملی : أجمن بدل ينهضن ، وفي العيون والحماسة : حططن .

(٤) في العيون : لامتنعت عيني . الخ .

(٥) انظره في عيون الأخبار ٤٣٩/٢ ، ٩٥/٣ ، العقد الفريد ٤٩/٣ .

إذا أراد بذله بدالة^(١)

قال محمد بن يحيى النديم^(٢): أول شعر قاله علي بن الجهم وهو غلام في المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يجلسه يوم الخميس عنده في المكتب حتى يحفظ حزه، فجلسه فكتب إلى أمه:

أُمِّي جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ أُمَّ أَشْكُو إِلَيْكَ فِظَاظَةَ الْجَهْمِ
 قَدْ سَرَّحَ الصَّبِيانُ كُلَّهُمْ وَحُدِسْتُ بِالْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ

قال الزيادي: كنت رجلاً مثنائياً، فقبل لي: أكثر من الاستغفار وقت الجماع،

واستغفر الله عند الجماع، ففعلت فولد لي بضعة عشر ولدًا ذكرًا.

قال الشاعر:

وما كل مثناتٍ سيشقى بيئته^(٣) وما كل مذكارٍ بنوه سُورُ

ومن هذا المعنى ذكر في باب النساء.

(١) الرجز في أمالي القائل ٢/٢٩٣، عيون الأخبار ٢/٤٣٩. العهد الفريد ٣/٤٧٢.

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، كان يلقب بالنديم لأنه نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس هم: الرازي والمكتفي والقادر، وكان يلقب أيضا بالشرنجي لذك كان من أحسن الناس لتمامه وبراعة، توفي بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧. وانظر هذا الخبر والبيتين في الأغاني في ترجمة علي بن الجهم، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلا.

(٣) في ١: استشقى بيئته.

قال أبو الملاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي^(١) : ما سمعت بكار بن قتيبة
القاضي^(٢) قط ينشد بيت شعر إلا مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه^(٣) ،
فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ،
فقال :

تَعَاظَيْتُمَا ثَوْبَ الْعُقُوقِ كَلَاكِمَا أَبُ غَيْرِ بَرِّ وَابْنِ غَيْرِ وَاصِلِ^(٤)

كان لعبد الملك بن مروان بيت مال كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه ،
لا يدخله شيء من الغلول ، يعدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتي يطلب أولادهن ،
وكان يقول : إن الغلول يبقى في الولد .

قال أعرابي لأبيه ،^(٥) وهو عمر بن ذر الهمداني^(٥) يعاتبه : يا أبت إن عظيم
حقك علي لا يذهب صغير حقّ عليك ، والذي تمتّ به إلى أمت بمثله إليك ، ولست
أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل الاعتداء .

(١) ساقط من ج ، وأبو الملاء محدث ثقة ثبت ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٤ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظل
بها إلى أن توفي سنة ٣٠٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٩/٢١٠ .

(٢) ابن أسد الكوفي ، قاض فقيه محدث ، ولي قضاء مصر للمتوكل العباسي سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر
لأحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية المهدي فأبى ، فسجنه ، فأقام في السجن يقصده الناس ويروون
عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ١/٦١ ، (الأعلام وهاشمه ٢/٣٤) .

(٣) في ج : وأمه .

(٤) في ج : فاضل .

(٥) ساقط من ا ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ، من رجال الحديث ، ومن
أهل الكوفة ، كان رأسا في القول بالإرجاء ، فاختلّفوا في صحة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٧/٤٤٤ .

قيل لأعرابي ، وكان له ابن عاقّ : كيف ابْنُكَ ؟ قال : عذابٌ أزعفٌ ^(١) علىّ
به الدهر ، فليتني قد أودعته القبر ، فإنه بلاءٌ لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم
عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي أعرابي ، فسأله جعفر
عن بنيه ، فقال ^(٢) :

إِن بَنِيَّ خَيْرُهُمْ كَالْكَلْبِ أْبْرُهُمْ أَوْلَعُهُمْ بِسَبِيٍّ ^(٣)
لَمْ يَغْنِ عَنْهُمْ أَدَبِي وَضَرْبِي فليتني كنتُ عقيمَ الصلْبِ ^(٤)

ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بِنَفْسِي أَنْتِ لَا بِأَبِي فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجُودَ بِالْآبَاءِ لَوْ مَا ^(٥)

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابن العاقّ .

(١) أزعف عليه : أجهر .

(٢) انظر الرجز في أمالي القالي ١٩٨/٢ ، الأدباء ١٥٨/١ ، المحاسن والمساوي ١٩٠/٢ .

(٣) في ١ : كلهم بدل خيرهم ، وفي الأمالي : أولام ، بدل أولعهم ، وفي المحاسن : ألهم بدل أبرهم .

(٤) في الأمالي : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هي : ولا إتساعى لهم ورجبى ،
ورد بعد ذلك هو :

فليتني مت بغير عقب أوليتني كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت في محاضرات الأدباء ١٩٣/١ .

قال أمية بن أبي الصلت ، وهو قد عتب على ابنه (١) :

عَذَوْتُكَ مَوْلودًا وَعَمَلْتُكَ يافعا تَمَلُّ بِمَا أَسْعَى عَلَيْكَ وَمُنْهَلٌ (٢)
 إِذَا لَيْلَةٌ جَاءَتْكَ بِالشُّكْرِ لَمْ أَكُنْ بِشُكْرِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ (٣)
 كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طَرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمَلُ (٤)
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ وَقْتُ مُؤْجَلٌ (٥)
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ قَبْلُ أَوْمَلُ (٦)
 جَعَلْتَ جِزَائِي غَلْظَةً وَقِظَاظَةً (٧) كَأَنَّكَ أَنْتَ المَنْعَمُ المَتَفَضَّلُ
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوَّتِي كَمَا يَفْعَلُ الجَارُ الجَاوِرُ تَفْعَلُ (٨)

ورضى أبو الشَّغْبِ العَبْسِيُّ عن ابنه فقال (٩) :

- (١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٨٧/٣ منسوبة إلى يحيى بن سعيد ، والصحيح أنها لأمية ، انظر ديوانه ١٠٢ ، وانظر حماسة أبي تمام ٣١٩/١ ، ٣٢٠ .
- (٢) في العيون : متتك بدل علتك ، وأجنى بدل أسعى ، وفي الحماسة : أدنى إليك .
- (٣) رواية الحماسة : إذا ليلة نابتك ... لم أبت ، وفي العيون : نالتك .
- (٤) في العيون والحماسة : وعيني بدل فعيناي .
- (٥) لم يرد هذا البيت في العيون ، ورواية الحماسة : حم بدل وقت .
- (٦) في العيون : فلما بلغت الوقت في العدة التي .
- (٧) العيون والحماسة : جعلت جزائي منك جيبها وغلظة .
- (٨) في العيون والحماسة : فعات كما الجار ... الخ .
- (٩) الأبيات التي تلي في حماسة أبي تمام ١٠١/١ ، ١٠٢ ، أمالي القالي ٣/٢ ، الكامل للبرد ١٠١/١ ، والبيتان ٢ ، ٣ في عيون الأخبار ٥/٣ ، وذكر فيه : أنها في مدح الإخوان وليس الأبناء ، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان لإخوان الرجال ... الخ ، ولا يتفق هذا مع أي من المراجع الأخرى ، وقد نس في الكامل على أنها من أب في ابنه ، قال : قال أبو العباس : أنشدني التوزي لأبي رباط يقول لابنه ... الخ .

رأيتُ رباطاً حينَ تمَّ شبابهُ وولىَ شبابي لیس فی برّه عتبُ
 إذا كان أولادُ الرجال حَزَازَةً^(١) فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ
 لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانبٌ إذا رماه الأعداء ممتنعٌ صمبٌ^(٢)
 يخبرني عما سألتُ بهيئِ من القول لاجافي الكلام ولا لُغْبٌ^(٣)

وقال آخر :

فلو كنتم لكَيْسَةً أَكَّاسَتِ وكيسُ الأمِّ أَكْبَسُ للبهينا^(٤)

(١) في الكامل : مرارة . والمزازة : وجع القلب من القيظ .

(٢) في الكامل : أنيق بدل دميث ، وفيه وفي الغيون : مزكبه بدل ممتنع .

(٣) اللغب : العاسد من الكلام .

(٤) في ١ : لكستم بدل أكاست . وانظر البيت في البيان والتبيين ١/١٩٥ ، ٣/٣٤٨ ، محاضراته

الأدباء ١/١٥٩ .

بابُ الأقارب والموالي

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يارسول الله ^(١) إن لي قرابةً أصلهم
ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويُسيئون إليّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنبٍ أجدرُ بأن تعجل لصاحبه
العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغى وقطيعة الرِّحم » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم ، كحقِّ الوالد
على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ في التوراة : إن أحسد الناسِ لِمَآلِمٍ وأبغاهم عليه ،
قرايته وجيرانه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَوَالِي القوم منهم » .

قال ابن عباس : قد تُقَطَّعُ الرِّحِمُ ، وقد تُكْفَرُ التُّعْمَى ، ولا شيءٌ كتقارب
القلوب . وفي رواية أخرى عنه ، تُكْفَرُ النعمة ، والرِّحِمُ تُقَطَّعُ ، والله يؤلِّف بين
القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يُزخِرْها شيءٌ أبداً ، ثم تلا : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ

(١) زيادة في ج .

ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله آلف بينهم ^(١) .

كان يقال : لا تُؤدّي حق ^(٢) الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك ،
وتعطيه إذا حرملك .

قال الشاعر :

وجدتُ قريبَ الوُدِّ خيراً وإن تَنأى من الأبعد الوُدُّ القريبِ المناسبِ
ورب أخ لم يُدنيه منك والدُّ أبرُّ من ابنِ الأمِ عند النوائبِ
ورب بعيد حاضرٍ لك نفعُهُ ورب قريبٍ شاهدٍ مثل غائبِ

ولمنصور الفقيه :

^(٣) مناسبك الأذنى أشدُّ عداوةً وكفراً لما أوليته من عدانكا
يقول الذي بينى وبينك مُوجبٌ عليك لعمري أثرتي بحياتكا
وما خبرٌ من عسى ويصبح ساخطا على الله في تأخيرهِ لماتكا

وقال آخر ^(٣) :

أشدُّ عداوةً وأقلُّ نفعاً من الرجل البعيدِ الأقربوننا

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣

(٢) في - : صلة .

(٣) ساقط مني ا .

وقال آخر^(١) :

ولا خيرَ في قُرْبِي لغيرِكَ نفعُها ولا في صديقٍ لا تزالُ تماثِبُه
يخونُكَ ذو القربى مرارًا ورُبَّمَا وَفِي لكَ عند الجُهدِ من لا تُناسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهي^(٢) في بني أمية^(٣) :

مهلا بني عمنا عن نحتِ أثَلَتِنَا سيرُوا قليلاً كما كنتم تسيرُونَا^(٤)
لا تطعمُوا أن تهينُونَا ونكرمكمُ وأن نكف الأذى عنكم وتؤذُونَا
مهلا بني عمنا مهلاً موالينا لا تنشروا^(٥) بيننا ما كان مدفونَا
الله يعلمُ أَنَا لا نحبكمُ ولا نلومكمُ أَلَا تحبونَا
كلُّ يَداجي^(٦) على البغضاء صاحِبَه بِنِعْمَةِ الله تقليكم وتقلُونَا

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ٣٠٩/١ ، محاضرات الأدباء ٢٢/١ ، الصداقة والصديق ١١١ وفيهما :

تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته في هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٨٢/١ ، مع اختلاف في الترتيب ، وانظر البيت الثالث في

الكامل ٧٧٩/٢ ، وبعضها في المؤلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٣٢٨/٢ ، عيون الأخبار ٧١٣/١ .

(٤) الأتلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للمرض ، والمقصود كفوا عن ذمنا وشتم أعراضنا ، ورواية الحماسة :

رويدا بدل قليلا .

(٥) في الحماسة : لا تنبشوا .

(٦) فيهما أيضاً مداج .

قال مضرّس بن لقيط الفقعسي :

فقدتُ موالِيَّ الذين كانوا كأنهم دماميلٌ في وجهي على أنخسٍ

ولما قتل الحسين بن عليّ ، قالت بنت عقيل بن أبي طالب :

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم ماذا فعلتم وأتمَّ آخرُ الأممِ
بمترتي وبأهلي عند منطلقٍ منهم أسارى وقتلَى ضُرَجُوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوى رحمي^(١)

لسويد الحارثي أو غيره^(٢) :

بنى عمنا لا تذكروا الشُّعر بعدما دفنتمُ بصحراء الغميمِ القواقيا^(٣)
فلسنا كما كنتم تصيبون مثله فيقبلَ عقلاً أو يحكممَ قاضياً^(٤)
ولكنَّ حكمَ السيف فيكم مُسلطٌ ففرضى إذا ما السيفُ أصبح راضياً
فإن قاتمٌ إنا ظلمنا فإنكم^(٥) بدأتم ولكنا أسانا التفاضيا

(١) انظر الأبيات في : الكامل ٩١/١ ، عيون الأخبار ٢١٢/١

(٢) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٤١/١ ، وقال : أنها للشمندر الحارثي أو سويد بن صبيح الرندي الحارثي ، وانظر عيون الأخبار ٧٧/١ .

(٣) في الحماسة : الغمير بدل الغميم ، والغمير موضع بين ذات عرق والبستان ، قبله بميلين يوجد قبر أبي رغال .

(٤) في الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نكن بدل فإنكم .

وقال الأصبطُ بنُ قُريَعٍ :

فَصِلْ جِبَالَ البَعِيدِ إِنْ وَصَلَ أَلْ
جَبَلَ وَأَقْصِ القَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ^(١)

قال قيس بن زهير^(٢) :

شَفِيتَ النَفْسَ مِنْ حَمَلِ بَدْرٍ وَسِيقِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
قَتَلْتُ إِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي وَقَدْ كَانُوا لِنَاحِلِي الزَّمَانِ^(٣)
فَإِنْ أَكَّ قَدْ شَفِيتَ^(٤) بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بِنَانِي

قال ذو الإصبع العدواني^(٥) :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مَخَالَفٍ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي^(٦)
أَزْرَى بِنَا أَنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا^(٧) نَخَالِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي
اللَّهُ يَعْلَمُنِي وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي وَيَجْزِينِي

(١) البيت في البيان والتبيين ٣/٢٨٠ ، العقد الفريد ٢/٣١٥ ، زهر الآداب ٢/٢٠٤ .

(٢) الأبيات التالية في : حساسة أبي تمام ١/٧١ ، عيون الأخبار ٣/٨٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٥ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر معجم الشعراء ٣/٣٣٢ ، أمالي القالي ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) في ١ : بردت وكذلك في العيون ، وفي المعجم : فإن أك قد شفيت بذلك قلبي .

(٥) الأبيات في الحيوان ٤/٣٦٤ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٨ ، أمالي القالي ١/٢٥٥ ، ٥٦ .

(٦) في الأمالي : مختلفان فأقلبه .

(٧) شالت نعماتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تغير حالهم من يسر إلى عسر .

ماذا علىَّ وإن كنتم ذوى رحمٍ ألا أحبكم إذ لم تُحِبُّوني
قال الأعشى (١) :

وإنَّ القريبَ من يقربُ نفسهُ لعمرُ أبيك الخيرِ لا منْ تنسبنا
وقال آخر :

وإنى للباسٍ على المقتِ والقلبي بنى العمِّ منهم كاشحٌ وحسودُ
أذبٌ وأرى بالحصى من ورائهمُ وأبدأ بالنعْمى لهم وأعودُ (٢)

قال ابنُ العميد :

آخر الرجال من الأبا عِدِ والأقاربَ لا تُقاربُ
إن الأقاربَ كالتعـا ربِّ أو أشدُّ من العقاربِ (٣)

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقية يوماً
مغتاضاً. فقال له : مالك ؟ قال : لقيني فلانٌ — لرجل من أهله — فشتمني وآذاني.
فقال له : هوّن عليك فما من صنارٍ على طريدةٍ بأسرعٍ إليها من ابن عمِّ دَنِيٍّ إلى ابن عمِّ
سَرِيٍّ ، فهوّن عليك .

(١) ديوانه ١١٣ .

(٢) البيتان في محاضرات الأدباء ١/١٧٥ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحسنى بدل النعمى .

(٣) البيتان في بنية الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ ، خامس الخامس ١٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٢ .

من شعر طرفة ، ويروى في شعر عدى بن زيد^(١) :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضةً
على المرء من وقع الحسام المهند

وقال أبو فراس الحمداني^(٢) :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربي إذا كان لي منهم قلوبٌ الأبعد

قال العتّابي : عشيرتُك من أحسن عشرتِك ، وابن عمّك من عمّك خيرُه

وقرّابتك من قرّب منك نفعه ، وأحبّ الناس إليك أخفهم ثقلاً عليك .

وقال^(٣) :

إني بلوتُ الناسَ في أحوالهم وخَبِرتُ ما وصفُوا من الأسبابِ^(٤)

فإذا القرابة لا تُتقربُ قاطعاً وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

(١) ورد البيت في معاني طرفة ، وعلق على ذلك التبريزي في شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ١٥٠/٧ ، وقد نسب البيت لعدى في حماسة البحتري ٣٩٣ ، عبون الأخبار ٨٨/٣ ، نهاية الأرب ٦٣/٣ . والرواية فيها كلها : أشدّ عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦ .

(٣) ورد البيتان في حماسة البحتري ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما في العقد الفريد ٣١٤/٢ إلى أبي تمام وليس في ديوانه .

(٤) رواية حماسة البحتري لهذا البيت :

ولقد عرفت الغائلين وقولهم وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية العقد :

واقدم سبرت الناس ثم خيرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عبون الأخبار ٩٠/٣ .

وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا^(١)

وهذا مأخوذ - والله أعلم - من قول أكرم بن صيفى : رب أخ لم تجمه
معك ولادة .

قال آخر^(٢) :

قوى هم قتلوا - أميم - أخى فإذا رميت أصابى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جمللاً ولئن سطوت لأوهنن عظمى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أجحفت به سنة حلت مصيبته حيدى^(٤)

قال آخر^(٥) :

سأخذ منكم آل حزن لِحوشب وإن كان مولائى وكنتم بنى أبى^(٦)

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، غير منسوبة لقائل .
(٢) هو الحارث بن وعله الجرمى كما فى حماسة أبى تمام ٧١/١ ، وانظر عيون الأخبار ٨٨/٣ .
(٣) فى العيون : يصيبى بدل أصابى ، وقرعت بدل سطوت .
(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ١ : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ١٠٧/٣ . ذو الضعف بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نكبتة بدل مصيبته .
(٥) قال فى حماسة أبى تمام ١٢٠/١ : يقال إنه جندل بن عمر ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٨٩/٣ .
(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولائى وقال الشارح وفيه الكف ، وهو حذف النون من مفاهين ، ولم يرد فى الحماسة بيت مكفوف غيره .

فإن كنت لا أُرْمِي وَتَرْمِي عَشِيرَتِي تُصِيبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشَجِي وَمِنْكَبِي^(١)

وقال آخر :

فلم أر عز المرء إلا عشييرة ولم أر ذلاً مثل نأي عن الأهل

قال آخر^(٢) :

أخاف كلاب الأبعدين وَنَبَحَهَا إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب^(٣)

وقال المقتع الكندي ، واسمه محمد بن عمير بن أبي شير الكندي ، وكان من أجل أهل زمانه وأحسنهم وجهاً ، وأتمهم قاماً ، فكان إذا كشف وجهه يُؤذَى ، فكان يتقنع دهره ، فسُمي لذلك : المقتع . وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه جزالة ونقاوة وسباطة وحلاوة^(٤) :

يَعَا تَبِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دِيُونِي^(٥) فِي أَشْيَاءِ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا

(١) في الحماسة : كنانتي بدل عشيرتي ، وجانحات بدل جانحات .

(٢) نسب البيت في محاضرات الأدباء ١٧٣/١ إلى الدهمان بن حنظلة ، ونسبت في عيون الأخبار ٩١/٣ لك رجل من غطفان ولم يعينه ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) في المحاضرات : وهرشها بدل نجها ، وبارشها بدل تجاربهها .

(٤) انظر الأبيات التالية في حماسة البحري ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالي القالي ٢٨٠/١ ، ٢٨١ ، وما عدا السابع في حماسة أبي تمام ٣٢/٢ - ٣٤ .

(٥) يروي : ندابت .

أُسَدٌ بِهِ مَا قَدِ أَخْلُوا وَضَيَعُوا حقوقَ تُغَوِّرِ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًا
 وَلى جَفْنَةٌ لَا يُغْلَقُ الْبَابُ^(١) دُونَهَا مَكَلَّةٌ لِحِمَاً مَدْفُوعَةٌ تُرَدَا
 وَلى فَرَسٌ نَهْدٌ عَتِيقٌ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا
 وَإِنِّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِخْتَلَفٍ جِدًّا
 إِذَا أَكَلُوا الْحَمِيَّ وَفَرَّتْ لِحَوْمِهِمْ^(٢) وَإِنِّ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا^(٣)
 وَإِنِّ ضَيَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غَيْبَهُمْ وَإِنِّ هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
 وَليْسُوا إِلَى نَصْرِي سَرَاعًا وَإِنِّ هُمُ دَعَوْنِي إِلَى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمْ شَدًّا
 وَإِنِّ زَجَرُوا طَيْرِي^(٤) بِنَحْسِ عِرْشِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا يَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا
 وَلَا أَهْلُ الْحَقْدِ الْقَدِيمِ عَلَيْهِمْ وَليْسَ رَيْسُ الْقَوْمِ^(٥) مِنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
 لَهُمْ جِلٌّ مَالِي أَنْ تَتَابَعِ لِي غَنِيٌّ وَإِنِّ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رَفْدًا^(٦)
 وَإِنِّي لَعَبْدٌ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا

وقال طرفة :

وأعلم علماً ليس بالظنُّ أنه إذا ذلَّ مولى المرء فهو ذليل^(٥)

(١) في الحماسة : وفي جملة ما يفتق الحج ، وكذلك في البيت التالي : وفي فرس النخ .

(٢) ساقط من أ . وفي الحماسة : فإن أكلوا بدل فإدا .

(٣) في الحماسة : طيرا .

(٤) في حماسة البحترى : وليس كريم القوم .

(٥) ديوانه ١٢٦ .

وقال عوف التميمي^(١) :

ولستُ لقوى بعميَّابَةٍ وشرُّ العشيرةِ من عابِها
أَعِفُّ وابدُلُ مالي لها ولا أتعلَّمُ ألقابها^(٢)

وقال أبو الطمحان القيني^(٣) :

إذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ فلا تستثرها سوف يبدو دفينها^(٤)

قال آخر :

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساعٍ إلى الهيجبا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

قال الثقفى^(٥) :

(١) انظر ترجمته و البيهقي في معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيت في المؤلف ٢٣ إلى الأقبيل القيني ، وفي حماسة البحتري ١٨ إلى معروف بن عمرو

الطائي .

(٤) في المؤلف : متى ما يكن ، وفي حماسة البحتري نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٣٠٤/٢ ، ٢/٣ ، فصل اللقاء ٢٢٠ ، الأغاني ٧٠/١٨ (بولان)

إلى مسكين الدارمي ، ونسبها في حماسة البحتري ، ٣٨٨ إلى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر في هامش البيان ٨٢/١ أنه يزيد بن الحكم الثقفى على الاحتمال ، وقد نص في الشعر والشعراء

من كان ذا عَضُدٍ يَدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إن الدليلَ الذي ليست له عَضُدُ
تنبؤُ يدها إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ويأنفُ الضَّيِّمُ إن أثرى له عددُ

وقال أشجع السامى :

نسيبك من أمسى يناجيك طرفه وليس لمن تحتَ الترابِ نسيب^(١)

وقال محمد بن أبي حازم الباهلى :

رُبَّ غريبٍ ناصحٍ الجيبِ وابنُ أبٍ متهَمُ الغيبِ^(٢)
ورب عيَابٍ له منظره مشتملُ الثوبِ على العيبِ

قال محمد بن أبان اللاحقى يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها وأنت سننتها للناس قبلى^(٣)

واللاحقى هو القائل :

== على أنه الأجرد القفى ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ٢/٣ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤٤٠ ، ٤٤١ ، الحيوان ٣/٤٥ .

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين في البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه : وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب بعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سننتها في الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللاحقى .

أخضض الصوت إن نطقت بليلٍ والتفتُ بالأنهار قبلَ الكلامِ^(١)

وفي معنى قول اللاحق في البيت الأول قول الهذلي :

فلا تفزعن من سيرة أنت سرتها فأولُ راضٍ سنَّةً من يسيرها^(٢)

(١) البيان والبيان^{١٠} ٢٦٦/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ .

(٢) ديوان الهذليين ١٢/١ . والرواية في عيون الأخبار ١٠٩/٤ : فلا تسجين ، وفي الشعر والشعراء :

لا تفزعن .

بَابُ الْمَمْلُوكِ وَالْمَالِكِ

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة سيء المملوك » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذْكَرْ عِنْدَ قَدْرَتِكَ وَغَضَبِكَ قَدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَعِنْدَ حَكْمِكَ حُكْمَ اللَّهِ فِيكَ .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حسن عيش غيره في عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشجى العدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثرُوا شِراءَ^(١) الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقاً^(٢) من سيده .

اشترى عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزومي عبدَ بنى الحَسْحَاسِ واسمه سُحَيْمٌ ، وكان حبشياً سمحاً شاعراً ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد اشتريتُ لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم .

(١) في ح : شرى .

(٢) ١ : وفاء .

قال لقمان لابنه : يا بني اياك وخدمة العين^(١) . قال : وما خدمة العين^(١) ؟ قال :
ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك^(٢)

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهل البصرة ، فجاءوه سقاةً على ظهر بعير
لهم^(٣) ، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله ؟ فقال : أنا في سفر لا ينتضي ،
وغدير لا يُنزع ، وقوم لا يُروون

قال بعضُ الحكماء : أفضل المماليك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ،
وأسرع قبولاً .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبر ، والأعجمي حتى يفصح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ،
قال : من حلف على ملك يمينه أن يضربه فكفارته تركه ، ومع الكفارة حسنة .

قال أبو الفتح^(٤) :

بَطَرْتُمْ فَطَرْتُمْ وَالْعَصَا زَجْرٌ مِنْ عَصَى وَتَقْوِيمٌ عَبْدِ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعٌ

(١) في ١ : الغير .

(٢) في ١ : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ١ .

(٤) في ١ : ابنة الفتح ، وأبو الفتح هذا هو علي بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب
بذي الكفايين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ،
واستمر إلى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهامشه ١٤٣/٥ ، وانظر البيت
في التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ١٩٠/٣ وفيها نافع بدل رادع ، خاص الحاس ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكن في منزل المرء حرّة
رأى خلافاً فيما تدير الولايدُ
فلا يتخذ منهم حرّاً قعيدةً
فهن لعمر الله بئس القمائدُ^(١)

قال آخر :

العبدُ يُزجرُ بالعصا
والحرُّ تكفيه الملامه^(٢)

وقال آخر :

العبدُ يقرعُ بالعصا
والحرُّ تكفيه الإشارة^(٣)
أخذه من قول مالك بن الرّيب :

العبدُ يُقرعُ بالعصا
والحرُّ يكفيه الوعيد^(٤)

وقال بشار^(٥)

الحرُّ يُلحى والعصا للعبدِ
^(٦) وليس للملحف مثل الردِّ^(٦)

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأباء ٨٧/٢ ، المحاسن والأضداد ٢٥٤ ، وفيهما : ضيعة بدل خلا .

(٢) اسب هذا البيت في الحيوان ٤٨٣/٦ إلى خليفة الأقطم ، ونسب في البيان والتبيين ٣٢/٣ ، وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصلتان الفهمي انظر البيان ٣٣/٣ ، المؤلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣٢/٣ .

(٥) ديوانه ٢٢٤/٢ ، وفيه : يوصى بدل يلحى .

(٦) ساقطة من ج .

كان يقال : الحر حرٌّ وإن مسه الضر ، والعبد عبد ولو مشى على الدر .
أخذه الشاعر فقال :

وان الحرَّ في الحالات حرٌّ وإن الذلَّ يُقرن بالعبيد^(١)

وقال يزيد المهلبي :

إن العبيد إذا أدللتهم صأحوا على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا^(٢)

قال المتنبي^(٣) :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس من أكيد

وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنباً^(٤) وإن لم يكن ذنب

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن الثام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) و ١ : قدم له ذنباً .

باب الذكر والثناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟
قالوا : بيم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسنِ والثناء السيِّءِ ، أتم شهداء الله في
الأرض ، بعمسكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .

وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أحببتهم أن تعلموا ما للعبدِ عند ربِّه^(١) فانظروا ما يتبعه
من حُسْنِ ثناء .

قال مطرف بن الشَّخِير : عنوانُ كرامة الله لعبدِه حُسْنُ الثناء عليه ، وعنوان
هو انه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم
حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

(١) في ١ : عند الله .

وإنما المرء حديثٌ بعدهُ فكن حديثًا حسنًا لمن وعَى^(١)

قال آخر :

أرى الناسَ أهدوثةً فكوني حديثًا حسنًا^(٢)

قال آخر :

وكلُّ جديدٍ - يا أميمَ - إلى البليِّ وكلُّ امرئٍ يوماً يصير إلى كأناً^(٣)

وقد مضى قول حاتم الطائي :

أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ مِنْ بَعْدِي^(٤)

مات ابنُ حبيب بن المهلب^(٥) ، فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه ، فقبل له : أتقدمه وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخي قد شرفه الناسُ وشاع له فيهم الصيت ، ورَمَتْه العربُ بأبصارها ، فكرهت أن أضعَ منه ما رفعَ الله .

(١) في ١ : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت في المتن هكذا :

أرى الناس أهدوثة للزمان فكن فيهم حديثا حسن

وقد زاد الناسخ فيه كلمتين ، وهو ما لم ترد به رواية البيت في المراجع ، انظره في التمثيل والمحاضرة ٨٧ ، منسوباً لعبد الصمد بن العذل . وانظره في الكامل ٢٣٧/١ ، محاضرات الأدباء ١٨٠/١ بدون نسبة .

(٣) البيت في حماسة البجتي ٣٣٢ ، البيان والتبيين ١٦٠/٣ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبي صفرة ، أحد شجرمان العرب وأشرفهم ، كانت له ولاية كرمان من قبل عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صحب أخاه يزيد في أعماله وغروانه حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنى^(١) :

فإذا بلغتُم أهلَكُم فتحدّثوا ومن الحديث مهالكٌ وخلودٌ

قال آخر :

فأثنوا علينا لا أباً لأبيكُم بإحساننا إن الثناء هو الخُلد^(٢)

قال الأسدي :

فإني أحبُّ الخلدَ لو أستطيعُهُ وكأخذِ عندي أن أموتَ ولم أَلَمْ^(٣)

كان أبو عمرو بن الملاء يتمثل :

وسيبقى الحديث بعدك فانظر خيراً أحوثة تكونُ فكُنْها^(٤)

== معه سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ١٧٣/٢ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجالات العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحو من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذي كان يخشى بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاه سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلمانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٠١ ، إلى أن استطاع مسلمة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام ٢٤٦/٩ والمرجع الكثيرة التي أوردها عنه في هامشه .

(١) في ح : الغنوى ، والبيت أنشده الجاحظ كناية السكامل ٢٢٣/١ ، وانظره في الحيوان ٤٧٥/٣ ، وفيه أرضكم بدل أهلكم ، ومتالف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ١٦١/٣ كما هنا .

(٢) البيت للحارثي كناية الأغاني ٢٧٥/٣ ، وانظر السكامل ٢٢٣/١ . وقال أنشده الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحساننا ، وانظر عيون الأخبار ١٦١/٣ .

(٣) نسب هذا البيت في معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مضر بن ربيعي بن لقيط . وانظره بالنسبة التي هنا في البيان والتبيين ٢٢٣/١ ، ٢٦٤/٣ . الحيوان ٤٧٥/٣ . محاضرات الأدباء ١٨٠/١ .

(٤) نسب البيت في البيان والتبيين ٢٦٤/٣ ، الحيوان ٤٧٥/٣ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جهور ، ^(١) وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ،
والله أعلم ^(١) :

إذا أعجبتك طباعُ امرئٍ فكأنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الجودِ والمكرُماتِ حجابٌ إذا جئتَه يحجبك

قال آخر :

ذكرُ الفتى عمرُه الباقي وحاجتُه ما قاتَه وفضولُ العيشِ أشغال ^(٢)
قال التهامي ^(٣) :

بيننا يرى الإنسانُ فيها مُخبِرًا حتى يرى خبِرًا من الأخبارِ

(١) زيادة من ا ، وقد ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١٤٩/١ ، ١٥٠ ، ملسويين إلى أبي العيلاء

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ٣٢٠/٢ ، وفيها عمره الآتي ، ما فاتته من فضول الخ .

(٣) هو علي بن محمد بن نهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى
خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفياً ، ومعه كتاب من حسان بن مفرج الطائي . أيام استقلاله ببادية فلسطين
إلى بني قريظة قبيل عصيانهم بمصر ، فعلمت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل في محبسه سنة ٤١٦ هـ .
انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧ ؛ (الأعلام وهامشه ١٤٥/٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على ماضى من الأزمان والتلُّف على صالح

الإخوان ، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مرَّجتَ عهدهم^(١) وخفَّت أماناتهم ؟ »

قيل لبعض الحكماء : بأى شيء يُعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال : بحنينه إلى أوطانه ،^(٢) وتلُّفه على ما مضى من زمانه .

روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوامَ عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه^(٢) وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .

روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد^(٣) :

ذهب الذين يُعاش في أكتافهم وبقيتُ في خلفِ كجلدِ الأجرَبِ
يتعدثون ملالة وخيانةً ويُعاب قائلهم وإن لم يشغِب^(٤)

(١) مرح العهد : لم يف به .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ديوانه ٧ .

(٤) يشغِب : يهيج الشر ، ورواية الكامل ٧٠/٢ : يتحدثون مجانة وملادة ، وفي البيان ٢٧٠/٢ :

مغالة وخيانة ، وفي املاحة بدل ملالة ، وانظر الحيوان ٢٧٥/٥ .

ثم قالت : كيف لو أدرك لبيد زماننا هذا ؟ قال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله لبيدًا ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله لبيدًا ورحم عائشة ، لقد أصبت باليمن سهما في خزان عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لي إلى أجدال هندی بذي اللوى لوى الرَّمْل من قبل المات معاد
بلادُ بها كُنّا ونحن نُحِبُّهَا إذ الناس ناسٌ والبلادُ بلادٌ^(١)

(٢) قال أبو العتاهية (٣) :

لله أزمنةٌ عهِدَتْ رِجَالُهَا في النابتات وإنهم لكرامُ
ماذا أقول لو أفد الزمن الذي^(٤) هلك الأرامل فيه والأيتامُ
زمنٌ هوت أعلامه وتقطعت فِرَقًا فليس لأهله أعلامُ
زمنٌ مكاسبٌ أهله مَدْخُولَةٌ جدًّا^(٥) فُرُوعُ أصوله الآثامُ

(١) انظر هذا الخبر في العقد الفريد ٣٤٠/٢ ، محاضرات الأدباء ١٦٩/٢ مع اختلاف قليل في الرواية .

(٢) من هنا ساقط من ح نحو صفحة .

(٣) الأبيات التالية في ديوانه ٢٤٤ .

(٤) رواية الديوان : فلميرة أخرت للزمن الذي ... الخ

(٥) في الديوان : دخلام

زمن تجامى المكرّمات سرّاته حتى كأن المكرّمات حرام

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوزٌ وهو في بيت عائشة ، فأكرمها وقربها ووصلها ، فقالت له عائشة : من هذه العجوز ؟ فقال : « كانت تأتينا وترورنا أيام خديجة ، وحفظ العهد من الإيمان » .

وقال آخر :

ذهب الزّمان برهط حسان الألى كانت مناقبهم حديث النّـابـر
وبقيت في خلف تحلّ ضيوفهم منهم بمنزلة اللّـيـم الغادر
سودّ الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخـر^(١)

وقال آخر :

مضى الذين إذا ما جئت أسألهم قالوا برحب : على العينين والرأس
وقد بقيت بأوغاد أكابـرهم ليسوا بناس بلى أشباه نسـاس^(٢)

وقال عتبة الأعور^(٣) :

ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .

(٢) إلى هنا ينهى القص من ح . وانظر البيتين في الصداقة والصديق ١١٥ .

(٣) هو : عتبة بن أبي سفيان بن حرب ، وبسمى الأعور لأن عينه فقئت يوم الجمل الذي شهده مع عائشة وكان عتبة عاقلا فصيحاً مهيباً من فحول بني أمية ، تولى مصر من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . انظر : نسب قريش ١٢٥ ، السيرة الحلبية ١٣٨/٢ (الأعلام ٣٦٠/٤) .

إِذْ لَا يَزَالُ كَرِيمٌ قَوِّمٌ فِيهِمْ كَلْبٌ يَسْبَهُ^(١)

وقال الحارث بن^(٢) الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مَقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالمَقْبِلِ
وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَنُغِ الكلابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلٍ^(٣)

وقال الأحوص :

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ سَلْفًا وَبَقِيْتُ كَالْمَفْقُودِ فِي خَلْفٍ
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَنْقٍ مُتَصَنِّعٍ يَكْفِي وَلَا يَكْفِي^(٤)

وقال بشار :

فَسَدَ الزَّمَانُ وَسَادَ فِيهِ المُقْرِفُ وَجَرَى مَعَ الطَّرْفِ الحِمَارُ المُوكَفُ^(٥)

كَانَ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ : ذَهَبَ النَّاسُ فَلَا مَرْتَعٌ وَلَا مَفْزَعٌ^(٦) .

(١) البيتان في الحيوان ٣٠٩/٢ ، وفيه : كريم قومي . . . الح :

(٢) في - : دعى الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان في الحيوان ٣٠٧/٢ . والولغ : حركة لسان الكلب في الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان في البيان والتبيين ٢٧٦/٣ ، الحيوان ٨٥/٣ ، وفيها : كالغمور بدل المقفود ، وفي البيان :

متصنع بدل متضجع .

(٥) المقرف : الفرس الذي أمه عربية لا أبوه وهو لا يداني الطرف أي الجواد الأصيل ، والموكف :

الضعيف ، ورواية - : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : المنصب والسعة ، والمفزع : الذي يلجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه،^(١) وتروى لغيره^(١) :

ذهب الرجالُ المُتَقَدِّمُ بِفَعَالِهِمْ والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرٍ
وبقيتُ في خلفِ يَزِينٍ بعضهم بعضاً ليأخذ مُعَوِّزاً من مُعَوِّزٍ^(٢)
^(٣) ركبوا ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا متكِّبِينَ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَكْبَرِ
ما أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ حِينَ يَسُوقُهَا قَدْرٌ وَأَبْعَدُهَا إِذَا لَمْ تُقَدَّرِ
العَلْمُ زِينٌ لِلرِّجَالِ مَرُوعَةٌ والعلمُ أنفعُ من كنوزِ الجواهرِ
أَخْيٌّ إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيمَةٌ في صورةِ الرجلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ
فَطِنٌ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ وَإِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ^(٣)

ولأبي حفص عمرو بن علي بن بحر الفلاس^(٤)،^(٥) وكان أحد أئمة أهل الحديث

الحفاظ الجملة^(٥) :

(١) ساقط من أ .

(٢) نسب البيهقي في معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعبل الخراساني ، ونسباني للمؤلف ١٦١ إلى الحكم بن عبد الأسد ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفي عيون الأخبار ١٢٣/٢ قال أنشددهما ابن الأعرابي ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٢/٢ ، الصداقة والصديق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها في معجم الأدباء ١٤٣/٨ منسوبا إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلكنة ، ثم وردت مرة ثانية في ٣٨/١٢ منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من ج ، وانظر الأول والثاني منهما في المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة . (٤) ورد هذا الاسم في أ : أبو حفص عمر بن علي بن حفص الفلاس ، وفي ح ، م : عمر بن علي الفلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفي التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨٠/٨ وما بعدها ، الباب ٢/٢٣٠ (الأعلام ٥/٢٥٤) .

(٥) ساقط من ج .

ألا ذهب التكرُّمُ والوفاءُ وباد رجاله وَبَقِيَ الغشَاءُ
وَأَسْأَلُنِي الزمانُ إلى رجالٍ كأمثال الذئبِ لهم عواءِ
صديقٌ كلما استغنيت عنهم وأعداءٌ إذا نزل البلاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا زمانًا أوزت الأَحْـ رَارَ دَلًّا وَمَهَانَةً
لستَ عندى بزمانٍ إنما أنتَ زَمَانَةٌ
كيف نرجو منك خيرًا والعُلا فيك مُهَانَةٌ
أجـونًا ما نراهُ مِنكَ يبدو أمَّ مَجَانَةٌ^(٢)

وقال آخر :

كنا مُعَيَّرٌ من يأتى بفاحشةٍ والناسُ يَرْعَوْنَ حقَّ الدينِ والحسبِ
فالناسُ قد تركوا التعبيرَ كلهم لما استوى الناسُ فى الفحشاءِ والكذبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهب أَمْسِ الذَّاهِبِ فالناسُ بين مُجَامِلٍ وَمُوَارِبِ

(١) انظر الأبيات مع أخرى فى عيون الأخبار ٢/٣٤٥ . وفيه : إذا ذهب بدل الأ، وجهد بدل نزل .

(٢) نسبت الأبيات التالية فى معجم الأديباء ١٩/٩ ، خاص الحاص ١١١ لى أبى الحسن بن لئسكك البصرى ،

والزمانة : العاهة ، والمجانة : عدم المبالاة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرم والوفاء من الورى وتقرضنا إلا من الأشمارِ
وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصارِ

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبى الشذونى :

مضى دهر السماج فلا سماح ولا يُرجى لدى أحدٍ فلاحُ
رأيتُ الناسَ قد مُسِخُوا كلابا فليس لديهمُ إلا النباحُ
وأضحى الظرف عندهمُ قبيحا ولآ واللهِ إنهمُ القباحُ
سلامٌ أهلَ إبليسٍ عليكمُ فإن البين أوشكه الرواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُستراحُ
إذا ما الحرُّ هان بأرضِ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جناحُ

وقال آخر :

مضى الجودُ والإحسانُ واجتثَّ أصلُهُ وأخذ نيرانُ التدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرِ يرونَ الملا والمجدَ جمعَ (١) الدراهمِ
كأنهمُ كانوا جميعاً تعاقدوا على اللؤمِ والإساكِ فى صلبِ آدمِ

(١) فى ١: كسب .

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوقاً إلى مكة ، ويرفع عقيرته (١) :

(٣) ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بوادٍ وحولٍ إذ خسر وجليلٌ
وهل أردن يوماً مياه مجنّةٍ وهل يدون لي شامةً وطفيلٌ (٢)

ولابن ميادة واسمه الرّمّاح (٣) :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بحرّة ليلي حيث رينني أهلي
بلادها نيطت على تماهي وقطمن عني حين أدركني عقلي (٤)

وقال آخر :

أحبّ بلاد الله ما بين منبجٍ إلى وسلمي أن يصوب سحابها
بلادها عّق الشباب تماهي وأول أرض مسّ جلدي تراها (٥)

وقال آخر :

أحنُّ إلى دهرٍ مضى بغضارةٍ إذا العيش رطبٌ والزمان مواتي

-
- (١) انظر البيتين في أمالي القالي ١/٢٤٦ ، الممد المرند ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .
(٢) في معجم البلدان بفتح ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضاً الثمام نبت يستعمل في بعض علاجات العين ، ومجنّة جبل لبني رثل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .
(٣) ساقط من أ .
(٤) البيتان في الأغاني ٣/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفي ١ : بوادي الخزامي بدل حرة لبي ، ونيطت : شدت ، والتماهي : ما يعلق على الصبيان من الأحجية لحفظهم من العين ونحوها .
(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيء ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالي القالي ١/٨٣ ، الكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير في الرواية ، ومنعج واد يصب في الدهناء وهي أرض =

وأبكى زماناً صالحاً قد فقدته
يقطع قلبي ذكره حسرات
تمطى علينا الدهر في متن قوسه
ففرقنا منه بنبل شتات

وقال متمم بن نويرة (١) :

وكننا كبندماني جذيمة حقة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعاً
فلما تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة مما

وقال آخر :

خسون عاماً تولت في نصرؤها
عسر ويسر على الحالين أشهده
لم أبك من زمن صعب لشدته
إلا بكيت عليه حين أفقده
وما جزعت على ميت فجعت به
إلا ظلمت لستر القبر أحسده
وما ذممت زماناً في تقلبه
إلا وفي زمني قدصرت أحسده

ولأبي عبد الرحمن العطوي ، واسمه محمد بن عطية :

سألت عن سبب الإقتار والعدم
وعن زوال الندى في العرب والمعجم

تتميم بنجد ، ويروي بدل منعج مشرف ، ويصوب : ينزل ويراق . عن الشباب تسمى أي شقها والمعنى أنني بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجرة اليربوعي التميمي ، شاعر كبير من أشراف قومه ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله في أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة ، وسكن متمم المدينة في أيام عمر وتوفي بها نحو سنة ٥٣٠ هـ . انظر في ترجمته الأعلام ١٥٥/٦ والمراجع الكثيرة في علمه ، وانظر البيهقي في السكامل ٢/٢٩٦ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِي^(١): دَوَتْ أَنْجُمُ الْإِفْضَالِ وَاشْتَمَلَتْ
 أَنْعَى إِلَيْكَ مَوَاسَاةَ الصَّدِيقِ وَمَا
 أَنْعَى إِلَيْكَ خِلَالَ الْفَضْلِ قَاطِبَةً
 أَيْنَ الْوَفَاءِ الَّذِي قَدْ كَانَتْ يَعْرِفُهُ
 أَيْنَ الْجَمِيلِ الَّذِي قَدْ كَانَ مُلْتَبَسًا^(٤)
 أَيْسِرًا وَأَنْتَ صَدِيقُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَإِنَّ وَجَدْتَ صَدِيقًا عِنْدَ نَائِبَةٍ
 لَمَّا أَنْأَخَ عَلَيَّ الدَّهْرُ كَلْكَلَةً
 نَادَيْتُ مَا فَعَلَ الْأَحْرَارُ كُلَّهُمْ
 قَالُوا: حَدَا بِهِمْ رَبُّ الزَّمَانِ فَسَلْ
 أُمَّ التَّوَاصِلِ^(٢) فِي الدُّنْيَا عَلَى عَقْمٍ
 قَدْ كَانَ يَرَعَى مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالذَّمِّ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا دَارِسُ الْعِلْمِ
 قَوْمٌ لِقَوْمٍ وَأَيْنَ الْحَفِظِ لِلْحَرَمِ^(٣)
 أَهْلَ الْوَفَاءِ وَأَهْلَ الْفَضْلِ وَالكَرَمِ
 ثُمَّ أَبْلُ سِرَّهُمْ فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
 فَلَسْتَ مِنْ طَرَفَاتِ الْخَيْرِ^(٥) فِي أُمَّمِ
 وَخَانِي كُلُّ ذِي وَدٍّ وَذِي رَحِمِ
 أَهْلُ النَّدَى وَالْهَدَى وَالْبُعْدِ فِي الرَّحِمِ
 أَحْدَاثُهُ عَنْهُمْ تَخْبِرُكَ عَنِ رِمَمِ^(٦)

روينا عن عبد الله بن مصعب الزبيري^(٧) أنه قال: خرجنا إلى النزو زمن

(١) في ح: بادي .

(٢) في أ: أم القواضل .

(٣) أ: للخدم .

(٤) أ: يلبسه .

(٥) أ: الحزم .

(٦) أ: أمم .

(٧) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي ، أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولي اليمامة أيام الخليفة المهدي ، ثم ولاة الرشيد المدينة وأضاف إليها اليمن توفي بالرقعة

مروان بن محمد حتى إذا كنا ببعض الطريق أصابنا مطرٌ وابل ، قلنا إلى قصر رفع^(١) لنا قصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبي وأمي ! من أين أنتم ؟ قلنا : من مكة . فتنفست الصعداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذا سَكَنٍ بالشَّامِ يَأْلَفُهُ فَإِنَّ فِي غَيْرِهِ أَمْسَى لِي السَّكَنُ
وإنَّ ذَا القِصرِ حَيٌّ مابِه وِطْنِي لَكِنْ بِمَكَّةِ أَمْسَى الأَهْلُ وَالوَطَنُ
مَنْ ذَا يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنزِلُنَا فَالأَقْجُوانَةُ مِنَّا مَنزِلُ قَمِينُ
إِذْ نَلْبَسُ العَيْشَ صَفْوَاً ما يَكْدُرُهُ ضِغْنُ الوُشاةِ وَلا يَنْبُونا الزَّمَنُ^(٢)

قال : فمضينا في غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفنا راجعين ، أخذنا المساء عند ذلك القصر ، فأضافنا صاحبه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثم حاجة . فقال : وماهي ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كان ، والله لو كانت حية ما مضيت إلا بها ، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفاً على مفارقة من نشأت معه .

روينا من رجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه مكة^(٣)

(١) ق ١ : وضع .

(٢) الأبيات للحارث بن خالد المخزومي ، انظرها في الأغاني ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث في الكامل ١٧/٢ ، والرواية فيه وفي ١ : من كان يسأل عنا أين منزلنا ، والأقجوانة : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل الحجاز في عصره ، ويمد أول من صنف التصانيف في العلم بمكة ، وهو رومي الأصل من موالى قریش ، مكى المولد والوفاة ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٣٠٥/٤) .

رضي الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركبته ، قال : فلما نزلت عليه
رحب بي وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المادرة ؟ فقلت : دين ركبني لم تف به
جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاقت ذرعي فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمت
خير مَهْدَم ، يُتَضَى دينك وتنصرف محبوراً إلى وطنك . قال : فأقمت عنده شهوراً
في أحسن مثوى وأكرم ضيافة ، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون
إلى الحج ، فأدركتني وحشة ، ولم أملك العبّرة ، وحنّت نفسي إلى الوطن ، فرجعت
إليه وقد اغرورقت عيناي بالدموع ، فقال لي : مالك ؟ قلت : رأيت الناس في أهبة
الحج^(١) والخروج إلى مكة^(٢) فذكرتُ أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى .
قال : وأيُّ أبياتٍ عمر هي ؟ فقلت : قوله^(٣) :

أهيات من أمة الوهاب منزلنا إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتلّ أهلك أجيادا فليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن^(٤)
بل مانسيتُ غداة الخيف^(٥) موقفها وموقفي ، وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للأثريّا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن^(٦)

(١) في : يتأهبون للحج .

(٢) ساقط من أ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٢٦/٢ . وانظرها مع القصة في الأغاني ١١١/١ .

(٤) ساقط من ح . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن بهما حين نزل مكة

ربط فيه جياده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢١٣/٢

(٥) الخيف : موضع بمعنى .

(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ : ماذا أردتَ بطولِ المكثِ في اليمنِ
 إن كنتَ حاولتَ دُنِيًّا أو رضيتَ بِهَا فما أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ عُنْ

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعم . قال : صحبتك
 السلامة ، ورزقت العافية . وخرجت من عنده فما وصلتُ إلى موضعى ، حتى سبقني
 خمسةَ عشرَ بغلاً عليها عَصَبُ الْيَمَنِ^(١) ، ودراهم ، وضروب من الخبز ، فقصيت ديني
 وتأثلتُ منه كنزاً^(٢) مما بيدي اليوم .

(١) نوع من الغزل اليمنى مشهور .
 (٢) في ١ : كثيراً .

باب مدح منالبة^(١) الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبِّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيُصَمَّ » .
قال وهب بن منبه : العقلُ والهوى يعصطران ، فإيهما غلب مال بصاحبه .
قال ابن دُرَيْدٍ :

وَأَفْهُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيان الثوري : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعرٍ قطُّ إلا هذا :

إذا أنت لم تعصِ الهوى قَادَكَ الهوى إلى بعضِ ما فيه عَلَيْكَ مَقَالٌ^(٢)

(١) في ١ : باب مدح معالنة ... الخ .

(٢) انظر البيت في السكامل ٢٣٦/١ ، معاضرات الأدباء ٢٥٤/١ ، وورد في البيان ١٦٩/٣ برواية

مختلفة هي :

إذا ما أطعت النفس مال بك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال ..

(قلت^(١)) : لو قال :

إلى كلِّ ما فيه عليك مقالٌ^(٢)

كان أبلغ وأحسن .

قال بعضُ الحكماء : إنما يحتاج اللبيبُ ذو الرأى والنَّجربةُ إلى المشاورة ليتجرّد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساءِ وهواك ، واصنع ما شئت .

قلت^(٣) : لو قال اعص الهوى لا كتفى .

قيل للمهلب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر الله تعالى الهوى فى شيء من القرآن^(٤) إلا ذمه .

قيل لشريح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبي وهواى ؟

قال بزرجهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوقة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

(١) فى ح : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من أ .

(٣) فى أ ، ح : قال أبو عمر .

(٤) أ : فى كتابه .

وأجتنبُ البوائقَ حيث كانت وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ^(١)
 أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصرُ بن محمد الأسدي الكوفي ،
 حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ، حدثنا مُخَلَّد بن حسين ، حدثنا هَشَّام
 ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينما عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع
 امرأة وهي تقول :

هل مِن سبيلٍ إلى خَمْرِ فَأَشْرَبَهَا أم من سبيلٍ إلى نصرٍ بن حَجَّاجٍ

فلما أصبح قال : على بن نصر . فجيء به ، فإذا هو أجمل الناس ، فقال : إنها المدينة
 فلا تسأكني فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عمِّ له ، هو أمير البصرة ،
 فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته ، إذ كتب في الأرض : إني لأحبك حبًّا لو
 كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك . فقراءته وكتبت تحته : وأنا . وكان
 الأمير لا يقرأ ، فعلم أنه جوابُ كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من
 يقرأه ، فبلغ ذلك نصرًا ، فلم يجيء إليه ، ومرض حتى سلَّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر
 الأمير بذلك ، فقال : اذهبي إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلا ذهبتِ إليه
 وأسندتهِ إلى صدرك وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئًا ، فصعدت

(١) انظره في عيون الأخبار ٦٦/٢ .

إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته ، فأفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :^(١) الأمير مجاشع بن مسعود السلمي ، وامرأته الخضراء^(٢)

(١) قال إبراهيم بن عثمان^(١) : وأخبرني محمد بن كثير ، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لعمري لئن سيرتني وحرمتني	وما جئتُ ذنباً إنَّ ذا الحرام ^(٢)
ومالي ذنبٌ غيرَ ظنِّ ظننته	وفي بعضِ تصديقِ الظنونِ أثام
أأنَّ غنتِ الذَّلْفَاءُ يوماً بُمْنِيَّةِ	وبعضُ أمانِيِّ النساءِ غَرام
ظننتَ بي الأمرَ الذي لو أتيتُه	لما كان لي في الصَّالحينِ مقام ^(٣)

(١) ساقط من ١ ، هذا وقد ذكر في الأغاني ١٩ / ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبي أهر الزهرانية ، وفي هاشم عيون الأخبار ٤ / ٢٤ أورد ماجاء في تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبي أزيهر الدوسي زوج مجاشع بن مسعود السلمي أمير البصرة ، وقال وفي تزيين الأسواق لداود الأنطاكي أنها شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر ، وكانت مع أجمل النساء وعلى أى حال فقد انفقت الروايات على أن اسمها شميلة فلعل ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة في المراجع السابقة وفي المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لا يخرج في مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبي الحديد في نهج البلاغة ٣ / ١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصاً غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلاً ، أى حادث النبي وما سبقه ، أما الجزء الثاني وأبيات نصر التي كتبها إلى عمر فمشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات في العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعاً .

(٢) في العيون : لعمري إن . وفي اصيرتني .

(٣) في العيون : ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي في اللدى كلام

وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِيفَتِي وَأَبَاءُ صِدْقٍ صَالِحُونَ كَرَامٌ^(١)
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَيَتُّهُ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامٌ^(٢)
فَهَاتَانِ حَالَانَا فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِي فَقَدْ جُبَّ مِنِّي غَارِبٌ وَسَنَامٌ^(٣)

قال بعضُ الحكماء : الهوى عدوُّ العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من
تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعي ، وأظنه لسهل الوراق :

إِذَا حَارَ ذَهْنُكَ فِي مَعْنَيْنِ وَأَعْيَاكَ حَيْثُ الْهَوَى^(٤) وَالصَّبَابُ
فَدَعْ مَا هَوَيْتَ فَإِنَّ الْهَوَى يَقُودُ النُّفُوسَ إِلَى مَا يَعَابُ

قال غيره : اغتتم من الخير ما عجّلت ، ومن الهوى ما سوفت .

كان يقال : إذا غلب عليك عقلك فهو لك ، وإن غلب عليك هواك فهو

لعدوك .

قال عمر لمعاوية : من أصبرُ الناس ؟ قال : من كان رأيه رادًّا لهواه .

(١) في العيون : تسكرمي بدل حفيظتي ، وسالفون بدل صالحون .

(٢) رواية العيون : خباؤها وحال لها مع عفة .

(٣) رواية العيون : وقد خف مني كاهن وسنام .

(٤) في ١ : الهدي .

قال أعرابي : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشدَّ فطام النفس عند الصبر .

قال نَفْطَوِيَه :

إِنَّ الْمَرَأِيَّ لَا تَرِيهِ لَكَ خَدُوشَ وَجْهَكَ فِي صَدَاهَا
وَكَذَاكَ نَفْسُكَ لَا تَرِيهِ لَكَ عِيُوبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا^(١)

وعن نفطويه ، قال : تضيف صديق^(٢) لي من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجراً لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناه من دين ؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عود نفسه الرّفث والخنا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً ، وقلما يجن^(٢) رجل إلا هلك .

قال الشاعر :

الْحُبُّ زُورٌ وَالْهَوَى بَاطِلٌ وَالْقَلْبُ مَا أَجْرِيَتَهُ يَجْرِي
وَتَرَكُ مَا تَهْوَى يَسِيرُهُ إِذَا أَعْمَلْتَ فِيهِ سَعَةَ الطَّسْدِرِ

وقال منصور النمرى :

(١) نسب البيتان إلى منصور الفقيه في : محاضرات الأدباء ٧/١ ، وصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاصرة

وإنَّ امرئاً أودى الغرام^(١) بلبه لعريان من ثوب الفلاح سليل^٢

قال آخر :

عينُ المحبِّ كليلةٌ عن عيبِ كلِّ فتى يود

قال عمرُ بن أبي ربيعة :

حَسَنٌ في كُلِّ عَيْنٍ من تَوَدَّ^(٢)

وقال رَوْحُ أبو هَمَّام^(٣) :

وعينُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ وعينُ الرِّضَا عن ذاك تَعْمَى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فَعَيْنُ الرِّضَا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينُ السُّخْطِ تُبْدى المَسَاوِيَا

قال أبو العتاهية :

والمرءُ يَعْمَى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنْ أَقْصَرَ عن بعضِ ما بهِ أَبْصَرَ^(٥)

(١) في : أودى المرام ، وفي > : أزرى المدام .

(٢) عجر بيت ، وصدرة .

فتضحكن وقد قلن لها . انظر ديوانه ٤٥/١

(٣) انظر البيت في الحيوان ٤٨٨/٣ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو همام ، ولم أعر له

على ترجمة .

(٤) لم يرد هذا البيت في الديوان المطبوع .

بابُ معنى عَشقِ النِّساءِ والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ ،
أسلبَ لمقول ذوى الألبابِ منكن » .

سُئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغلُ قلبٍ فارغ .

وجد في صحيفةٍ لبعض أهل الهند : العشقُ ارتياحُ جُمل في الروح ، وهو معنى
تنتجبه النجوم بمطارح شماعها ، وتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس
بلطيف خواطرها ، وهو بعدُ جلاء للقلوب ، وصيقل للأذهان ما لم يُفُرط ، فإن
أفُرط عاد سقما قاتلا ، ومَرَضاً مُنْهَكاً ، لا تنفدُ فيه الآراء ، ولا تنجعُ فيه الحيل ،
العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكثم ، وثمانمة بن أشرس ، فقال المأمون
ليحيى : خبرني عن حدِّ العشق فقال : يا أمير المؤمنين ا سوانح تسنح للعاشق
يوثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمانية : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب
في مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمانية . فقال : يا أمير
المؤمنين ا إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقت (١) لمح

(١) في ح : أثبتت .

نورٍ ساطع تستضيء به بواطن^(١) العقل فتمتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصور من ذلك اللمح نور حاضر^(٢) بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا^(٣) .

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درت ما فيها ، ويحنو على كبد قد أعبت مداوئها^(٤) .

ذكر رجل أيام شبابه وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوئى شربته النفس أيام شبابها ، فاستخفت بالعاذلات^(٥) وعتابها .

وصف بعض الحكماء الهوى الذى هو عشق للنساء ، فقال : بطن فرق ، وظهر فككف ، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والكمون .

وقال بعض الأدباء : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مملك ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة^(٦) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والمقول وآراءها ، وأعطى عنان

(١) : نواظر .

(٢) : ويتصور من ذلك اللمح نور خاطر ... الخ .

(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل فى الألفاظ فى العقد التمريد ٣/٣١٧ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال .. الخ

(٤) فى ١ : مداوئها .

(٥) : بالنازلات .

(٦) : جائرة .

طاعتها^(١) ، وقادَ تصرفها ، تواری الأَبصارَ مَدْخُلُهُ ، وَغَمَّضَ فِي القلوبِ مَسَلَكُهُ .

قال عباس بن الأحنف ، فيما أنشده إسحاق الموصلي له .

فلو كان لي قلبانِ عشتُ بواحدٍ وَخَلَّيْتُ قَلْبًا فِي هَوَاكَ يُعَذِّبُ
ولكننا أحيًا بقلبٍ مُرَوِّجٍ فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يَقْرُبُ
تعلمتُ ألوانَ الرِّضَا خوفَ سُخْطِهَا وَعَلَّمَهَا حَبِي لَهَا كَيْفَ تَغْضَبُ
ولي ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانَهُ ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ^(٢)

والصِّمَّةُ^(٣) القَشِيرِيُّ :

لعمري لئن كنتم على النَّأْيِ وَالنِّغْيِ بكم مثل ما بي إنكم لصديقُ
إذا زفراتُ الحُبِّ صَعَّدَنَ فِي العَشْيِ رُدِدْتَ وَلَمْ يَفْتَحْ لهن طَرِيقُ^(٤)

للعباس بن الأحنف^(٥) :

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ أُسَلِّكُهُ إلى الحبيبِ بعيدًا حِينَ أَنْصَرِفُ

(١) ا : زمام أعتتها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ا : والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قره القشيري ، شاعر غزل ، بدوي ، من شعراء العصر الأموي ، ومن العشاق المتيمين ، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله في الزواج بتجربته ، ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغاني ١٢٦/٥ طبعة الساسي ، خزانة البغدادي ٤٦٤/١ (الأعلام ٣٠٠/٣) .

(٤) انظر البيهقي في أمالي القالي ٢٨/١ ، محاضرات الأدباء ٢٧/٢ ، ورواية الأمالي : كرر فلم يفتق ، ورواية المحاضرات : رددن ولم يوجد لهن . وفي ا : يهيج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه في معنى بيت

عباس هذا :

أمرٌ نشيطاً إذا زُرْتِكُمْ وأرجعُ كسلانَ لا أنشطُ
وسيرُ المطيِّةِ ما كدَّني ولكن هوى لكم مفْرِطُ

وقال العباس بن الأحنف (١) :

يقربُ الشوقُ داراً وهي نازحةٌ من عالجِ الشوقِ لم يستبعد الداراً

وله (٢) :

مُتُّ على من غبتَ عنه أمّفاً أَسْتَمْنَهُم بِمَصِيبِ خَلْفَا
لَنْ تَرَى قِرَّةَ عَيْنِ أَبَدًا أَوْ تَرَى نَحْوَهُمْ مَنْصَرَفَا
قُلْتُ لَمَّا شَفَّنِي وَجَدِي بِهِمْ : حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا بِي وَكَفَى
بَيْنَ الدَّمْعِ لِمَنْ يُبْصِرُنِي مَا تَضَمَّنْتُ إِذَا مَا ذَرَفَا

ولمحمد الزبيدي :

أَتَيْتُكَ حَائِذَا بِكَ مِنْكَ لَكَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحَيْلُ

(١) ديوان ٢٧٤

(٢) الديوان ١٤٠

وصيرني هواك وبى لحنى يضربُ المشلُ
فإن سامت لكم نفسى فما لاقيته جلالٌ^(١)
وإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجلُ

كتب المهديُّ إلى الخيزران وهو بمكة :

نحنُ في أفضل السُرور ولكن ليس إلا بكم يتمُّ السُرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهل وُدِّي أنكم غبتم ونحن حضورُ
فأجدوا المسيرَ ، بل إن قدرتمُ أن تطيروا مع الرياحِ فطيروا^(٢)

فأجابته :

قد أتانا الذي وصفتَ من الشوِّ ق فكدنا . وما فعلنا نَطِيرُ
ليت أنَّ الرياحَ كنَّ يودِّين نَ إليكم ما قد يجنُّ الضميرُ
لم أزل صَبَّةً فإن كنت بعدى في سُرورٍ فدام ذاك السُرورُ

قال بعضُ الأدباء : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى و فطام النفس عند الصبِّ^(٣) ،
لقد تصدعت كبدي للمحبين ، لوم الماذلين قرطة في آذانهم ، ونيران متأججة

(١) ق : ح : جدل ، والجلال : الهين الحميم ، ويطلق أيضا على العظيم ، صد .

(٢) انظر الأبيات في محاضرات الادباء ١/٣٠٧ .

(٣) ق ١ : الصبر .

في أبدانهم ، لهم دموع غزيرةٌ على المغآئي ، كغروب السَّواني^(١) ، وأنشد :

نسقى الله أطلالاً ليلي وشققت
عليهن من غمر الغمام جُيوبُ
فما تقشعرُّ الأرضُ إن نزلتُ بها ولكنها تُزهي بها وتطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرُك نأيُّها بلى كلُّ ماشفِّ النفوسِ يضيرُها
أليس يضيرُ العينُ أن تكثُرَ البكا ويمنعَ منها نومُها وسرورُها^(٢)

وقال آخر :

فلو أن شَرِقَ الشَّمسِ بيني وبينها وأهلي وراءِ الشمسِ حيثُ تغيبُ
لحاولتُ قَطَعَ الأرضِ بيني وبينها وقال الهوى لى : إنه لقريبُ

وقال الصَّمَّةُ بن عبد الله القشيري :

إذا ما أتننا الرِّيحُ من نحو أرضكم أتينا برياًكم فطاب هُبوبُها
أتينا برِيعِ المسكِ خالطَ عنبراً وريحِ الخُزامى باكرتها جُبوبُها^(٣)

(١) السواني جمع سانية ، وهي الدلو العظيمة ، وغروبها مأثما . وتشبه العين بالسانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان في حماسة أبي تمام ١٢٦/٢ ، أمالي القالي ٨٨/١ منسوبين لتوبه بن الحمير ، وانظر المحاسن والأضداد ١٢٥ ، ورواية ١ : يضير النفس بدل العين .

(٣) البيتان في الأغاني ١١٥/٤ .

وقال آخر :

صافَ قلبي الهوى فأكثر سهوى وجوى الحب مُنْطِعُ كلِّ حُلُو
لو علا بعضُ ما علاني ثبيراً^(١) ظلّ ضعفاً ثبيرُ من ذلك يهوى
من يكن من هوى العواني حُلُوًا يا ثقاتي فإني غيرُ حُلُو

^(٢) قال العباس بن الأحنف :

جرى السَّيْلُ فاستبكراني السَّيْلُ إذ جرى وفاضتْ له من مُقلتي غُرُوبُ
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أنني أمرُ بوادٍ أنتِ منه قريبُ
يكون أجابًا قبلكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيبُ
أيا ساكني شرقاً دجلة كلُّكم إلى القلبِ من أجل الحبيب حبيبُ^(٣)

قال بعضهم : لو لم يكن في العشق إلا أنه يشجع قلب^(٣) الجبان ، ويسخى كف
البخيل ، ويصقّ ذهن النغي ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عزُّ الملوك ، وتصرَّعُ
له صولة الشجاع ، وينقادُ له كلُّ ممتنع ، لكني به شرفاً .

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إذا ترنمت هتوف الضحى^(٤) على الفصيون،

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مكة .

(٢) ساقط من ج ، وانظر الأبيات في الديوان ١٦ .

(٣) في ١ : القلب .

(٤) في ١ : هبوب الرياح .

أرسلت الشُّنُون^(١) مياها إلى العيون ، فن ذَاد عينه عن البكا أورث
قلبه حزنا .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة^(٢) ، فأطمعته في نفسها ، فبعث
يستهدىها^(٣) طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه :
رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبك
لا أراه تجاوز^(٤) المعدة .

قال أعرابيٌّ من فزارة : عشقت امرأة من طيِّء ، فكانت تظهر لي مودّة ،
فوالله ما جرى بيني وبينها شيء من ريبة ، غير أني رأيت يياض كفها ليلة^(٥) ،
فوضعت كفي على كفها ، فقالت : مه ! لا تقسد ما صلح ، فأرفضت عرقاً من قولها ،
فما عدت لثل ذلك .

قال بعضهم : الرجلُ يكتُمُ بغضَ المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتُم
حبها يوماً واحداً ،^(٦) والمرأة تسكتُ حب الرجل أربعين يوماً^(٦) ، ولا يمكنها أن

(١) في ١ : الشوق ، والشُّنُون : مجازي اليمع في العين .

(٢) في السكال ١١/٢ : عشق أبو القمقام بن بخر السقا جارية مدنية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل
أكثر .

(٣) في > : لسيدتها .

(٤) في ١ : وحبك لا يجاوز .

(٥) في ١ : في سواد الليل .

(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تسكتم بغضه يوما واحداً .

قال يوسف بن هرون^(١) :

دَقَّتْ مَعَانِي الْحَبِّ عَنْ أَذْهَانِهِمْ فَنَأَوُّوْهَا^(٢) أَتُبْحَ النَّوِيلِ

وقال كثير :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خَلَّةٌ أَنْ تَسْتَمِيلَنَا أَيْبِنَا وَقَلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ^(٣)

وقال حبيب :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا^(٤)

لعلي بن الجهم :

يَا سَائِلِي مَا الْهَوَى اسْتَمَعَ إِلَى صِفَتِي الْحَبُّ أَعْظَمُ مِنْ وَصْفِي وَمِقْدَارِي

مَاءُ الْمَدَامِعِ نَارُ الشُّوقِ تَحْدُرُهُ فَهَلْ سَمِعْتَ بَعَاءَ فَاضٍ مِنْ نَارِ^(٥)

(١) الكندي الرمادي ، شاعر أندلسي عالي الطبقة ، أصله من رمادة من ذرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبي عامر ، ثم شاعت عنه أشعار في دولة الخليفة ورجالها بسجن ، وظل في السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفي سنة ٤٠٣ هـ . انظر بتيمة الدهر ١/٣٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) في ح : فَنَأَوُّوْهَا .

(٣) البيت في الديوان ٣/٣١ هـ وفيه : تَرِيدُنَا بَدَلَ تَسْتَمِيلُنَا ، وفي محاضرات الأدباء ٢/٢٢ : إِذَا وَاسَلْتُنَا خَلَّةٌ كَيْ تَزِيلَهَا . . . عَرَضْنَا ، وفي العيون ٤/٢٨ : إِذَا وَصَلْتُنَا . . . كَيْ تَزِيلُنَا .

(٤) في ح : فَتَجَكَّمَا ، والبيت في الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجنون في الحيوان ١/٤٠ ، ونسب لابن العثريّة في العقد الفريد ٥/١٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٢ .

(٥) في أ : تَخْرُجُهُ بَدَلَ تَحْدُرُهُ ، وانظرهما في ديوانه ٣٢ .

وقال أبو العتاهية :

أَذَابُ الْهَوَى جَسْمِي وَطَمِي وَقُوَّتِي فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النَّضْوُ
رَأَيْتُ الْهَوَى حَجَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلْوٌ^(١)

وقال آخر :

أُسِرُّ الَّذِي بِي وَالدَّمُوعُ تَبَوحُ وَجِسْمِي سَقِيمٌ وَالْفؤَادُ قَرِيحٌ^(٢)
وَبَيْنَ ضُلُوعِي لَوْعَةٌ لَمْ أَزَلْ بِهَا أَذُوبُ اشْتِيَاقًا وَالْفؤَادُ صَحِيحٌ

وقال الصِّمَّةُ الْقَشِيرِيُّ :

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرِي بِنِي كَذَكَرِيكَ مَا كَفَفْتِ الْعَيْنُ مَدْمَعًا
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذَكَرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صَمِّ الصَّفَا لِتَصِدَّعًا^(٣)

وأكثرهم ينسبون إليه^(٤) في هذا الشعر قوله^(٥) :

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكُ^(٥) مِنْ لَيْلِي وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

(١) لم يرد البيتان في ديوانه المطبوع .

(٢) في ١ : جرّح .

(٣) هذا البيتان لم يردا ضمن الأبيات التالية في المراجع ، وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات ١٣/٥٤ أن ابن عبد البر وحده هو الذي ذكرهما مع هذه الأبيات في كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ١ . وانظر الأبيات للصمة في الأغاني ١٦٧/٢ ، حاسة أبي تمام ٥٤/٢ ، ٥٥ ، أمالي

القال ١٩١/١ .

(٥) في ٥ : قرارك .

فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائفاً^(١) وتجزع أن داهى الصباية أنعماً
 بكث عيني اليسرى^(٢) فلما زجرتها عن الجهن بحد الحلم أسبكتنا معاً
 وأذكر أيام الحمى ثم أنثني^(٣) على كبدى من خشية أن تصدعا
 فليست عشيّات الحمى برواجع إليك^(٤) ولكن خل عينيك تدمعاً

ومهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح، وللمجنون أيضاً تنسب^(٥)، والأكثر
 أنها للصمة :

(٧) في > : المني .

(١) في > : عاشق .

(٢) في الحماسة : حتى وجدتنى .

(٤) في ا : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا فقد نسبت في وفيات الأعيان ٤١٣/٥ لابن الطرية ، ونسبت في المعتمد الفريد ٣٣/٩ لابن العمينة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس

لابن عبد البر

صفحة	
٣	تصدير
٧	مقدمة المحقق
٣٥	مقدمة المؤلف
٣٩	باب آداب المجالسة وحق المجلس الصالح
٥٤	باب حمد اللسان وفضل البيان
٦٠	باب ذم العي وحشو الكلام
٦٤	باب في اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب ، وذم الغريب في الخطاب
٧١	باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة
٧٣	باب من خطب فأرتج عليه
٧٥	باب حمد الصمت وذم المنطق
٩٠	باب من مزدوج الكلام
٩٤	باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة
١٠٧	باب الأدب
١١٥	باب ترويح القلوب وتنبيهها
١١٧	باب قولهم في وصف العيش وما تتمناه النفس
١٢٨	باب اختلاف الهمم في أنواع المال
١٣١	باب التجارة

منحة

١٣٧	باب الرزق
١٥٢	باب الحرص والأمل
١٦١	باب ذم السؤال وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال
١٧٥	باب انتظار الفرج
١٨٦	باب الحد والجد
١٩٥	باب المال حمداً وذكماً
٢٠٥	باب جامع القول في الغنى والفقر
٢١٥	باب الدين
٢١٧	باب الاقتصاد والرفق
٢٢١	باب السفر والاعتراب
٢٣٨	باب التحول عن مواطن الذل
٢٤٦	باب التوديع والفراق
٢٥٧	باب الزيارة والعيادة
٢٦٢	باب العيادة أيضاً
٢٦٥	باب الحجاب
٢٧٤	باب المصافحة وتقبيل اليد والضم
٢٨٠	باب الهدية
٢٨٩	باب الجار
٢٩٥	باب الضيف
٣٠٢	باب المعروف
٣١٠	باب الشكر
٣١٧	باب في طلب الحاجات

٣٣١	باب السلطان والسياسة
٣٥٣	من الأمثال في السلطان ومحبتة
٣٥٥	باب الكتاب والكتابة
٣٦١	باب الظلم والجور
٣٧٠	باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ
٣٧٥	باب الغضب
٣٧٨	باب الرجاء والخوف
٣٨٣	باب العافية والبلاء
٣٨٦	باب المرض والطب
٣٩٣	باب الطاعة والمعصية
٣٩٧	باب التوبة والتميمة
٤٠٦	باب البغى والحسد
٤٢٦	باب الظن والزكاة
٤٣٠	باب المراء والخصومة والملاحاة
٤٣٧	باب الكبر والعجب والتهيه
٤٤٩	باب الرأى والمشورة
٤٥٨	باب كتمان السر وإفشائه
٤٦٦	باب الحرب والشجاعة والجبين
٤٨٤	باب الاعتذار
٤٩٢	باب المواعيد
٤٩٨	باب عيون من المدح
٥٣٢	باب العقل والحق
٥٤٨	باب من أجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء ، وألقاظ النوكى والجهلاء
٥٥٦	باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح

صفحة

٥٦٥	باب المزاح إباحة وكراهة
٥٧٢	باب مدح الصدق والأمانة ، وذم الكذب والخيانة
٥٧٩	باب الحق والباطل
٥٨٩	باب الحياء والوقار
٥٩٤	باب حسن الخلق وسوئه
٥٩٨	باب مكارم الأخلاق والسؤدد
٦١٥	باب حمد الحلم وذم السفه
٦٢٣	باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل والثرم
٦٤٠	باب المروءة والفتوة
٦٤٨	باب امتحان أخلاق الرجال
٦٦١	باب التودد إلى الناس
٦٦٩	باب الاستيحاء من الناس والفرار منهم
٦٨٤	باب الصديق والعدو
٧٠١	باب جامع متخير في الإخوان
٧٣١	باب الثملاء والطفيليين
٧٤٣	باب الثباتة
٧٤٩	باب مؤاخاة من ليس على دينك
٧٥٦	باب الولد والوالد
٧٧٤	باب الأقارب والموالي
٧٨٧	باب المملوك والمالك
٧٩١	باب الذكر والثناء
٨٠٨	باب مدح ، غالبة الهوى وذم اتباعه
٨١٥	باب معنى عشق النساء والهوى فيهن